ردمك: ٠٣٤٥ - ٢٢٢٧

العميد

مجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بالأبحاث والدّراسات الإنسانيّة

تَصْدُرُ عَنْ العَتَبَةِ العَبّاسِيَّةِ المقدَّسَةِ

بمُجازَة مِنْ

وزارَةِ التَّعْليم العالي والبَحْثِ العِلميّ

جَمْهُورِيَّةُ العِراق

مُعتَمَدَة لأغراض التَّرقيَة العِلْمِيَّةِ

العدد الخاص (٢) السنة الثانية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الرّمز بين قراءتين

سورةُ المجَادلة (الآية ١١)

المُشرف العام

السّيد أحمَد الصّافي

الأمينُ العام للعتَبة العبّاسِيّة المقدّسَة

الهَيْأة الإسْتِشارِيَّة

أ.د. طارق عبد عون الجنابي . كلية التربية . الجامعة المستنصرية

أ.د. رياض طارق العميدي . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ.د. كريم حسين ناصح . كلية التربية للبنات . جامعة بغداد

أ.د. عباس رشيد الدده . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ.م.د. علاء جبر الموسوي . كلية الآداب . الجامعة المستنصرية

أ.م.د. مشتاق عباس معن . كلية التربية . ابن رشد . جامعة بغداد

مطبعة دار الضياء
العراق/ النجف الأشرف

رئيس التحرير
السيد ليث الموسوي
رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مدير التحرير
أ. م. د. سرحان جفّات سلمان (كلية التربية/ جامعة القادسية)

سكرتير التحرير
رضوان عبدالهادي السلامي

سكرتير التحرير التنفيذي
سرمد عقيل أحمد

هيأة التحرير
أ. م. د. علي كاظم المصلاوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)
أ. م. د. عادل نذير بيري (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)
أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي (كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)
أ. م. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

التدقيق اللغوي

م. د. علي كاظم علي المدني
(كلية التربية/ جامعة القادسية)

م. د. شعلان عبدعلي سلطان
(كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل)

الإدارة والمالية
عقيل عبدالحسين الياسري

الموقع الإلكتروني
سامر فلاح الصافي

الترقيم الدولي: ISSN: 2227–0345

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٣ لسنة ٢٠١٢م

الأمانة العامة للعتبة العباسية المقدسة
كربلاء المقدسة – جمهورية العراق
Mobile: +964 780 186 3654 / 770 047 9141
http: //alameed.alkafeel.net
Email: alameed@alkafeel.net

التصميم والإخراج الطباعي: رائد الأسدي

قواعد النشر في المجلة

مثلما يرحّب العميد أبو الفضل العباس عليه السلام بزائريه من أطياف الإنسانية، تُرحّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقا للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوّعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.

٢. يقدَّم الأصل مطبوعا على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (١٠,٠٠٠-١٥,٠٠٠) كلمة، بخط Simpelied Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيما متسلسلا.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان، ورقم الهاتف، والبريد الألكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر ا لبحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمّن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة. هذا عند ذكر المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً، وليس مقدما إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى ا لباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع البحوث لتقويم سرّي لبيان صلاحيّتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ) يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب) يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج) البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها

قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

د) البحوث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٢. يراعي في أسبقية النشر:

أ) البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج) تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.

د) تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education & Scientific Research
Research and Development

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد : ب ح ع / ٢١٤٤
التاريخ : ١٢ / ٢ / ٢٠١٢

العتبة العباسية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

م/ مجلة العميد

تحيـــــــة طيبـــــــة...

اشارة الى رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ و بكتابنا المرقم ب ت ١٢٢٣١/٤ في ٢٠١٢/١٢/٢٠ ، ونظرا لحصول مجلتكم (مجلة العميد) على الترقيم الدولي (ISSN) الخاص بها ، تقـرر إعتماد المجلة اعلاه لاغراض الترقية العلمية .

...مع التقديـــــــــر

أ.م.د محمد عبد عطية السراج
المـدير العـام لـدائرة البحث والتطوير
٢٠١٢/٣/١٢

نسخة منه الى :
- البحث والتطوير/ قسم الشؤون العلمية
- الصادرة

Email scientificdep@rddiraq.com
www.rddiraq.com (الموقع الالكتروني للدائرة)
الهاتف / ٦٥٠٠٣٣٤٣
Tel : 7194065

بسمِ تعالى

...كلمة العدد ...

الرسول الأكرم ﷺ الرمز ... بين قراءتين

إن الأمم تعرف برموزها ؛ لكونها الأنموذج الذي يحتذى في رسم خارطة القيم والمبادئ اللتين تتحكمان بصياغة السلوك الفردي والجماعي لها، ولما كان الرسول الأكرم محمد ﷺ رمز أمتنا الإسلامية منذ تشكّلها حتى يأذن الله بفناء الأرض بفنائها ؛ لكونها أمة خاتمة الرسالات، جاءت قراءات حضوره (رمزاً / أنموذجاً) مقسومة على منحيين : السلب والايجاب تبعاً لمحرّكات القارئ الفكرية والعقائدية.

فالقارئ المؤمن برسالة الرسول الأكرم محمد ﷺ، كان يقرأ حضوره (رمزاً / أنموذجاً) قراءة ايجابية ؛ لكونه لا يقف عند احترامه وإجلاله فحسب، بل تجده يتعبّد بسلوكه ﷺ ؛ لأنه ﷺ (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) – حسب منطوق (القرآن الكريم) –، فكلّ ما يصدر عن الرسول الخاتم ﷺ من (قول أو فعل أو تقرير) هو بمباركة إلهية وتسديد ربانيّ، لذا جاءت سيرته الفعلية والقولية والتقريرية دستوراً قطعيَ الصواب، وقانوناً يقينيَ الحقّ.

أما القرائ المؤدلج بفكر مناهض للرسالة الإسلامية فسعى إلى تشويه ذلك الرمز؛ بقصد ضرب أهم منظومة قيادية للأمة المستهدَفة، أعني قيمة الرمز لا بمعناه التمجيدي التبجيلي، بل بمعناه (القانون المثالي، يقيني الصواب) الذي يجب أن تتبع

خطواته لنيل العيش بمستواه المرفّه ؛ لتحقّق العدالة الاجتماعية بأجلى صورها في ظلّه، ونيل السعادة الأخروية بمستواها الراقي ؛ لتحقّق العبادة الحقيقة باتباعه، لذلك تحرّكت الترسانة الثقافية المناهضة لهذه القيمة الإنسانية العليا مدعومة بالأسلحة الإعلامية لتشويهها، والسعي إلى تغيير النظرة التقديرية العالمية للرسول الأكرم ﷺ بأخرى سلبية لا تمثّل إلاّ المستوى الممجوج للسلوك المنحرف اجتماعياً وثقافياً ودينياً.

لذا عملت العتبات المقدّسة في العراق وسواه ولاسيما العتبة العباسية المقدّسة إلى تأسيس برنامج ذي وظيفة مزدوجة؛ يعمل طرفها الأول على تعميق القراءة الإيجابية لرمزية الرسول الأكرم محمد ﷺ وتثبيت أركانها في الثقافة العالمية، على حين يعمل طرفها الآخر على التصدّي لتحريف رمزية تلك الشخصية المقدّسة من خلال تفكيك القراءة السلبية وبيان بعدها عن الصواب؛ لافتقادها أدلة البحث العلمي، واستنادها إلى البُعد العاطفي الفجّ المتكئ على خلفية ايديولوجية هدّامة.

وتمثّل ذلك البرنامج ذو الوظيفة المزدوجة بخطوات متنوعة المنافذ، لكنها لا تعدو أن تكون نوافذ فكرية، ثقافية، إعلامية، من قبيل مهرجان ربيع الرسالة، الندوات والمحاضرات التوعوية، والإصدارات الدورية أو البحثية بأحجام ومستويات تأليفية مراعية لمقدرة الشرائح المستهدَفة العُمُرية والفكرية والثقافية، ويأتي تخصيص هذا العدد من مجلة العميد واحداً من خطوات ذلك البرنامج عبر فسح المجال للأقلام الأكاديمية التي يمثّل أصحابها في المفهوم المدني المعاصر جبهة

ريادية في ما يعرف بـ (قادة الرأي)؛ لكونهم الراسمين لستراتيجية المجتمعات في الأغلب الأعم عبر وظيفتهم التعليمية، فضلاً عن وظيفتهم التخطيطية في دوائر رسم الستراتيجيات داخل أجهزة الدولة.

وما يحسب لهذا العدد أنه لم يتوقف عند الحدود المذهبية الضيقة بل فتح الباب أمام جميع الأطياف الإسلامية لتعبّر عن ذلك الرمز لا لأجل الانفتاح فقط، بل لتؤكّد أن المشترك بين أطيافها أكثر من المختلف، وليس أجلى من سعة ذلك المشترك أنها تشترك بقائد واحد، ورمز واحد، وانموذج قيمي وسلوكي واحد ذلك هو الرسول الأكرم محمد ﷺ.

... فهرست المحتويات...

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢١	إختصاصات النبي ﷺ لماذا؟	م.د. جبّار محمد هاشم الموسوي جامعة الكوفة / كلّية الآداب قسم الفلسفة. م. د. أمل سهيل عبد الحسيني جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الفقه.
٥٥	آداب العالم والمتعلم في أحاديث الرسول ﷺ	أ.د. مثنى علوان الجشعمي م. شذى مثنى علوان الجشعمي جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم العلوم التربوية والنفسية
٨٧	النص القرآني بين المشافهة والكتابة	أ.د. زهير غازي زاهد الجامعة الإسلامية / النجف الاشرف
١٢٣	حديث المعرفة ... قراءة اسلوبية	أ.د: رحمن غركان جامعة القادسية / كلية التربية قسم اللغة العربية

١٤٥	دراسة تحليلية لبعض آراء المستشرقين عن السيرة النبوية المطهرة	ا.د.خديجة زبار عنيزان جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية ا.د.فاطمة زبار عنيزان جامعة بغداد مركز إحياء التراث العلمي العربي
١٧١	عالميّة الرسول ﷺ والرسالة بديل عن عولمة الحضارة الغربية	أ.م.د.حسن عبدالغني الأسدي جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلاميّة / قسم اللغة العربية
٢٠١	قادة الرأي والفكر ودورهم في التأثير والتغيير وفي التعريف بقيم الرسالة المحمدية من خلال وسائل الإعلام الجديدة (شبكة الإنترنيت أنموذجا)	الأستاذ طارق ثابت جامعة أم البواقي / الجزائر
٢٢٧	لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي	أ.م.د.جنان محمد مهدي العقيدي جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية
٢٥٧	موقف المستشرقين من السيرة النبوية ((تطابق المظهر واختلاف المضمون))	أ.م.د. قاسم جواد الجيزاني الجامعة المستنصرية / قسم التاريخ / كلية التربية الاساسية

Prof. Dr. Riyadh Tariq Kadhim Al-Ameedi University of Babylon, College of Education for Human Sciences, Dep. of English Abbas Idan Obaid (M.A. in English Language and Linguistics)	Generalized Conversational Implicature in English and Arabic Religious Texts: A Contrastive Study	17

إختصاصات النبي ﷺ لماذا؟

Why Are the Qualifications of the Prophet? Peace be upon him and his progeny

م. د. جبّار محمد هاشم الموسوي

جامعة الكوفة / كلّية الآداب / قسم الفلسفة

م. د. أمل سهيل عبد الحسيني

جامعة كربلاء / كلّية العلوم الإسلامية

قسم الفقه

Dr. Jabar Mohammed Hassin Al-Moosawi

College of Arts, University of Kufa

Department of Philosophy

Dr. Amal Suheil `Abid Al-Husseini

College of Islamic Sciences

University of Karbala

Deprtment of Jurisprudence

... ملخص البحث ...

من تصفح كتب السيرة النبوية الشريفة التي صاغها الحكماء قديما وحديثا، واستشرف سيرة النبي الأعظم ﷺ من صفحات الوجود، أدرك جليا انه ﷺ أعظم مصلح ظهر في هذا الكون، ورأى أن تعاقب الأجيال لم يزد هذه الحقيقة إلا جلاء وصقلا، فإن ذُكر العظماء كان أعظمهم، وإن ذكر الرسل والأنبياء كان مقدمهم وخاتمهم، ففي كل ناحية من نواحي حياته الشريفة عبرة وحكمة، وهدى ورحمة، أفلا يجدر بنا، بل ألم يأن لنا أن نصلح أمتنا وننقذ شعوبنا بهديه وإصلاحه ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ﴾[1]، وقد حاولنا في هذه الدراسة إيراد موجز عن خصوصيات سيرته المباركة التي كان النبي ﷺ يختص بها ولم يكن يشاركه فيها غيره، محاولين استخراج العبرة من كل ذلك، لتكون نورا يسعى أمامنا، ومنارا يُهتدى به في ظلمات الليل والنهار.

...Abstract...

Having reviewed the sacred prophetic chronicle the wise coined in the past or the present day and observed the history of the great prophet (Peace be upon him and his progeny) through the rhythm of existence, one takes cognizance of the fact that Mohammed (Peace be upon him and his progeny) comes as the greatest reformer worldwide and takes seizure of the fact that the more time proceeds, the more such a portrait emerges. When mentioning the scientists, he is to be the greatest; when mentioning the messengers and prophets , he is to be the vanguard and the seal. In each niche of his honest life are there morality and sapience, guidance and mercy. So it is time for us to rectify our nation and salvage our people in light of his guidance and reformation:

Has not the time arrived
For the believers that
Their hearts in all humility
Should engage in the remembrance
Of Allah and the Truth
What has been revealed to them. (Hadid Sura, [Iron], Iyat ,16).

In the present paper, we do endeavour to reconnoiter all the distinguished qualifications of the prophet to highlight the morality of such traits to be light for us and a minaret people adheres at day and night.

... مقدمة ...

الخصائص في اللغة: يقال: «اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد: وهي الأمور التي انفرد بها الشيء من دون غيره»[٢].

أما في الإصطلاح: فهي عبارة عن ذكر الأمور والمزايا التي انفرد بها الرسول ﷺ عن باقي الناس.

ولم تظهر في القرون الأولى اهتمامات ملحوظة للمعنيين بسيرة الرسول ﷺ في إفراد مصنف مستقل للحديث عن الخصائص التي انفرد وامتاز بها الرسول ﷺ عن باقي البشر، والسبب الذي كان وراء هذا العزوف عن تصنيف مثل هذه الكتب؛ هو أن كتبنا في علوم أخرى قد استأثرت به، كأبواب النكاح في كتب الفقه.

وقد شكل هذا النوع من التصنيف تجديدا تمثل بابتكار عنوانات وموضوعات جديدة لجوانب السيرة لم تنظر إليها المصنفات الأولى وقد اختلفوا في عدِّ هذه الخصائص لان (خصائص النبي ﷺ مختلف فيها عندهم فمنهم من ذكرها إجمالا وعدّها أربعمائة وعشرين خصيصة)[٣].

أما أول من صنف في خصائص النبي ﷺ فهو ابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ)[٤]، وقد حفّز هذا الكتاب على ظهور مصنفات أخرى تحدثت عن خصائص الرسول ﷺ وقد تصدى لجمعها احد الباحثين[٥]، وقد خُصّ ﷺ بهذه الخصائص من بين

البشر فصار أفضل الأنبياء ﷺ وقد بين الإمام الصادق عليه السلام ذلك إذ نقل لنا قول بعض قريش حينما سألوه ﷺ بأي شيء سبقت الأنبياء وفُضّلت عليهم وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال ﷺ: (**إني كنت أول من اقر بربي جل جلاله وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم؟ قالوا بلى فكنت أول نبي قال بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز وجل**)[٦].

وقد بين العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) الأسباب الموجِبة إلى اختصاص الرسول ﷺ بتلك الكرامات والمزايا التي لم تكن ولا ستكون لأحد من البشر بعده، فقال: «ولا شك أن الله تعالى قد شرّف رسوله محمد ﷺ وميّزه عن سائر خلقه بان خصّه بأشياء فرضها عليه دون خلقه كما في أداء الفرائض من الثواب فانه لم يتقرب المتقربون إلى الله بمثل أداء ما افترض عليه وأشياء حضرها على خلقة فانقسم ما حظي به ﷺ إلى تخفيف وتغليظ والتغليظ إلى إيجاب وتحريم»[٧]، ونحن أمام هذا العدد الهائل من الخصوصيات التي كانت له ﷺ دون سائر البشر، لذا سنحاول الاقتصار على الخصائص التي ذكرها الفقهاء في كتاب النكاح، ومنها ما هو خارج عن النكاح، كالخصوصيات الجسدية له ﷺ، والخصوصيات المحرمة، فقد حرم الله تعالى عليه بعض الأشياء، وأحلها تعالى لسائر أمته، ولمن أراد المزيد فليراجع أمهات الكتب التي عنيت بذلك[٨].

المطلب الأول

اختصاصات النبي ﷺ في النكاح

كان للنبي ﷺ أحكام يختص بها ولم يكن يشاركه فيها غيره، وقد جرت عادة الفقهاء على ذكرها في كتاب النكاح؛ وذلك لأنها بالنسبة إليه أكثر من غيرها، وهي كالآتي:

أولاً: جواز العقد زيادة على أربع

الزواج بالمرأة الخامسة مع وجود أربع زوجات في ذمة الرجل يعدَّ حراما، لكنه ﷺ جاز له الزيادة على أربع نسوة، وهذا مالا خلاف فيه بين المذاهب الإسلامية، فقد توفى ﷺ وفي ذمته تسع زوجات هُنّ: عائشة، وحفصة، وأم سلمه المخزوميه، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وجويرية بنت الحرث الخزاعية، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية، وزينب بنت جحش، وكان له ﷺ سواهن التي وهبت نفسها للنبي، وخديجة بنت خويلد أم ولدِهِ، وزينب بنت أبي الجون، والكندية.

وجميع من تزوج بهنّ خمس عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، ودخل بثلاث عشرة، وفارق امرأتين في حياته[٩].

والعلماء يرجعون سبب زيجاته الكثيرة ﷺ إلى: الوثوق بعدله بينهن دون غيره[١٠].

أكثر زواجاته ﷺ كانت سياسية، فأراد ﷺ أن يكسب قبائل وعشائر شتى بهذهِ الزواجات إلى صفوف المسلمين وتقوية أواصر العلاقة معها مثل بني أسد، وبني عامر بن لؤي، وبني عدي، وبني امية، وبني مخزوم، وبني خزاعة، وبني هلال، وبني آكل المرار، وبني كنده، وبني كلب، ولم يكن ﷺ يخطب المرأة بل لجاههِ وشرفه النبوي كان يُخطب، فقد قدّم عمر بن الخطاب ابنته حفصة، كما قدم له أبو بكر عائشة من قبل[١١].

بعض زواجاته كانت بأمر من السماء، كزواجه ﷺ بزينب بنت جحش التي كانت طليقة زيد الذي كان يدعى ابن رسول الله ﷺ على نحو التبني، وكانت زوجة المدعو ابناً آنذاك يحرم الزواج منها، فأراد الله تعالى أن يثبت للناس خطأ ذلك، فأمره بالزواج وانزل فيه قرآنا[١٢]: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[١٣].

ثانياً: العقد بلفظ الهبة

كان يحق له ﷺ دون غيره من البشر استنكاح امرأة بلفظ الهبة لقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤]. وبالمقابل كان يجوز وقوع الإيجاب منها بلفظ (الهبة) كما هو

مقتضى الآية، كما يجوز له ﷺ وقوع القبول منه، وقيل أن أربعاً من نسائه ﷺ كُنّ ممن استوهبن أنفسهن له وهن: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت حزام، وأم المساكين الأنصارية، وخوله بنت حكيم، وقيل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد عن علي بن الحسين[١٥].

ثالثاً: وجوب تخيير النساء

فقد كان يحق له ﷺ دون أمته أن يُخير النساء بين إرادته ومفارقته؛ لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾[١٦].

رابعاً: تحريم نكاح الإماء عليه بالعقد

لا يحق له ﷺ العقد على أَمَة غيره ويتزوجها، في الوقت الذي يجوز له أن ينكح الإماء بملك اليمين لقوله تعالى: ﴿وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾[١٧]، وقد كانت مارية القبطية رضي الله عنها ممن ملكها ﷺ بملك اليمين، كذلك صفية وهي مشركة، فكانت عنده إلى أن أسلمت فاعتقها وتزوجها[١٨].

خامساً: حرمة الاستبدال بنسائه والزيادة عليهن

وهذا الحكم جاء بعد أن خَيّر النبي بعض نسائه بين إرادته ومفارقته، فمن

رغبت بالبقاء معه كافأها الله تعالى على حسن صنيعها بإقامتها مع النبي ﷺ على الضيق الدنيوي فقال تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾[١٩]، يقول البحراني: «إن ما ذُكر من التحريم في الموضعين المذكورين هو ظاهر سياق الآيات إلا أن أخبارنا قد شددت في إنكاره»[٢٠].

سادساً: تحريم زوجاته على غيره

وقد حرم تعالى زوجات النبي ﷺ على غيره بنص قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾[٢١]، وهذا التحريم (على الأُمة إنما هو للنهي الوارد في القرآن لا لتسميتهن بأمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، ولا لتسميته ﷺ والداً، لأن هذه التسمية إنما وقعت على وجه المجاز لا الحقيقة)[٢٢]، وقد قيل إن سبب هذا التحريم أن طلحة بن عبيد الله قال: لئن قُبض رسول الله ﷺ لأنكِحن عائشة بنت أبي بكر، وقيل أن رجلين قالا: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه، والله لئن مات لنكحنا نساءه، وكان احدهما يريد عائشة والآخر يريد أم سلمه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فتأذى، فنزلت الآية[٢٣].

سابعاً: عدم وجوب القسمة بين زوجاته

لم يكن واجباً على رسول ﷺ أن يقسّم بين زوجاته، ومع ذلك فعله ﷺ تفضلاً منه، وطلباً للعدل وان لا يُنسب إليه الجور، لقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَوْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً

﴿حَلِيماً﴾[٢٤]، لأن معنى الإرجاء التأخير، وقد ذهب السيوري في ذلك مذاهب حيث قال: «تدعوا من تشاء إلى الفراش وترجي من تشاء فلا تدعوها، وترجي من تشاء فلا تقسم لهن وتُؤْوي إليك من تشاء فتقسم لهن فأَرجِأْ (سودة، وجورية، وصفية، وميمونة، وأم حبيبة) وكان يقسم بينهن ما شاء، وآوى (عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب»[٢٥].

ثامناً: وجوب إجابة المرأة إذا رغب فيها رسول الله ﷺ

وهذا الوجوب استفادهُ الفقهاء من قضية زينب بنت جحش وزيد، فقالوا بضرورة إجابة المرأة التي رغب رسول الله ﷺ فيها ولو كانت خلية[٢٦]، وان كان الظاهر انه لم يتحقق له مورد، ولكن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[٢٧]، والذي أخفاه ﷺ في نفسه هو أن الله سبحانه اعلمه أنها ستكون من أزواجه، وان زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال له: أريد أطلّق زينب، قال له: امسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لم قلت امسك عليك زوجك وقد علمت أنها ستكون من أزواجك؟[٢٨]، كذلك فانه ﷺ أخفى رغبته بالزواج منها بناء على العلم الذي عنده على أنها ستكون زوجته[٢٩].

المطلب الثاني

اختصاصاته ﷺ الجسدية

واختصاصاته ﷺ هذهِ تتعلق بقضايا تخص جسده الشريف التي امتاز به في خَلقه عن غيره من أبناء جنسه، وهذا ما سيتضح في الاختصاصات الآتية:

أولاً: إتساع مدارك الحس لديه

من الممكن القول ان مقام النبوة يقتضي أن تكون مدارك النبي ﷺ أوسع مدىً مما هي عليه في المعتاد؛ وذلك حتى يتمكن من التعامل مع عالم الغيب، ومن هنا أعده سبحانه وتعالى إعدادا خاصاً يتيح له تلقي الوحي من جبرائيل عليه السلام ورؤيته والسماع منه، وما يتبعه من رؤية ما سواه من الغيبيات كالملائكة والجن والشياطين، أو سماعه لعذاب القبر ونحوه، فكان من الطبيعي أن يسمع ما لا يسمعه غيره، أو يبصر ما لا يبصره سواه.

وعلى هذا الأساس جاءت الروايات لتقرر رؤيته ﷺ لجبرائيل عليه السلام في اثناء تلقي الوحي – سواء عند مبعثه أو بعده – ورؤيتُه للملائكة وهي تساند المؤمنين يوم بدر، ورؤيته لإبليس (لعنه الله) حين تعرض له في صلاة الكسوف، وغيرها من المواضيع.

ومن ذلك ما نقله انس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: **(أتموا الركوع والسجود، فو الله اني أراكم من خلف ظهري، إذا ركعتم وسجدتم)**[٣٠].

وهذا دليل على أن الرؤية لديه ﷺ رؤية بصرية لا مجرد الهام أو وحي وقد قَرر ذلك الحافظ بن حجر في الفتح في تعليقه على الحديث المتقدم فقال: «ولو كان مقصده مجرد العلم لما كان لتقييده عليه الصلاة والسلام بالرؤية من وراء ظهره أية فائدة»[٣١]. كذلك امتاز بتفوق سماعه.

ثانياً: تنام عينه ولا ينام قلبه

وهذا من خصوصياته أيضا، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك منها ما روته عائشة، أنها قالت: يا رسول الله تنام قبل أن توتِر؟ فأجابها ﷺ: **(تنام عيني ولا ينام قلبي)**[٣٢].

ثالثاً: طيب عَرَقِه وريحه ولين ملمسه

وقد اختص ﷺ بطيب رائحته وعَرَقه، ولين ملمسه، إحساناً في خلقته وإكمالاً لمحاسنه، وقد بان ذلك من خلال أحاديث اثبتت هذهِ المزايا منها قول انس بن مالك: «دخل علينا النبي ﷺ فجلس عندنا فعَرَق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تنشّف ذلك العَرَق فتعصره في القارورة، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: **(يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟)**، قالت: هذا عَرقُك نجعله في طيبنا، وهو أطيب من الطيب، يقول أنس: ما شممت مسكةً ولا عبيراً أطيب رائحة من رائحة رسول الله ﷺ)»[٣٣].

وهناك أحاديث دالة على لين ملمسه ﷺ منها حديث انس بن مالك الذي قال: «... ولا مسست خزة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ»[٣٤].

رابعاً:التبرك بآثاره كوضوئه وريقه وشعراته

البركة: كلمة تدل على الكثرة والنماء، وكونه ﷺ معدن الخير ومواطن البركة لا يختلف عليه اثنان، فضلاً عن بركته في ذاته وآثاره مضافاً إلى أفعاله وأقواله، ومَن غيره أحق بهذا سواه، وقد كانت قضية التبرك به ﷺ وبآثاره مثار اهتمام الصحابة جميعاً فكانت اسعد لحظاتهم حين يظفرون بشيء من آثاره الشريفة، مُنيةً في البركة، وقد نقل لنا أصحاب الصحاح والسنن أحاديث كثيرة تدل على ذلك منها ما رواه البخاري عن المسوَّر بن مخرمة قوله يوم الحديبية: «فو الله ما تنَخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه»[٣٥]. وكذلك نقلوا عن تبرك المسلمين بشعره حيث نقل البخاري عن عثمان بن عبد الله انه قال: «أرسلني أهلي إلى أم سلمه ﵂ بقدح من ماء، فأخرجَتْ لي وعاء فيه ثلاث شعرات للنبي ﷺ فحركته في الماء، فشربت منه، وكان إذا اشتكى احد وأصابته عين جاءها بإناء»[٣٦].

كذاك فأنهم يتبركون بلباسه أيضاً، من ذلك ما رواه البخاري عن سهل بن سعد انه قال: «(اكتسى النبي ﷺ ببردةٍ قرأها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها، فقال ﷺ: (نعم)، فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه وقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت انه لا يُسأل شيئاً فيمنعه، فقال لهم: رجوت بركتها حين لبسها ﷺ لعلِّي أُكفن فيها»[٣٧].

خامساً: اشتداد المرض عليه

إنما يكون ابتلاء الإنسان على قدر مكانته ومنزلته، فكلّما عظمت مكانة الإنسان عند ربه كان البلاء عليه اشد، وبذا يكون الأنبياء ﷺ هم اشد الناس بلاءً، زيادة لحسناتهم، ومضاعفة لأجرهم، وأشدهم في ذلك نبينا ﷺ، وصور الابتلاء عديدة، منها الابتلاء بالأمراض والأسقام، وبين أيدينا جملة من الأحاديث التي تدل على شدة المرض الذي كان يلحق بالنبي ﷺ ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود انه قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يتوعك فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله انك لتتوعك وعكاً شديداً، قال ﷺ: **(اجل كما يوعك رجلان منكم)**، قلت: ذلك بان لك اجرين، قال ﷺ: **(نعم، ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه، إلا حط الله سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها)**[٣٨].

سادساً: شق صدره وإزالة حظ الشيطان منه

هذه الحادثة رويت في كتب الجمهور فقط إذ اعتبروها من إرهاصات النبوة، واعداداً للرسالة، وعصمة للفؤاد وتطهراً للجنان وهي كما رواها مسلم: «عن انس بن مالك: أن رسول الله ﷺ آتاه جبرائيل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه وصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طشت من الذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه...، قال انس: وقد كنت أرى اثر ذلك المخيط في صدره»[٣٩].

هذا فيما يخص مدرسة الجمهور، أما مدرسة الإمامية، فإنها رفضت هذهِ الرواية جملةً وتفصيلاً، فقال عنها الطبرسي: «مما لا يصح ظاهره، ولا يمكن تأويله إلا على

التعسف البعيد، لأنه كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء»[٤٠]، ووجدت أن من الجمهور ممن طعن فيها من مثل (محمد حسنين هيكل) و (محمود أبو رية)[٤١].

المطلب الثالث

اختصاصاته ﷺ في بعض الأحكام التكليفية

هناك بعض الأحكام التكليفية التي كانت مستحبة لأمته وعليه واجبة فمنها:

أولاً: قيام الليل والتهجد ووجوب الوتر على الأمة

أجمعت الأمامية على فريضته عليه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾[٤٢]، وقد ثبت عندهم ذلك بالإجماع[٤٣].

واليه ذهب ابن عباس، وتابعه الكثيرون من أهل العلم، منهم الشافعي في احد قوليه، وكثير من المالكية، ورجحه الطبري في تفسيره[٤٤]، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ أي نفلاً لك، أي فضلاً: (زيادة عن فرائضك التي فرضتُها عليك)، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٤٥]، وفي هذا المقام روت عائشة عن رسول الله ﷺ انه قال: (ثلاث هن عليّ فرائض ولكم سنة، الوتر والسواك وقيام الليل)[٤٦].

أما وجوب الوتر عليه فمتفق عليه عند عامة المسلمين لأنه من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجد[٤٧].

ثانياً: وجوب السواك عليه

مما أجمعت عليه الأمة وجوبه السواك عليه ﷺ في الوقت الذي هو مستحب للأمة، لحديث عبد الله بن حنظلة: «إن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء لكل صلاة، طاهراً وغير طاهر، فلما شق عليه ذلك أمر بالسواك لكل صلاة»، وفي لفظ (وضع عنه الوضوء إلا من حدث)[٤٨].

ثالثاً: صيام الوصال

ما عليه الأمة اختصاصه ﷺ بإباحة صيام الوصال له دون أمته [٤٩]، فقد ورد انه ﷺ نهى عن الوصال، فقيل له انك تواصل، فقال ﷺ: **(إني لست كهيئتكم، إني أطعم وأسقى)**[٥٠].

رابعاً: القتال في الحَرَم

وهذا أيضا مما اتفقوا عليه بأنه من المباحات له ﷺ في مكة دون أمته، وقد استدلوا على ذلك من قوله ﷺ: **(إن مكة حرمها الله، لم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم)**[٥١].

خامساً: دخول مكة بغير إحرام

مَنْ قال من الفقهاء لا يجوز لمكلف أن يدخل مكة بغير إحرام قال: إن دخول

رسول الله ﷺ مكة يوم فتحها بغير إحرام كان خاصاً به ﷺ، وهذهِ الخاصية قد ترتب عليها اثر شرعي[٥٢].

سادساً: القضاء بعلمه، والقضاء لنفسه

من منع القاضي أن يقضي بعلمه جعل ما قضى به رسول الله ﷺ بعلمه أمراً جائزاً؛ وذلك لقضائه ﷺ لهند بنت عتبة وقوله لها: خذي من ماله ما يكفيك[٥٣]. كما جُعل له ﷺ إباحة القضاء لنفسه؛ لان المنع من ذلك في حق الأمة للريبة، وهي منتفية عنه قطعاً، ومثله القضاء في حالة الغضب[٥٤].

سابعاً: وجوب الصلاة عليه في الصلاة

فمن لم يصل عليه وخصوصاً في التشهد الذي يلي الركعة الثانية فصلاته باطلة بالإجماع، وقد اوجب تعالى الصلاة عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٥٥].

ثامناً: مشاورة أصحابه في الأمر

اختلف العلماء في فريضة المشاورة على رسول الله، مع اتفاقهم على سنيتها على غيره، لقوله تعالى: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٥٦]، وقد حمل البعض هذا الأمر على الندب أو الإرشاد، لفقدان دليل يصلح لإثبات الفريضة، أما البقية فقد اتفقوا على فريضتها عليه ﷺ للنص القرآني المتقدم على أن يشاور في أمور الدنيا، كالحروب

ومكايد العدو؛ لان استقراء ما شاور فيه الرسول ﷺ أصحابه يدل على ذلك، أما أمر الوحي فانه لا يشاور به أحداً أبدا[٥٧]. وهناك اختصاصات أخرى عرضنا عن ذكرها بُعداً عن الإطالة فراجع مصادرها [٥٨].

المطلب الرابع

المحرمات المختصة به ﷺ

وهناك محرمات على الرسول ﷺ هي محللة على أمتهِ ﷺ؛ الغرض منها تنزيهاً له ﷺ عن سفاسف الأمور، وإعلاءً لشأنه؛ وذلك لان اجر ترك المحرم اكبر من اجر ترك المكروه، وبذلك يزداد رسول الله ﷺ علواً عند الله يوم القيامة إضافة إلى مقامه في الدنيا، ومن تلك المحرمات:

أولاً: حرمة الصدقة الواجبة عليه

والمقصود بها الزكاة الواجبة والنصوص المتواترة في ذلك منها: قوله ﷺ: **(إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة)**[٥٩]؛ وذلك صيانةً لمنصبه الشريف عن أوساخ الناس التي تعطى على سبيل الترحم وتنبيء عن ذل الآخذ، وأبدل بها الفيء الذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة المنبّئَين عن ذل المأخوذ منه، وعز الآخذ، ومشاركة أولي القربى له في تحريمها لا يقدح في الاختصاص به؛ لأن تحريمها عليهم بسببه، فالخاصة عائدة إليه مع أنها لا تحرم عليهم مطلقاً، بل من غير الهاشمي مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم، وأما عليه ﷺ فإنها تحرم مطلقاً[٦٠].

روى مسلم في صحيحه عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قول رسول الله ﷺ: **(إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)**[٦١].

ثانياً: حرمة أكله ﷺ ما له رائحة كريهة

الامامية يقولون: إنها غير محرمة عليه، (لكنه كان يمتنع منها لئلا يتأذى بها من يناجيه من الملائكة)[٦٢]. وقال آخرون: إن ذلك كان محرماً عليه بدليل ما رواه البخاري ومسلم من «ان رسول الله أُتيَ بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل فأُخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها، أي إلى بعض أصحابه فلما رآه كره أكلها، قال: كل فاني أناجي من لا تناجي»[٦٣].

ثالثاً: حرمة نظمه الشعر والخط

وهو مما حرم عليه ﷺ بالاتّفاق، وهو في قوله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٦٤]، عن هذه الآية يقول سيد قطب: «ينفي الله سبحانه لياقة الشعر بالرسول ﷺ وما ينبغي له، فللشعر منهج غير منهج النبوة، الشعر انفعال، وتعبير عن هذا الانفعال. والانفعال يتقلب من حال إلى حال. والنبوة وحي، على منهج ثابت، على صراط مستقيم، يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة، تقلب الشعر مع الانفعالات المتحدة التي لا تثبت على حال»[٦٥]، وعلى هذا حرم عليه ذلك.

والرجز جائز عليه؛ لأنه ليس بشعر كما يقول البيهقي، الذي استدل على قوله هذا بما انشده ﷺ من الرجز وهو يشارك في حفر الخندق، ومَن قال من أن الرجز من الشعر قال: «ان هذا خاصة ليس بشعر؛ لأن الشعر لا يكون شعراً إلا أن يصدر عن قائله بقصد الأشعار، وما كان ذلك في ذكر النبي ﷺ لهذا الرجز الذي قاله»[٦٦]. وكذلك يحرم عليه الخط، وذلك تأكيدا لحجته، وبياناً لمعجزته قال تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾[٦٧]، وقد اختلف هل كان ﷺ يحسنها أو لا؟[٦٨].

رابعاً: حرمة خائنة الأعين عليه

قيل هو الغمز بها أي الإيحاء بها إلى مباح من ضرب أو قتل[٦٩]، وهو مما حرم عليه ﷺ دون أمته إلا في محظور، والأصل في هذا التحريم عليه هو تنزيه مقام النبوة عنه، وقد استدل العلماء على حرمته بوقائع منها، أن النبي ﷺ يوم الفتح أمن الناس، إلا أربعة منهم عبد الله بن أبي سرح، فاختبأ عند عثمان، فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، جاء به فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم اقبل على أصحابه فقال: أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته ليقتله؟ قالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت بعينك، قال: انه لا ينبغي أن تكون لنبي خائنة الأعين[٧٠].

خامساً: حرمة نكاح الكافرة، والأمة، والممتنعة عن الهجرة

وهذا مما حُرم عليه ﷺ أيضا؛ وذلك لأنه ﷺ اشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة؛ لان الكافرة تكره صحبة رسول الله ﷺ.

كذلك يحرم عليه نكاح الأمة، ولو كانت مسلمة؛ لأن نكاحها معتبر لخوف العنت (أي الزنا) وهو معصوم عنه، أو لفقدان مهر الحرة، ونكاح رسول الله ﷺ غني عن المهر ابتدءاً، إذ يجوز له أن ينكح بغير مهر، ولأن نكاحها يؤدي إلى رق الولد ومقام النبوة منزه عن هذا.

وكذلك يحرم عليه نكاح من وجبت عليها الهجرة ولم تهاجر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[٧١].

وأبو يوسف كان له رأي آخر عن مفهوم هذه الآية فيقول: «لا دلالة في الآية على أن اللاتي لم يهاجرن كن محرمات عليه؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينفي ما عداه»[٧٢].

سادساً: حرمة نزع لامة الحرب إذا لبسها حتى يلقى عدوه ويقاتل

وهذا مما يحرم عليه ﷺ دون أمته لقوله ﷺ: (لا ينبغي لنبي إذا أخذ لامة الحرب وأذن في الناس بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل)[٧٣]، وواضح من هذا انه يشترك في هذه الخصوصية مع الأنبياء السابقين عليه ﷺ.

سابعاً: حرمة الإهداء لينال أكثر مما أهدى

حُرّم عليه ﷺ ان يهدي ليعطى أكثر مما أهدى لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ

تَسْتَكْثِرُ﴾[٧٤]؛ لأنه ﷺ مأمور بأشرف الآداب، واجل الأخلاق، نقل ذلك عن عبد الله بن عباس وتبعه على ذلك عطاء ومجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم[٧٥].

ثامناً: حرمة مد عينيه إلى ما متع الله به الناس

حُرم عليه ذلك بنص قوله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٧٦]، أي لا تنظرن إلى ما في أيديهم من النعم التي هي أشياء يشبه بعضها بعضاً، فان ما أنعمنا عليك وعلى من اتبعك من أنواع النعم وهي النبوة، والقرآن، والإسلام، والفتوح، وغيرها، أكثر وأوفر مما آتيناهم[٧٧].

وهناك محرمات أخرى واجبة على الأمة تجاه نبيِّها أي مما وجب على الأمة الإلتزام به تجاهه ﷺ من ذلك تحريم رفع صوت غيره عليه، ومناداته من وراء الحجرات، لقوله تعالى: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾[٧٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٧٩]، وقد أوضح صاحب الميزان معنى الآية بقوله: «أن المراد بالنهي عن التكلم قبل رسول الله ﷺ أي إذا كنتم في مجلسه وسُئِل عن شيء فلا تسبقوه بالجواب حتى يُجيب هو أولاً... ومعناه لا تسبقوه بقولٍ أو فعلٍ حتى يأمركم به ومنها أن المعنى لا تقدموا أقوالكم وأفعالكم على قول النبي ﷺ وفعله ولا تُمكِنوا أحداً يمشي أمامه... وعليه فإن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ بالجهر له بالقول معصيتان موجبتان للحبط فيكون من المعاصي غير الكفر ما يوجب الحبط»[٨٠].

وهناك اختصاصات كثيرة أخرى لا يسع المجال لذكرها وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن العظمة والتميز يكونان من صفات القائد الفذ، لأنه يجب أن يكون متميزاً عن رعيته، فكيف بمن كانت امتيازاته قد وهبتها له السماء؛ وذلك لأنه الخاتم، ولأنه المبعوث رحمة للعالمين، ولأنه الضياء الذي أضاء طريق الإنسانية وارسى دعائم هديها من خلال الرسالة السمحاء التي منحته الاوسمة والامتيازات حتى خاطبته السماء قائلةً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٨١].

... الخاتمة ...

بعد هذه الوقفة المباركة مع ما إختص به النبي الاكرم ﷺ دون سائر الانبياء، نود أن نقف على بعض مما توصل إليه البحث من نتائج:

١. ثبت أن قسما من بني البشر يستطيعون أن يصلوا الى المراتب العليا والمقامات الكبرى التي منحها الله تعالى للإنسان وذلك من خلال إطاعتهم للمولى عز وجل والاستعداد النفسي والروحي لذلك.

٢. ثبت أن الله سبحانه وتعالى قد حبا نبينا محمداً ﷺ باختصاصات جسدية كثيرة، بحيث جعل المسلمين يتبارون فيما بينهم للتبرك ببصاقه الشريف طمعاً بالشفاء.

٣. توصل البحث إلى انه ﷺ بقدر ما تمتع به من إختصاصات كذلك حرمت عليه أمور أخرى، كتحريم الصدقة عليه، إكراما له ولأهل بيته عليهم السلام.

٤. اتضح أنه ﷺ كانت له مختصات في بعض الأحكام التكليفية، كوجوب صلاة الليل عليه، في حين كانت مستحبة لامته.

٥. تبين أن المقام السامي للرسول ﷺ قد شمل حتى الاختصاصات الاجتماعية التي تأطرت بقضية النكاح والتي تعددت جوانبها ولم يشاركه أحد من الأنبياء.

.....

١) الحديد: ١٦.

٢) لسان العرب: ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)٤/ ١٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣) خصائص النبي ﷺ في القرآن: علي الافتخاري الكلبايكاني، ص٢٣٣، مؤسسة أنصاريان للطباعة، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.

٤) هو أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الأندلسي، كان يكني نفسه بذي النسبين وهو احد العلماء المشهورين بكثرة مصنفاتهِ في مختلف العلوم والمعرفة، منها كتب التفسير والحديث واللغة (ظ: وفيات الأعيان: ابن خلكان ٣/ ١٢١-١٢٣).

٥) ظ: المنجد، معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ص١٨٧-١٩٠.

٦) علل الشرائع: الصدوق (ت٣٨١هـ) ص١٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٧) تذكرة الفقهاء: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ) منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران- (د.ت).

٨) من تلك الكتب: مناقب آل أبي طالب لابن شهر أشوب ١/ ١٢٤-١٢٥ وكذلك خصائص النبي في القرآن: علي الافتخاري، جواهر الكلام: محمد حسن النجفي ٢٩/ ١١٩، شرائع الإسلام: الحلي ١/ ٢٤٩، الحدائق الناضرة: البحراني ٢٣/ ٧٨.

٩) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني، ٢٣/ ٨٧، شرح محمد تقي الايرواني، دار الأضواء، بيروت ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي ٢٩/ ١١٩ دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٧، ١٩٨١م.

١١) ظ: نساء النبي وبناته: نجاح الطائي ٨٨-٨٩، دار الهدى لإحياء التراث - لندن ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٢) ظ: زوجات النبي ﷺ، سعيد أيوب ١٢-١٣، دار الهادي - بيروت ط٢، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٣) الأحزاب : ٣٧.

١٤) الأحزاب : ٥٠.

١٥) كنز العرفان في فقه القرآن، أبو عبد الله المقداد السيوري الحلي ٣/ ١٠٧-١٠٨ مطبعة القضاء - النجف الاشرف (د.ت).

١٦) الأحزاب: ٢٨ - ٢٩.

١٧) الأحزاب: ٥٢.

١٨) جواهر الكلام: النجفي ٢٩/ ١٢٥ (مصدر سابق).

١٩) الأحزاب: ٥٣.

٢٠) الحدائق الناضرة: البحراني ٢٣/ ٩٥ (مصدر سابق).

٢١) الأحزاب: ٥٣.

٢٢) الحدائق الناضرة: البحراني ٢٣/ ٩٧ (مصدر سابق).

٢٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ٨/ ٥٧٤، دار المعرفة – بيروت ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م.

٢٤) الأحزاب: ٥١.

٢٥) كنز العرفان: ٣/ ١١٠–١١١ (مصدر سابق).

٢٦) تذكرة الأحكام: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ٢/ ٥٦٧، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٧) الأحزاب: ٣٧.

٢٨) تفسير الصافي: المولى محسن الملقب بـ (الفيض الكاشاني) ٤/ ١٩١ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢٩) تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تح: طيب الموسوي الجزائري ٢/ ١٩٤ دار السرور، بيروت ط١، ١٤١١هـ –١٩٩١م.

٣٠) سنن النسائي: النسائي ٢/ ٢١٦ دار الفكر للطباعة – بيروت ط١، ١٣٤٨هـ –١٩٣٠م.

٣١) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ٢/ ٢٥٩ تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

٣٢) صحيح البخاري: البخاري ٤/ ١٦٨ دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٣٣) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري ٧/ ٨١ دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٣٤) م.ن ٧/ ٨١ (مصدر سابق).

٣٥) صحيح البخاري،١/ ٦٦ (مصدر سابق).

٣٦) م.ن: ٧ / ٥٧ (مصدر سابق).

٣٧) م.ن: ٧ / ٨١.

٣٨) م.ن ٧/ ٣.

٣٩) صحيح مسلم ١/ ١٠١-١٠٢ (مصدر سابق).

٤٠) مجمع البيان: الطبرسي، ١٠/ ٧٧٠ (مصدر سابق).

٤١) راجع: حياة محمد: محمد حسنين هيكل ص٧٣، وأضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رَيَّه ١٨٢.

٤٢) الإسراء: ٧٩.

٤٣) ظ: جواهر الكلام: النجفي ٢٩/ ١٢٦ (مصدر سابق).

٤٤) جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠)، دار المعرفة، لبنان ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤٥) المزمل / ٢-٤.

٤٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، ٨/ ٨٦٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٧) ظ: جواهر الكلام: محمد حسن النجفي، ٢٩/ ١٢٦ (مصدر سابق).

٤٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢/ ٢٠٠-٢١١، دولة الكويت، ١٩٧٥م.

٤٩) ظ: جواهر الكلام: النجفي ٢٩/ ١٢٨ (مصدر سابق).

٥٠) صحيح البخاري: البخاري ٢/ ٢٣٢.

٥١) م.ن، ٢/ ٢١٣.

٥٢) الموسوعة الفقهية الميسرة: محمد علي الأنصاري، ١/ ٣٦١، مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعت، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٥٣) صحيح مسلم: مسلم، ٥/ ١٢٩.

٥٤) خصائص النبي ﷺ في القرآن: علي الافتخاري الكلبايكاني ٣١ (مصدر سابق).

٥٥) الأحزاب:٥٦.

٥٦) آل عمران: ١٥٩.

٥٧) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢/ ٢٠٥ (مصدر سابق).

٥٨) م.ن، ٢/ ٢٠٠-٢١١.

٥٩) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) ٦/ ١١٨٧، الباب ٢٩ من أبواب المستحقين للزكاة، ح٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٦٠) جواهر الكلام: النجفي، ٢٩/ ١٢٦-١٢٧.

٦١) صحيح مسلم: مسلم، ٣/ ١١٩.

٦٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، ١٦/ ٣٨٧ مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٣) صحيح البخاري: البخاري، ١/ ٢٠٨، صحيح مسلم: مسلم، ٢/ ٨٠.

٦٤) يس: ٦٩-٧٠.

٦٥) في ظلال القرآن: سيد قطب، ٧/ ٣٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٣٨٦هـ -١٩٦٧م.

٦٦) السنن الكبرى: أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، ٧/ ٤٣، دار الفكر، بيروت.

٦٧) العنكبوت: ٤٨.

٦٨) بحار الأنوار: المجلسي، ١٦-٣٨٣ (مصدر سابق).

٦٩) تذكرة الفقهاء: جمال الدين الحلي، ٢/ ٥٦٦ منشورات المكتبة المرتضوية، إيران حجري (د.ت).

٧٠) سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) تح: سعيد محمد اللّحام ١/ ٦٠٧، دار الفكر للطباعة، بيروت ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧١) الأحزاب: ٥٠.

٧٢) أحكام القرآن: أبو بكر الجصاص (ت٣٧١هـ) تح: عبد السلام علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٧٣) السنن الكبرى: البيهقي، ٧/ ٤١ (مصدر سابق).

٧٤) المدثر: ٦.

٧٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي / تح: احمد عبد العليم البردوني، ١٩/ ٦٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٦) الحجر: ٨٨.

٧٧) مجمع البيان: الطبرسي، ٣/ ١٣٠ (مصدر سابق).

٧٨) الحجرات: ٢.

٧٩) الحجرات: ٤.

٨٠) الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ١٨/ ٣٣٤- ٣٣٥، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٢.

٨١) سورةُ القَلَم: ٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص (ت٣٧١هـ)، تح: عبد السلام علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٢) أضواء على السنة المحمدية او دفاع عن الحديث، محمود أبو رَيَّه، ط٦، دار المعارف،مصر،د.ت.

٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤) تذكرة الأحكام، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ط١،مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم،١٤١٤هـ.

٥) تذكرة الفقهاء، جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ) منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران - (د.ت).

٦) تفسير الصافي،المولى محسن الملقب بـ (الفيض الكاشاني)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧) تفسير القمي،أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تح: طيب الموسوي الجزائري، ط١، دار السرور، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٨) جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠)، دار المعرفة، لبنان ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٩) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي / تح: احمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن النجفي، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١ م.

١١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني،شرح محمد تقي الايرواني، ط٣، دار الأضواء، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢) حياة محمد، محمد حسين هيكل، ط١٤، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.

١٣) خصائص النبي ﷺ في القرآن،علي الافتخاري الكلبايكاني، ط ٢، مؤسسة أنصاريان للطباعة، قم، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.

١٤) زوجات النبي ﷺ، سعيد أيوب، ط٢، دار الهادي، بيروت،١٤٢٠هـ

-٢٠٠٠م.

١٥) سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تح: سعيد محمد اللّحام، ط١، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦) السنن الكبرى، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت.

١٧) سنن النسائي، النسائي، ط١، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٣٤٨هـ -١٩٣٠م.

١٨) شرائع الإسلام، الحلي، المحقق الحلي(ت ٦٧٦ هـ)، المجموعة، فقه الشيعة إلى القرن الثامن. تحقيق وتعليق، السيد صادق الشيرازي. ط٢، المطبعة، أمير،قم، ١٤٠٩هـ.

١٩) صحيح البخاري، البخاري، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٠) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٢١) علل الشرائع، الصدوق (ت٣٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٢٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت (د.ت).

٢٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٦هـ -١٩٦٧م.

٢٤) كنز العرفان في فقه القرآن، أبو عبد الله المقداد السيوري الحلي، مطبعة القضاء - النجف الاشرف (د.ت).

٢٥) لسان العرب، ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

٢٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٨) مناقب آل أبي طالب،ابن شهر أشوب (ت ٥٨٨ هـ) المجموعة، مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام، تصحيح وشرح ومقابلة، لجنة من أساتذة النجف الأشرف،١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، د.م.

٢٩) معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، صلاح الدين المنجد،ط١، دار الكتاب الجديد،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠) الموسوعة الفقهية الكويتية، دولة الكويت، ١٩٧٥م.

٣١) الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ط٢، مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٢هـ.

٣٢) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين

الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٢هـ.

٣٣) نساء النبي وبناته، نجاح الطائي، ط٢، دار الهدى لإحياء التراث، لندن، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٤) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

٣٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبو العباس شمس الدين (ت٦٨١هـ)، تح، احسان عباس،دار صادر، بيروت،١٩٧٢ م.

آداب العالم والمتعلم
في أحاديث الرسول ﷺ

Ethics of the Scientist and Savant in the Speeches of the essenger Peace be upon him and his progeny

أ.د. مثنى علوان الجشعمي

م. شذى مثنى علوان الجشعمي

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

Prof. Dr. Muthana `Alwan Al-Jash`ami

Lecturer. Shatha Muthana `Alwan Al-Jash`ami

Univercity of Diala

College of Education for Humanities

Department of Scientific & Euchannail scinces educational

... ملخص البحث ...

إن البحث في أحاديث الرسول الكريم ﷺ غاية سامية، يسعى إليها كل مسلم مؤمن، يحب الله ورسوله، ويقتفي اثأر صحابته رضوان الله عليهم، لاسيما ان كانت هذه الأحاديث في العلم والتعلم، فرسول الله ﷺ هو الذي قد رسخ قواعد العلم، ووضع شروط التعلم، وحدد وظائف المعلم والمتعلم، في نصوص أحاديثه الشريفة.

لقد افدنا كثيراً، ونحن نقرا أحاديث نبينا الكريم في العلم والتعلم، حتى تستطيع القول إننا تمكنا من خلال هذه الأحاديث المباركة من ان نخط لانفسنا طريقاً نسير عليه في التعليم مستقبلا ان شاء الله.

وقد وضعنا منهجا لهذا البحث، فجعلناه على فصلين، كان الأول بعنوان: (التعلم والتعليم وأهميتها في الإسلام)، تحدثنا فيه عن: منهج الإسلام، ومكانة، محمد ﷺ، وأهمية الحديث الشريف، ومكانة العلم والعلماء في الإسلام، وطريقة التعليم عند المسلمين الأوائل، كما تحدثنا بنبذة مختصرة عن أهم معاهد التعليم في الإسلام، وأخيرا تكلمنا على آداب المعلم والمتعلم، ووظائف كل منهما.

وفي الفصل الثاني، وعنوانه: (الأحاديث النبوية في العلم والتعلم)، فقد جعلناه على مبحثين: **الأول** في الأحاديث الواردة في فضل العلم والتعلم، **والثاني** في الأحاديث الواردة في أفات العلم، وعلماء السوء.

...Abstract...

Delving into the speeches of the blessed messenger ***(Peace be upon him and his progeny)*** is of sublimity; a believing Muslim , who adores Allah and His messenger and follows suit of his companions (May Allah be pleased with them) , exerts himself to have such a target. Chiefly, the speeches manipulate science and learning : it is the messenger of Allah who erects the cornerstones of science, strikes the conditions of learning and sets bounds to both the teacher and disciple at many sacred texts of his speeches.

It is to declare that we, without measure, exploit the acts of reading the speeches of our benevolent prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** in science and learning to the extent each ploughs a path in line with his near future process of learning at the will of Him.

The study is bifurcated into two chapters ; the first is entitled as Importance of Learning and Education in Islam in which we tackle the ideology of Islam, the niche of Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)***, the importance of the sacred speeches [Hadeeth], the rung of science and scientists in Islam and deduction methodology of the Islamic pioneers. Also briefly we do take hold of the most important institutes of education in Islam. Finally we come across both ethics and function of the teacher and the disciple.

The second chapter , entitled as Prophetic Speeches about Science and Learning, consists of two sections; the first deals with the advantages of science and learning, the second focuses upon the speeches concerning with the blight of science and scientists of evil. Last but not least , the research paper terminates in a conclusion and recommendation.

... المقدمة ...

إن البحث في أحاديث الرسول الكريم ﷺ غاية سامية، يسعى إليها كل مسلم مؤمن، يحب الله ورسوله، ويقتفي اثآر صحابته رضوان الله عليهم، لاسيما ان كانت هذه الأحاديث في العلم والتعلم، فرسول الله ﷺ هو الذي قد رسخ قواعد العلم، ووضع شروط التعلم، وحدد وظائف المعلم والمتعلم، في نصوص أحاديثه الشريفة.

لقد افدنا كثيراً، ونحن نقرأ أحاديث نبينا الكريم في العلم والتعلم، حتى تستطيع القول إننا تمكنا من خلال هذه الأحاديث المباركة من ان نخط لانفسنا طريقاً نسير عليه في التعليم مستقبلا ان شاء الله.

وقد وضعنا منهجا لهذا البحث، فجعلناه على فصلين، كان الأول بعنوان: (التعلم والتعليم وأهميتها في الإسلام)، تحدثنا فيه عن: منهج الإسلام، ومكانة النبي محمد ﷺ، وأهمية الحديث الشريف، ومكانة العلم والعلماء في الإسلام، وطريقة التعليم عند المسلمين الأوائل، وتحدثنا بنبذة مختصرة عن أهم معاهد التعليم في الإسلام، وأخيرا تكلمنا على آداب المعلم والمتعلم، ووظائف كل منهما. وفي الفصل الثاني، وعنوانه: (الأحاديث النبوية في العلم والتعلم)، فقد جعلناه على مبحثين: الأول: في الأحاديث الواردة في فضل العلم والتعلم، والثاني: في الأحاديث الواردة في أفات العلم، وعلماء السوء. ثم انهينا البحث بخاتمة و أوجزت فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

الفصل الأول

التعلم والتعليم وأهميتهما في الإسلام

أولاً: منهج الإسلام ومكانة النبي محمد ﷺ

في بداية الحديث عن العلم والتعليم وأهميتهما في حياة المسلمين، ينبغي التعرف على الإسلام بوصفه منهجا، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي وفق بين الفلسفة والدين، والروح والمادة، والدنيا و الآخرة.

كما ان الدين المتفرد، الذي تناول هضم أطوار الحياة المختلفة، فدعا إلى العلم بنوعيه: الشرعي والكوني، وعد الكون مسخرا في خدمة الإنسان[1].

والإسلام دستور الهي، حدد بموجبه ما يلائم طبيعة الإنسان في شتى العصور والأحوال[2]. وقد أوضح رسول الله ﷺ من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي انزلها الله سبحانه وتعالى عليه، ومن خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي كان يقولها عليه الصلاة والسلام في مناسبات عدة.

لقد جاء الرسول العظيم محمد ﷺ نبياً للإنسانية، فوحد الأفكار، ووحد الأهداف، وبنى الإنسان على ثلاث دعائم: العقيدة، والقدوة، واختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، فالرسول ﷺ قدوة للآخرين في السلم والحرب، أخلاقاً

وسلوكا ومعاملة ومنهجاً وأسلوبا للحياة، فكان نبياً ورسولاً ومعلماً ورائداً وزعيماً وقائداً[٣]. قال الرسول الله ﷺ: **(إنما بعثت معلماً)**[٤].

لقد استطاع النبي الكريم بما يحمله من إيمان واسع عميق، وحكمة دقيقة، وشخصية فذة، وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز، الذي لا تنقضي عجائبه، بعث الحياة في الإنسانية، فقد عمد إلى الذخائر البشرية التي كانت قد أضاعتها الجاهلية والكفر، فاوجد فيها، بإذن الله، الإيمان والعقيدة، وبعث فيها الروح الجديدة، وأوقد مواهبها، ثم وضع كل واحد في محله فكأنما خلق له[٥].

لقد وضع النبي محمد ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب، أصاب الجاهلية في صميمها، و أرغم العالم العنيد بحول الله على ان ينحو نحواً جديداً و يفتتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ[٦].

ثانياً: أهمية الحديث الشريف

ان الأحاديث النبوية الشريفة تمثل جزءاً مهماً من حياة الرسول الكريم ﷺ بوصفها تجربة أخلاقية وقدر تاريخي، ومن هنا تبرز أهميتها في الحياة الفكرية والأخلاقية والعلمية، وهي المصدر الثاني لفهم الإسلام بعد القرآن الكريم، وهي التراث التربوي الخالد الذي دعا المسلمين إلى ان يتميزوا بأخلاقهم وسلوكهم واتجاهاتهم الفكرية والعقائدية، و كانت للرسول ﷺ طريقة محببة إلى القلوب في الوعظ غير المباشر، ويمتاز أسلوبه بالإيجاز والصفاء وقوة العبارة وتأثيرها، وهنا تستبين بلاغته، وتمكنه من اللغة وقدرته على توضيح المعاني، وإبرازها في صورة

مجسمة، ودقته في التشبيه ولا جدال في ذلك، فقد كان الرسول ﷺ أفصح الناس، وأبينهم وابلغهم حجة، واعززهم حكما، وأعظمهم تأثيرا في النفوس، لهذا حرص المسلمون على حفظ أثاره فجمعوها وشرحوها...

والأحاديث النبوية الشريفة تناولت العبادات والمعاملات، وأخرى في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وغيرها في العلم والتربية والقيم الأخلاقية[٧].

لقد أكد النبي ﷺ أهمية العلم وضرورة تعلمه، بأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأعطى العلم منزلة أعلى من العبادة عندما قال: **(مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة)** وأكد على التواضع والاحترام بقوله **(تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء)**. ويكفي العلماء فخراً أنهم جعلوا بمنزلة الأنبياء بقوله عليه الصلاة والسلام: **(العلماء ورثة الأنبياء)**[٨].

ثالثاً: مكانة العلم والعلماء في الإسلام

لقد كان للعلم والعلماء مكانة عالية في الإسلام وصلت إلى درجة التقديس، فهنالك نصوص كثيرة وردت في القران الكريم و وفي الحديث الشريف تشير إلى فضل العلم والعلماء.

ففي القرآن الكريم، قوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**. وقوله: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾**. وقوله: **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾**. وغيرها من الآيات الكريمة الكثيرة في

هذا الباب، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)**، وقوله: **(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريقا إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضا الله عنه وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض)**. وقوله: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)** وغيرها من الأحاديث الشريفة في فضل العلم والعلماء[٩]. وسنأتي إلى ذكر هذه الأحاديث في الفصل الثاني من هذا البحث.

رابعاً: طريقة التعليم عند المسلمين الأوائل

كان التعليم عند المسلمين الأوائل يعتمد اجمالا على التلقين والحفظ، ولاسيما في تعليم القرآن، وكان الحفظ من أهم شروط العلم عند المسلمين، وربما كان ذلك راجعا إلى حاجتهم إلى الاعتماد على الذاكرة أكثر من الاعتماد على الكتابة، وقد كانوا يفخرون بالعلم الذي (حوته الصدور) لا بالعلم الذي (حوته السطور) وقد كان بعض علماء المسلمين يرى البدء بالحفظ قبل الفهم، فكان يقال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس النشر[١٠].

خامساً: آداب المتعلم والمعلم ووظائفهما

وهي مما نصت عليه أحاديث الرسول الكريم ﷺ وقد وجدنا ان خير من فصل فيها الإمام الغزالي –رحمه الله–. ففي آداب المتعلم ووظائفه، ذكر الغزالي ما يأتي[١١]:

١. تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق، ومذموم الأوصاف، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى.

٢. ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا، ويبعد عن الأهل والوطن، فان العلائق شاغلة وصارفة، ولذلك قيل: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فأنت في إعطائه إياك بعضه على خطر».

٣. ان لا يتكبر المتعلم على المعلم، ولا يتآمر عليه، بل يلقي إليه زمام أمره، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، فالعلم لا ينال إلا بالتواضع، وإلقاء السمع للمعلم.

٤. ان يحترز المتعلم من الإصغاء إلى اختلاف الناس، سواء أكان ليدرسه من علوم الدنيا أم من علوم الآخرة، لان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع.

٥. ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة، ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه، ليطلع على مقصده وغايته، ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه، وان العلوم متعاونة، و بعضها مرتبط ببعض

٦. ان لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم.

٧. ان لا يخوض في فن، حتى يستوفي الفن الذي قبله، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، و بعضها طريق إلى بعض.

٨. معرفة الكيفية التي تدرك بها اشرف العلوم، ويراد بذلك شيئان، **الأول**: شرف الثمرة، **والثاني**: وثاقة الدليل وقوته، وذلك كعلم الدين، وعلم الطب، فان ثمرة احدهما الحياة الأبدية، وثمرة الأخرى الحياة الفانية، فيكون علم الدين اشرف.

٩. ان يكون قصد المتعلم في حياته، تحليه باطنه، وتجميله بالفضيلة وفي اَخرته القرب من الله سبحانه، والترقي إلى جوار الملا الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يقصد من وراء تعلمه الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران.

١٠. ان يعلم نسبة العلوم إلى المقصد حتى يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره، بان يجمع بين ملاذ الدنيا، ونعيم الآخرة، كما نطق به القرآن، وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان، فالأهم هو الذي يبقى أبد الآباد[١٢].

أما في وظائف المعلم وآدابه، فقد قال الغزالي: «العلم يقتنى كما يقتنى المال، فله حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغني عن السؤال، وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به، وحال تبصير وهو اشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم، فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات، فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب، والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره ولا يقطع، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق، كما قيل:

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق»[١٣]

ثم ذكر وظائفا لمن اشتغل بالتعليم، منها:

١. الشفقة على المتعلمين، وان يعاملهم مثل بنيه، قال رسول الله ﷺ: **(إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)**[١٤].

٢. ان يقتدى بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فلا يطلب على إفادة

العلم أجرا، ولا يقصد به جزاء ولا شكرا، وإنما يعلم لوجه الله تعالى، والتقرب إليه.

٣. ان يعمل على نصح المتعلم، وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة التقرب إلى الله تعالى، وترك المباهاة في ذلك.

٤. ان يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض – أي بصورة غير مباشرة –، ولا يصرح بذلك بأسلوب مباشر، وبطريق الرحمة،لا بطريق التوبيخ.

٥. ان لا يقبح المعلم، العلوم الأخرى التي لا يدرسها في نفس المتعلم، كمعلم اللغة مثلا، إذا عادته تقبيح مادة علم الفقه، ومعلم الفقه عادته تقبيح مادة علم الحديث والتفسير..... وهكذا.

٦. ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره من العلم، وان يكون مقتديا بالرسول الكريم ﷺ في قوله: **(نحن معاشر الأنبياء، أمرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم)**. رواه أبو داود.

٧. ينبغي للمعلم ان يلقي إلى المتعلم العلوم الظاهرة، اللائق به تعلمها، ولا يذكر له ما وراء ذلك من الأمور الدقيقة الصعبة الفهم، حتى لا يفتر رغبته في التعليم.

٨. ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالإبصار، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، ولذلك كان وزر العالم في معاصيه، أكثر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته ناس كثيرون ويقتدون به، لذلك قال الإمام علي عليه السلام: **(قصم ظهري رجلان، عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه)**. والله اعلم[١٥].

سادسا: نبذة عن أهم معاهد التعليم في الإسلام

المساجد: تعد المساجد مراكز ثقافية في أول عهد الإسلام، فقد ارتبطت التربية والتعليم في الإسلام بالمسجد ارتباطا وثيقا، وقد قامت حلقات الدراسة فيه منذ نشأ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون.

لقد كانت الدراسات أيام الإسلام الأولى، دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد، فاتخذوه مكانا للعبادة، ومعهدا للتعليم، ودارا للقضاء، وكان أول مسجد انشيء في الإسلام مسجد قباء، وكانت تعقد فيه حلقات العلم(١٦).

الكُتاب: لقد أصبح الكتاب بعد ظهور الإسلام، المكان الرئيس للتعلم، وقد دعت إلى ظهوره حاجات التوسع في نشر الدين، وانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة، وقد استمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية، لأنه كان المكان الرئيس لتعلم الصغار القرآن، ولان تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة، كان أمرا عظيم الخطر في الإسلام، حتى لقد عدَّ كثير من العلماء فرضا من فروض الكفاية(١٧). وفي وسعنا ان نقول ان المسلمين الأوائل عرفوا نوعين من الكتاب: الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالبا في منازل المعلمين، والكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي وكان مكانه المسجد(١٨).

منازل العلماء: لقد جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر، وقبل نشأة المساجد، يوم اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يلتقي فيه بأصحابه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد، وفضلا عن دار الأرقم كان النبي ﷺ يجلس بمنزله بمكة، ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم ولظروف خاصة

غدت بعض المنازل فيما بعد ملتقى للطلاب والمدرسين و ومن أهم هذه المنازل، منزل الشيخ الرئيس (ابن سينا)، ودار الإمام الغزالي (رحمهم الله)[١٩].

الفصل الثاني

الأحاديث النبوية في التعلم والتعليم

ان رسول الله ﷺ طبيب النفوس، والمربي المهذب، فهو يختار أحسن الأوقات للإرشاد ويتفقد أحوال أصحابه، ولاسيما الأحوال التي ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها، ولا يكثر عليهم فيملوا، وفي ذلك بيان لرفقهِ ﷺ بالأمة، وشفقته على المسلمين، ليأخذوا منه ببساطه وحرص لاعن ضجر وملال[٢٠].

يقول الأستاذ مصطفى محمد عمارة: «انعم بك يا رسول الله: فلقد اشتغلت بمهنة التدريس أكثر من سبعة عشر عاما، فعلمت ان أقوى التلاميذ تحتاج إلى مران وحكمة واختيار وقت مناسب، وحصص محدودة معينة قدر طاقة الطلاب، و إلا كل الذهن، وجمد العقل، وضاع الفهم، وكثر السقوط، وساءت النتيجة، ولقد شاهدت من أكثر حصصا اضافية، يشكو من الخيبة، ويئن من عدم فهم تلاميذه، ولقد علقت يا رسول الله حكمتك الصادرة عن مرب ماهر، وطبيب مداو، وعظ فأنصتوا له، وتحدث فسمعوا قوله العذب، وأمر فاتبعوه، ونهى فاجتنبوا، وبذا دانت لك المعمورة كلها يا رسول الله، ووجدت أتباعا و أنصارا، تفانوا في العمل بأقوالك الرشيدة»[٢١].

وعلى هذا فأحاديث رسول الله ﷺ في العلم والتعلم والتعليم ذات فوائد جمة لطالب العلم، والمعلم، فكلاهما ينهل من هذا النبع الخالد ليكون علمه خالصا لوجه الله تعالى.

والأحاديث في هذا الباب واسعة كثيرة[٢٢]، ولكن لا مجال لذكرها جميعا في هذا الفصل، كي لا يحصل تجاوز على شروط البحث العلمي، لذا عملت على اختيار عدد من هذه الأحاديث، وارتأينا تقسيمها على مبحثين:

الأول: ضم (الأحاديث الواردة في فضل العلم والتعلم وآدابها).

والثاني: شمل عدد من (الأحاديث الواردة في بيان آفات العلم وعلماء السوء).

ونود ان نذكر هنا، أننا سنكتفي بشرح حديثين فقط، في كل مبحث من هذه المباحث، وسنقتصر على ذكر بقية الأحاديث كما جاءت في كتب الصحاح أو المسانيد، لان هذا ليس مجال شرحها جميعا، و إلا تجاوزت صفحات هذا البحث المئات إذا أردت شرحها كلها، لذا اخترنا في المبحث الأول (ثلاثين) حديثا، وفي المبحث الثاني عشرة أحاديث فقط.

المبحث الأول

الأحاديث النبوية في فضل التعلم والتعليم وآدابهما

قال رسول الله ﷺ: **(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)**.[٢٣]

شرح الحديث: أشار النبي ﷺ إلى من لم يدخل في الدين أصلا، وإنما بلغه فكفر به، هو كالأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به[٢٤]. ويضرب لك النبي ﷺ مثل من قبل الهدى وعلم علم غيره، وأفاد واستفاد، فنفعه الله ونفع به، وكان مصدر الخير ومنبع البركات، وسيرته زكية ووجوده رحمة ونعمة، والثاني لم ينل الهدى فكان كالصخر لم ينفع ولم ينتفع به، وإنما اختار ﷺ الغيث ليؤذن باضطرار الخلق إليه، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾ وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلب ونضوب العلم، حتى أصابهم الله برحمته من عنده، وإنما ضرب المثل بالغيث للمشابهة التي بينه وبين العلم، فان الغيث يحي البلد الميت، والعلم يحي القلب الميت.[٢٥]

قال النووي: معنى هذا التمثيل، ان الأرض ثلاثة أنواع فكذلك الناس، فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد ان كان ميتا، وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب، والنوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم، فيحفظه ويحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثاني من الأرض مالا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب، وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أذهان ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العلم، ويستنبطون به الإحكام والمعاني وليس عندهم اجتهاد في العمل به، فهم يحفظونه حتى يجيء أهل العلم للنفع والانتفاع فتأخذه منهم فتنتفع به، هؤلاء نفعوا بما بلغهم.

والثالث من الأرض هي السباخ التي لا تنبت، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها، فكذلك الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة، ولا إفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم والأول للمنتفع النافع، والثاني للنافع غير المنتفع، والثالث لغيرهما، و الأول إشارة للعلماء، والثاني إلى النقلة، والثالث إلى من لا علم له ولا نقل.[٢٦]

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ﴾: **(فبدأ بالعلم، وان العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من أخذه اخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة)**.[٢٧]

شرح الحديث: فمعنى العلم قبول القول والعمل: أي الشيء يعلم أولا، ثم يقال ويعمل به، فالعلم مقدم عليهما بالذات، وكذا مقدم عليهما بالشرف، لأنه عمل القلب وهو أعضاء البدن، قال ابن بطال: العمل لا يكون إلا مقصودا به معنى

متقدما، وذلك المعنى هو علم ما وعد الله عليه من الثواب، وان الله تعالى أمر:

١. بتوحيده وتحسين العقيدة فيه سبحانه، والثقة به، والتصديق بوجوده وانه الرب الصمد.

٢. باستغفاره: أي طلب غفرانه ورجاء رحمته والتوبة والرجوع إليه في كل الأفعال، فالاستغفار إشارة إلى القول والعمل، وقد ورث العلماء ميراث النبوة، فمن نهج منهجهم وفقه الله تعالى للإعمال الصالحة، ويسر عسيره، وأزال آلامه، وفيه حث على طلب العلم، وتيسير سبل تعليمه.

٣. التبحر في الأحكام الشرعية وفهمها.

٤. القدوة بسيدنا أبي ذر بتنفيذ ما سمعه، والعمل به، وإرشاد الناس إلى حديث رسول الله ﷺ، أي لا ينثني عن عزيمته ولو قتل.

٥. الانتظام في سلك الربانين الذين زاد إخلاصهم لله تعالى، وشدة تعلقهم بربهم و حبهم للعلم وتعليمه، حلماء متصفون بالحلم،والحلم هو الطمأنينة عند الغضب.[٢٨]

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **(كونوا ربانين حكماء فقهاء)**. ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.[٢٩]

قال رسول الله ﷺ: **(لان تغدو فتتعلم أية من كتاب الله تعالى خير لك من ان تصلي مائة ركعة)**[٣٠]. أخرجه ابن ماجة.

قال رسول الله ﷺ: **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة)**[٣١]. رواه البخاري، الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**[٣٢]. رواه البخاري.

قال رسول الله ﷺ: **(فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)**[٣٣]. رواه ابن ماجة، الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(من سلك طريقا يبتغي فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة، وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، وان العلماء ورثة الأنبياء، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن اخذ به اخذ بحظ وافر)**[٣٤].رواه ابن ماجة.

قال رسول الله ﷺ: **(ان الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في الماء، ليصلون على معلم الناس الخير)**[٣٥].رواه الترمذي.

قال رسول الله ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[٣٦].رواه ابن ماجة.

قال رسول الله ﷺ: **(ما اعلم عملا أفضل من طلب العلم)**[٣٧]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(تعلموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلموه لتتجملوا به)**[٣٨]. رواه الدارمي.

قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس اعلم؟ قال: **(من جمع علم الناس إلى علمه، وكل طالب علم غرثان إلى علم)**[٣٩]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(من لم يكتب علمه، لم يعد علمه علما)**[٤٠]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(قيدوا العلم بالكتاب)**[٤١]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا فهم فيه، ولا قرآة ولا تدبر فيها)**[٤٢]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمونه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحدة والوحشة، والصاحب في الغربة، والدليل في السراء وفي الضراء، والسلاح على الأعداء، والمقرب عند الغرباء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة يهتدي بهم، وأئمة في الخير تقتفى أثارهم، ويوثق بإعمالهم، وينتهي إلى أرائهم، واعلم ان العلم إمام العمل والعمل تابعة، ويلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء)**.[٤٣]

قال رسول الله ﷺ: **(العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع)**[٤٤]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(العالم والمتعلم شريكان في الأجر)**[٤٥]. رواه ابن ماجه.

قال رسول الله ﷺ: **(اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما)**[٤٦]. رواه ابن ماجه.

قال رسول الله ﷺ: **(علموا وبشروا، ويسروا ولا تعسروا)**[٤٧]. رواه احمد بن حنبل.

قال رسول الله ﷺ: **(تعلموا تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا)**[٤٨]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء)**[٤٩]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(قارئ القرآن والمتعلم تصلي عليهم الملائكة)**[٥٠]. رواه الدارمي.

قيل لرسول الله ﷺ: هل بقي شيء من العلم لا تعلمه؟ قال: **(قد علم الله عز وجل خيرا، وان من العلم مالا يعلمه إلا الله)**[٥١]. رواه احمد بن حنبل.

قال رسول الله ﷺ: **(أبث العلم في أخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرآة، والعبد الحر، والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم، أخذتهم بحقي عليهم)**[٥١]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(ان العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما)**[٥٣]. رواه احمد بن حنبل.

قال رسول الله ﷺ: **(ان هذا القران مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم)**[٥٤]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(من علم علما، فليعلم الناس)**[٥٥]. رواه الدارمي

قال رسول الله ﷺ: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم)**[٥٦]. رواه البخاري.

المبحث الثاني

الأحاديث النبوية الواردة في آفات العلم وعلماء السوء

وقد اخترنا منها عشرة أحاديث، واكتفينا بشرح حديثين منها فقط.

عن انس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ان من اشراط الساعة، ان يرفع العلم، ويثبت الجهل ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال و حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)**[٥٧]. رواه البخاري.

شرح الحديث: يقول الأستاذ مصطفى محمد عمارة: «ان البر نذير مبين لفناء العالم، هذه الخمسة التي يذكرها رسول الله ﷺ، فعلى قادة الأمم الانتباه لها والإكثار من العلم الشرعي الصادر عن قادة الأمم الانتباه لها والإكثار من العلم الشرعي الصادر عن الحكيم القائل: ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾، أنا لا أعد النبوغ في الاختراعات الحديثة علما، لان اغلبها للحروب الشعواء الضروس المدمرة، وما الحروب الماضية ببعيدة، وإنما اعد العلم هو التفقه في الكتاب والسنة وهو فهم آداب الدين، والتكمل والتجمل، والاقتداء بأفعال خاتم المرسلين ﷺ و واني اخشى على الأمم الإسلامية من هذه العوارض التي تنذر بدمارها، وهي:

١. عدم العناية بعلوم الدين.
٢. فشو الجهل.
٣. إدمان الشباب على الخمر.
٤. تبرج النساء وخلاعتهن وخروجهن على آداب الدين.
٥. إعراض الشباب عن الزواج وتهتك الفتيات المائلات المميلات الفاتنات، اسأل الله السلامة.(٥٨)

كتب عمر بن عبد العزيز: ولتفشوا السلام ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا، وان تعاليم الشرع: الصدق والأمانة والزهد والقناعة، والعفاف والاستقامة والحياء، فإذا رأيت تلك الخصال الذميمة في بيئة ما فاحكم بنقص دينها وثلم إيمانها وضعف إسلامها، وانتظر قرب يوم القيامة كما انبأنا ﷺ بذلك، وقد قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي أصابت الناس المصائب بالأزمة والقحط، وقلة الإمطار، أو شدة الفيضان، وقلة الإنتاج والريع في المزروعات، وكساد التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق، ومحق البركات من كل شيء بسبب معاصي الناس وكثرة ذنوبهم وفجورهم، وتبرج نسائهم وقال النسفي: «ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا و قبل ان يعاقبهم عليها جميعا في الآخرة».(٥٩)

قال رسول الله ﷺ: **(ان اشد الناس عذابا يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه)**.(٦٠)

شرح الحديث: ان هذا يدل على عظيم خطر العلم و فان العالم إما متعرض لهلاك الأبد، أو لسعادة الأبد، قال الحسن البصري ﷺ: «لا تكن ممن يجمع علم العلماء و وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء».

وقال الخليل بن احمد: «الرجال أربعة: رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه، ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه».(٦١) وقال سفيان الثوري ﷺ: «يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل». وقال ابن المبارك: «لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن انه قد علم فقد جهل». وقال الفضيل بن عياض ﷺ: «اني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالما تلعب به الدنيا».(٦١)

قال رسول الله ﷺ: **(العلماء ثلاثة، عالم بالله يخشى الله، فذاك العالم الكامل، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى، فذلك العالم الفاجر)**(٦٢). رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(تعلموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلموه لتتجملوا به)**(٦٣). رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: **(ان مثل علم لا ينفع، كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله)**(٦٤). رواه احمد بن حنبل.

قال رسول الله ﷺ: **(ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)**(٦٥). رواه البخاري الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: (آفة العلم النسيان، وترك المذاكرة)[٦٦]. رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: (من كتم علما عنده، ألجمه الله بلجام من نار)[٦٧].رواه ابن ماجة.

قال رسول الله ﷺ: (لا خير في عبادة لا علم فيها)[٦٨].رواه الدارمي.

قال رسول الله ﷺ: (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار)[٦٩]. رواه ابن ماجه، الدارمي.

نتائج البحث

وفي الختام يمكننا ان نجمل ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية:

١. ان الأحاديث النبوية الشريفة تمثل جزءا مهما من حياة الرسول الكريم ﷺ، بوصفها تجربة أخلاقية لها قدر تاريخي كبير، ومن هنا تبرز أهميتها في الحياة الفكرية والأخلاقية والعملية، فهي المصدر الثاني لفهم الإسلام بعد القرآن الكريم.

٢. ان للعلم والعلماء مكانة عالية في الإسلام، وصلت إلى درجة التقديس، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، مثلما نصت عليه أحاديث الرسول ﷺ.

٣. ان للمتعلم والمعلم آدابا ووظائف، لابد لكل منهما الالتزام بها وإتباعها لاسيما ان أراد المسلم (عالما أو متعلما) ان يكون عمله وعلمه خالصا لوجه الله تعالى.

٤. ان رسول الله ﷺ هو المربي والمهذب لأبناء هذه الأمة، فلم يترك مناسبة الا وكان فيها مرشدا ومعلما وواعظا، ووعظه للمسلمين كان مصحوبا برفق وشفقة حتى لا يضجروا أو يملوا من ذلك الواعظ والإرشاد.

٥. هناك أحاديث كثيرة في فضل العلم والتعلم وان هناك أحاديث وردت في بيان أفات العلم، وعلماء السوء وهذه الأحاديث بمجموعها، تصل إلى ما يقرب من (٢٧٥) حديثا، وهذا يدل على أهمية هذا الباب عند رسول الله ﷺ وعنايته به.

.....

١) ينظر: منهجنا التربوي: ١٠ (المقدمة).
٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.
٣) صفحات تربوية من التراث العربي:٨١.
٤) رواه ابن ماجة في سننه: المقدمة:١٧.
٥) ينظر: من الجاهلية إلى الإسلام: ٤٤.
٦) المصدر نفسه: ٤٨.
٧) صفحات تربوية من التراث العربي:٨١.
٨) ينظر مبادئ التربية: ١٦، ١٧وصحيح البخاري باب علم.
٩) التربية عبر التاريخ: ١٨١-١٨٢، و سنن الدارمي،المقدمة ٣٢
١٠) ينظر التربية عبر التاريخ: ١٨٥.
١١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٤٨-٥٣.ج١.
١٢) إحياء علوم الدين: ٥١-٥٣.
١٣) إحياء علوم الدين: ٥٥.ج١.
١٤) سنن الدار مي: باب الطهارة: ٤٠، ومسند الإمام احمد بن حنبل: ٢/ ٢٥٠.
١٥) ينظر: إحياء علوم الدين: ٥٥-٥٨.ج١
١٦) ينظر: التربية عبر التاريخ: ١٥٢-١٥٣.
١٧) المصدر نفسه: ١٤٦.
١٨) التربية عبر التاريخ: ١٤٦.
١٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩.
٢٠) ينظر: جواهر البخاري بشرح القسطلاني: ٥٥.
٢١) المصدر نفسه: ٥٥-٥٦.
٢٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: ٣١٨-٣٣٦.
٢٣) صحيح البخاري: باب علم:٢٠، وصحيح مسلم:باب الفضائل: ١٥، ومسند الإمام احمد:٤/ ٣٩٩.
٢٤) ينظر: جواهر البخاري بشرح القسطلاني: ٥٩.
٢٥) المصدر نفسه: ٥٩.

٢٦) جواهر البخاري بشرح القسطلاني: ٥٩-٦٠، وينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: باب فظل العلم: ١٦١.

٢٧) صحيح البخاري: باب علم: ١٠، وصحيح مسلم: باب ذكر: ٣٧.

٢٨) جواهر البخاري بشرح القسطلاني: ٥٣-٥٤.

٢٩) جواهر البخاري بشرح القسطلاني ، باب العلم قبل القول والعمل: ٥٤.

٣٠) سنن ابن ماجة ، المقدمة: ١٦.

٣١) صحيح البخاري ، باب علم:١٠، وسنن الدارمي، المقدمة: ٣٢.

٣٢) صحيح البخاري، باب علم: ٢١.

٣٣) سنن ابن ماجة، المقدمة: ١٧، وسنن الدارمي، المقدمة: ٢٩.

٣٤) سنن ابن ماجة والمقدمة: ١٧.

٣٥) سنن الترمذي، باب علم: ١٩.

٣٦) سنن ابن ماجة، المقدمة: ١٧.

٣٧) سنن الدارمي، المقدمة: ٣٢.

٣٨) سنن الدارمي، المقدمة: ٣٤.

٣٩) سنن الدارمي، المقدمة: ٢٨.

٤٠) المصدر نفسه، المقدمة: ٤٣.

٤١) المصدر نفسه: ٤٣.

٤٢) المصدر نفسه، المقدمة: ٢٩.

٤٣) لم أجد هذا الحديث في كتب الصحاح ، وإنما نقلته عن كتاب:صفحات تربوية من التراث العربي: ٨١ -٨٢، لأنني أجده قد جمع كل ما يمكن ان يقال في العلم والتعلم.

٤٤) سنن الدارمي، المقدمة: ٣٤.

٤٥) سنن ابن ماجة، المقدمة: ٢٧.

٤٦) المصدر نفسه، المقدمة: ٢٣.

٤٧) مسند الإمام احمد بن حنبل: ١/ ٢٣٩ ، ٢٨٣، ٣٦٥.

٤٨) سنن الدارمي، المقدمة:٣٤.

٤٩) المصدر نفسه، المقدمة:٣٦.

٥٠) سنن الدارمي، باب فضائل القرآن: ١.

٥١) مسند الإمام احمد بن حنبل: ٥/ ٣٦٩.
٥٢) سنن الدارمي، المقدمة:٢٧.
٥٣) مسند الإمام احمد بن حنبل: ٥/ ٢٤٣.
٥٤) سنن الدارمي، باب فضائل القرآن: ١.
٥٥) المصدر نفسه، المقدمة: ٢١.
٥٦) صحيح البخاري، باب علم: ١٠.
٥٧) صحيح البخاري، باب علم:٢١،وجاء في رواية: يقل العلم ويظهر الجهل.
٥٨) جواهر البخاري بشرح القسطلاني:٦١-٦٢.
٥٩) المصدر نفسه: ٦١-٦٣، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري و باب فضل العلم: ١٦٢-١٦٣.
٦٠) سنن الدارمي، المقدمة: ٢٧.
٦١) إحياء علوم الدين: ٥٩ج١.
٦٢) سنن الدارمي، المقدمة:٣٤.
٦٣) سنن الدارمي، المقدمة:٣٤.
٦٤) مسند الإمام احمد بن حنبل:٢/ ٤٩٩.
٦٥) صحيح البخاري، باب علم: ٣٤، وسنن الدارمي، المقدمة: ٢٦.
٦٦) سنن الدارمي، المقدمة:٥١.
٦٧) سنن ابن ماجة، المقدمة: ٢٤.
٦٨) سنن الدارمي، المقدمة: ٢٩.
٦٩) سنن ابن ماجه، المقدمة: ٢٣، وسنن الدارمي، المقدمة: ٢٧.

المصادر والمراجع

١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

٢) التربية عبر التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين) الدكتور عبد الله عبد الدايم و ط (١)، ١٩٧٣، دار العلوم للملاين، بيروت، لبنان.

٣) جواهر البخاري بشرح القسطلاني للدكتور مصطفى محمد عمارة ط (١)، ١٩٨٣، مطبعة بابل، بغداد.

٤) سنن ابن ماجة لابن ماجه وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة، ١٩٥٢م.

٥) سنن أبي داود لأبي داود، ط (١)، مصر، ١٩٥٢م.

٦) سنن الدارمي للدار مي، محمد بن اسماعيل، دمشق، ١٣٤٩هـ.

٧) صحيح البخاري للإمام البخاري و مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٧هـ.

٨) صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٩٥٥م.

٩) صفحات تربوية من التراث العربي خليل إبراهيم السامرائي، مطبعة اوفسيت رافد، ١٩٨٤م.

١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط (٢)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٥٩.

١١) القرطبي، الامام ابو عبد الله، ٦٧١هـ. الجامع الكبير لاحكام القران. ب.ت.

١٢) مبادئ التربية و تطورها واتجاهاتها الحديثة للدكتور محمد علي نايف، والدكتور عبد الأمير الوكيل، والدكتور علاء كامل العمر، ط(٥)، مطبعة وزارة التربية، بغداد،١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٣) مسند الإمام احمد بن حنبل للإمام احمد بن حنبل، بيروت، لبنان، لا طبعة، لا تاريخ.

١٤) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونشره، ونسنك ومنسنج، مع الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي، ج(٤)، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٦٢م.

١٥) من الجاهلية إلى الإسلام للأستاذ السيد أبي الحسن الندوي، منشورات المكتب الإسلامي، جنيف و سويسرا، لا طبعة، لا تاريخ.

١٦) منهجنا التربوي دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية لعبد الحافظ الكبيسي، ط(١)، مطبعة الحوادث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

النص القرآني
بين المشافهة والكتابة

Quranic Text between Written and Unwritten Acts

أ. د. زهير غازي زاهد
الجامعة الإسلامية / النجف الاشرف

Prof.Dr. Zuheir Ghazi Zahid
Islamic University , Sacred Al-Najaf

... ملخص البحث ...

إن الجوانب المشرقة في سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ متعددة، وعلى الرغم من ذلك وجدنا بعض التوجهات القديمة أو الحديثة التي تحاول بقصد أو من دون قصد عكس بعض الجوانب التي لا تنسجم وشخصيته المباركة، وحاول هذا البحث التصدّي إلى موضوعة مهمة جداً في تاريخ السيرة المحمدية تلك هي موضوع (أمية الرسول الكريم محمد ﷺ) وانعكاسات تلك الموضوعة على بعض متلازمات النصّ القرآني كحفظه وتدوينه ومشافهته وطرائق وصوله.

لذا حفرنا في هذا البحث عن تلك الموضوعة في كتب السيرة والتاريخ وبعض دراسات المستشرقين وسواهم ممن تتعلق كتاباتهم بموضوع البحث.

...Abstract...

Though having brilliant vantage points in the personality of the Prophet Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)***, yet it is to find some past and modern recommendation endeavouring, intentionally or unintentionally, to expose some vantage points inequitable to his blessing personality, so the paper takes hold of an important issue in the Mohammedan chronicle ; illiteracy of the blessed messenger Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)*** and its reflections on some syndromes of the Quranic text as memorization, recording and orality [unwritten acts] and the way of its delineation.

It is to delve into the chronicles , history and some studies for the orientalists to meet the requirements of the study.

ولد النبي محمد بن عبد الله ﷺ لاثني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة قبل أن يبعث باربعين سنة، وحملت به أمه آمنة بنت وهب في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وولد في شعب أبي طالب.

كان الرسول ﷺ يعتزل للتعبد في غار حراء في جبل بمكة، وقد أنزل القرآن عليه في ليلة القدر من شهر رمضان، فشهر رمضان صرح به القرآن الكريم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر ١، ٢، ٣]. أما الليلة التي نزل فيها ففي تعيينها أقوال، فأقوى الروايات انها في العشر الأواخر منه، روى عن أبي جعفر الصادق عليه السلام انهما ليلتان احدى وعشرون وثلاث وعشرون من رمضان وعن أبي ذر: أنزل الفرقان على محمد لاربع وعشرين من شهر رمضان[١]، وروي هي سبع عشرة من رمضان عن الحسن بن علي عليه السلام انه قال: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان[٢].

وكان اول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ و قوله: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وكان في غار حراء، قال ﷺ فهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا[٣].

بقي ﷺ بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة، ثلاث سنين منها كانت دعوته خفية، لم يبادر قريشاً، وقد دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا الاسلام بمكة[٤].

وبعد حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر ٩٤، ٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ـ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ٢١٤،٢١٥]. فلما جاءه الأمر باظهار دعوته وإعلانها خرج مع المسلمين يقيمون الصلاة ويدعون الناس، وعندما ذكر آلهة قريش وسخر من اصنامها أجمعوا على خلافه، وأخذت وفود قريش تأتي غاضبة إلى عمه أبي طالب ناصره وحاميه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله لا يرده عنه شيء، ولا يعيقه معاداة قريش وتهديدهم، فكانت الايام صعبة على المسلمين إذ لم يكن جانبهم قويا ازاء طواغيت قريش إلاّ اعتصامهم بالله.

أول من آمن به من النساء زوجه خديجة بنت خويلد التي أيدته حين أخبرها بنزول الوحي عليه ووازرته، وأول من آمن به من الذكور علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تربى في بيت النبوة وكان تابعا للنبي في جميع أفعاله مقتديا به[٥]، وأول من جهر بقراءة القرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود على الرغم من الخوف من المشركين، فغدا حتى أتى المقام في الضحى وقريش في انديتها.. ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعا صوته ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ..﴾ فقاموا اليه وجعلوا يضربونه في وجهه وهو يقرأ حتى بلغ ما شاء أن يبلغ[٦].

أهم وسيلة لحفظ القرآن الكريم في مكة حفظه في الصدور، وهي الأكثر شيوعا والأوسع انتشارا، خصوصا في سني الدعوة الأولى قبل الهجرة.

والوسيلة الأخرى الكتابة فهي الأثبت وقد اهتم بها ﷺ منذ البداية، وقوله: **(قيدوا العلم بالكتاب)**[٧] دليل اهتمامه بالكتابة.

كان كلّما نزل من القرآن أمر بكتابته وحفظه واشاعته بين الناس، فكان المسلم يكتب الآية أو الايات بعد اخذها من الرسول ﷺ يحفظها ويشيعها بين الناس بقراءتها وتعليمها. وقد رويت مناسبات في ذلك كما روي في إسلام عمر بن الخطاب حين سمع باسلام اخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد فقصد بيتها وكان عندهما الخّباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة (طه) يقرؤها عليهما ودخل عليهم عمر غاضبا وأخذ الصحيفة فقرأها فاستحسن الكلام وهدي للإسلام – وكان اسلامه بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة[٨].

لقد عانى الرسول ﷺ والمسلمون وهم في مكة معاناة شديدة، فكان القرآن ينزل عليه منجّماً: الآية والخمس والعشر فيحفظها ويعلمها اصحابه فيحفظونها ومنهم من كان يكتبها، وكان عددهم في تكاثر بالرغم من صعوبة المرحلة، فالشفاهية والحفظ كانا الوسيلة الكبرى لحفظ القرآن في المدة التي بقيها في مكة، وقد أنزل عليه فيها اثنتان وثمانون سورة منها ما نزل تمامه في المدينة.

وبعد هجرته إلى المدينة واستقراره فيها كان ترتيب كتابة الوحي وكتابه اكثر وضوحا في العشر سنين قبل وفاته ﷺ في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وستين سنة[٩].

لقد اتخذ الرسول وسيلتين مهمتين للحفاظ على نص القرآن الكريم كما ذكرت: احداهما الحفظ والتحفيظ والاخرى الكتابه والتدوين.

كان يقرأ ما كان ينزل من القرآن الكريم على الصحابة كما كان يستقرئهم. قال ابن مسعود: قال لي النبي ﷺ: اقرأ علي، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: نعم، فقرأت (سورة النساء)[١٠].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشرة الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل»[١١].

فكان ﷺ يلقن أصحابه القرآن بنفسه ويعارضهم ويسمع منهم في رمضان خاصة شهر نزول الوحي عليه كل سنة وهم يستمعون.

وروي عن ابن مسعود قوله حين طلب اليه ترك ما خالف في قراءته نسخة المصحف التي كتبت في عهد عثمان: كيف تأمرونني أن أقرأ على زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله بضعا وسبعين سورة وإنّ زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان[١٢].

وفي حديث السيدة فاطمة عليها السلام قالت: أسرّ إليّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وانه عارضي العام مرتين ولا اراه الا حضور أجلي[١٣].

وقد كثر عدد الحفظة للقرآن أو السور منه في عهد رسول الله ﷺ فقد قتل في عهده في بئر معونة زهاء سبعين من القراء، وقد ذكر ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (القراءات) عدداً كبيراً من الحفاظ[١٤].

أما حفظ بعض سور القرآن فقد كان منتشرا، وعن عبادة بن الصامت: كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منّا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا[١٥].

كان الصحابة في حياة الرسول ﷺ يجمعون القرآن حفظا وهم القراء، ومنهم من جمعه حفظاً وكتابة، وقد تحدث الشيخ الزرقاني عن (جمع القرآن بمعنى حفظه) وعن (جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته في عهد الرسول ﷺ)[١٦].

الاخبار في جمع القرآن الكريم كثيرة لكنها متخالفة في عدد الجامعين للقرآن[١٧]، وبعد حياة الرسول ﷺ ظهرت اخبار عن جمع القرآن الكريم مختلفة ومتناقضة ايضا، وكأن القرآن الكريم لم يجمع ولم يدون تحت اشراف النبي وكتاب الوحي، وبعض الروايات تشير انه في الرسول ﷺ يحتوى على الأحرف السبعة الواردة في الحديث[١٨]، وهو كلام غامض يوحي بدلالات متناقضة.

لقد استعرض السيد ابو القاسم الخوئي الاخبار والروايات في جمع القرآن الكريم وبين تعارضها وتناقضاتها، وعدم دقة الرواة فيها وعدم مناسبة الكثير منها لمقام أقدس كتاب لدى المسلمين، وعدم النظر إلى اهتمام الرسول ﷺ والصحابة في عهده بنصوص الذكر الحكيم وحفظها وتدوينها وتعلمها ثم مخالفة الكثير منها لحكم العقل[١٩] وخرج في بحثه إلى «أن اسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم مخالف للكتاب والسنة والاجماع والعقل،.. غاية الأمر ان الجامع قد دون في المصحف ما كان محفوظا في الصدور على نحو التواتر، نعم، ان عثمان قد جمع القرآن في زمانه لا بمعنى انه جمع الايات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جمع المسلمين في قراءة امام واحد وأحرق المصاحف الأخرى التي تخالف ذلك المصحف وكتب إلى البلدان ان يحرقوا ما عندهم منها. ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة وقد صرح بهذا كثير من الاعلام»[٢٠].

وقد روى قول الحارث المحاسبي في ذلك: «المشهور عند الناس ان جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي انزل بها القرآن..»[٢١]، فالخليفة عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين والتي تلقوها بالتواتر عن النبي ﷺ وانه منع عن القراءات الأخرى المبتنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف التي تقدم توضيح بطلانها[٢٢].

كتابة القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ

اما الوسيلة الاخرى لحفظ النص القرآني فهي كتابته باتخاذ كتّاب للوحي لتثبيت النص على ما توحيه رموز الحروف اكثر من القراءة الشفوية.

لقد اتخذ النبي ﷺ كتابا للوحي بلغ احصاؤهم ثلاثة واربعين، ولم يكن جميعهم يكتب الوحي وانما وزع الرسول عليهم أعماله الكتابية بحيث خصص كل واحد منهم لعمل من اعماله، فقد روي أنّ عليا عليه السلام وعثمان كانا يكتبان الوحي وبعد الهجرة بقيا كذلك فاذا غابا كتب أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت والامام علي عليه السلام كان يكتب عهود النبي مع كتابة الوحي.

وان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس وفيما يوصي به. وان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم

وفي دور الانصار بين الرجال والنساء. وان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي. وان مُعَيقبَ بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله ﷺ. وان حنظلة بن الربيع ابن اخي اكثم بن صيفي الأسيدي كان خليفة كل كاتب من كتاب النبي اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب وكان يضع عنده خاتمه وقال له الزمني واذكرني بكل شئ...

وان أبي بن كعب بن قيس وهو من يثرب من بني النجار من الخزرج أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة – وكذلك زيد بن ثابت من الانصار من بني النجار، وروي انه في السنة الرابعة من الهجرة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب يهود وقال: **(لا آمن أن يبدلوا كتابي)** فتعلم كتابهم وتولى كتابة رسائل الرسول ﷺ اليهم والرد على رسائلهم(٢٣).

وكان من كتابه في مكة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما اكتشف الرسول ﷺ عدم أمانته في الكتابه فكان يملي عليه عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فطرده الرسول ﷺ فارتد ولحق بقريش فلما كان فتح مكة امر الرسول ﷺ بقتله، فكلمه فيه عثمان بن عفان وشفع له بانه تاب فأمر الرسول ﷺ بتركه(٢٤).

كان كتاب الوحي يكتبون النص القرآني كما يمليه عليهم الرسول ﷺ. بلسان قريش، والكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أحرف كما روي في الحديث لأن الأحرف السبعة لا يمكن ان يتضمنها الرمز الخطي، وقد تمت نصوص ما كتب بمكة بأيدي كتاب قرشيين، وفي المدينة بأيدي كتاب من الأنصار مع القرشيين ولم تكن فروق تذكر في الرسم واللغة بينهما، يضاف إلى ذلك مراقبة الرسول ﷺ ومتابعته لما يكتب بالقراءة والمعارضة كما سبق ذكره، فحين اكتشف عدم أمانة ابن أبي سرح طرده،

ومع المنهج الدقيق الذي اتبعه الرسول ﷺ في توثيق النص القرآني ظهر الخلاف في قراءة القرآن من الصحابة وكثرت الخلافات حتى روي الحديث: «ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه» على اختلاف رواياته. روي في المدينة بعد الهجرة[٢٥]. وتشعبت شروح الأحرف السبعة واختلاف رواياته ووضعت عليها حكايات وتأويلات أخرجتها إلى ما يشبه الخرافة[٢٦].

وقد روي الحديث وفسر كما يأتي: «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن» وفسر الظهر بظاهر المعنى والبطن بباطنه وتأويله وهو من المجاز[٢٧].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **(ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من الرواة)**[٢٨].

ويبقى ما رواه الزركشي يؤكد وحدة النزول والقراءة بقوله: «واعلم ان القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز، والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما.. ان القراءات السبع متواترة عند الجمهور.. اما تواترها عن النبي ففيه نظر..»[٢٩] ومما يؤكد ان كتابة القرآن لا تحتمل الأحرف كما بالغ مفسرو الحديث وابتعدوا عن واقعه، وانما هو حرف واحد يحتمل التأويل ما عثر عليه من أثر لمصحف عثمان الامام.

ذكر ابو عمرو الداني في رواية مسندة جاء فيها: حدثنا خلف بن ابراهيم بن محمد قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام: رأيت في الامام مصحف عثمان بن عفان «استخرج لي من بعض خزائن الامراء، ورأيت فيه اثر دمه» في سورة البقرة ﴿خَطَيَٰكُمْ﴾ [٥٨] بحرف واحد

والتي في الاعراف ﴿خَطِيئَكُمْ﴾ [٦] بحرفين[٣٠] وهذا قول علم من أعلام القراء.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة. كانوا يقرءون القراءة العامة وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الاخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات[٣١].

فاذا عرفنا ان القرآن الكريم جمعه عدد من الصحابة في عهد النبي ﷺ، ومنهم من جمع جزء فيه واكمله بعد وفاته. وقد ذكر محمد بن اسحاق من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ وهم: علي بن أبي طالب عليه السلام وسعد بن عبيد بن النعمان وأبو الدرداء عويمر بن زيد ومعاذ بن جبل وابو زيد ثبت بن زيد وأبي بن كعب وعبيد بن معاوية وزيد بن ثابت[٣٢].

ويختلف اصحاب علوم القرآن في عدد من يذكرونهم ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ[٣٣]، وقد ذكرت بعض الروايات ان الامام علي عليه السلام جمع القرآن على ترتيب النزول فبعد وفاة الرسول ﷺ لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه ويؤلفه فلم يخرج حتى جمعه كله، وفي رواية اخرى انه عليه السلام قال: **(رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ان لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه)**[٣٤].

وكان القرآن الكريم مجموعا مكتوبا في عهده ﷺ فكتابة القرآن ليست محدثة فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب، ويعلل الزركشي عدم جمعه بين دفتين بقوله: «وانما لم يكتب في عهد النبي مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته»[٣٥].

وهذا الكلام ينقضه ما روي عن زيد بن ثابت انه قال: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع»[٣٦] وتأليف القرآن أي ترتيب الآيات والسور بحسب اشارة الرسول ﷺ فالقرآن الكريم كان مجموعا على عهد رسول الله بروايات كثيرة تعارض رواية عدم جمعه، فقد روى جماعة منهم ابن أبي اشتة واحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء المقدسي عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على ان عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتموهما في السبع الطوال ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: ان رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: **(ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)**، وتنزل عليه الآيات، فيقول ﷺ: **(ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)**، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينه، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت انها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم اكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتهما في السبع الطوال[٣٧].

وروى عن الشعبي وقتادة وعبد الله بن عمر وابن مسعود أقوالا عمن جمع القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ[٣٨].

وقد مر قول المحاسبي فيما اشتهر عند الناس ان جامع القرآن عثمان قائلا: «ليس كذلك انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار»[٣٩].

كل ذلك يثبت أن القرآن الكريم كان مجموعا مؤلفا من الرقاع والجلد واللخاف وهي صفائح الحجارة الرقيقة كان مجموعا ومرتبا على عهد رسول الله ﷺ وكيف يعقل انه ﷺ تركه موزعا على الاكتاف والاقتاب والعسب وقد وردت كلمة الكتاب في القرآن كثيراً وهي تدل على معنى الكتاب المجموع المرتب كقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة ٧٧ – ٧٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الاحقاف ١٢]، ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ، ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ومواضع كثيرة جدا ثم الأثر المروى عنه ﷺ قبل وفاته (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤٠].

هاتان الوسيلتان: الحفظ في الصدور والكتابة التي تثبت النص وتحفظ أداءه هما حفظا النص القرآني مقرونة بحفظه تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر ٩].

أمية الرسول ﷺ وأمية العرب

هذه قضية تناولتها أحاديث المؤرخين وأقوال المفسرين وأصحاب علوم القرآن، فكان فيها آراء وأقوال مختلفة وتفاسير مختلفة أيضا، يحتاج الحديث فيها إلى شئ كثير من الاستقراء والدقة في فهم النصوص أو ما وراء النصوص. سأعرض الأهم منها ثم أخرج بما اراه أقرب إلى الحقيقة.

الأمّيّ في اللغة ما شاع من معناها أنه صفة من لا يكتب أو على خلقة الأمّة لم يتعلم الكتاب وهو باق على جبلّته، أو هو العيي الجلف الجافي القليل الكلام[٤١].

وجاء في (لسان العرب) الأمي: لا يكتب. قال الزجاج: الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته. وقال أبو اسحاق الزجاج: معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْهُ أمّهُ أي لا يكتب، لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه.. وفي الحديث (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)[٤٢] أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى.

وفي الحديث **(بعثت إلى أمة أمية)**. قيل للعرب الأميون، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، ومنه قوله تعالى: ﴿**بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾ [الجمعة ٢].

وقيل لسيدنا محمد رسول الله ﷺ: الأمي، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغير ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص فحفظه الله على نبيه كما أنزله وأبانه من سائر من بعثه اليهم بهذه الآية، ففي ذلك أنزل تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت ٤٨]. ولولا هذه صفة الأمية لقالوا: انه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب[٤٣].

والأمي: نسبة إلى الأم أو الأمة: من لا يقرأ ولا يكتب أو العيي الجافي. والأمية: مؤنث الأمي: مصدر صناعي معناه الغفلة أو الجهالة[٤٤].

وتناول المفسرون مصطلح (الأمي) و (الأمية) والاجابة عن سؤال: هل كان الرسول ﷺ يقرأ ويكتب؟

لقد وصف النبي ﷺ بـ (الأمي) في سورة الاعراف (آية ١٥٧ – ١٥٨) وفي سورة العنكبوت (آية ٤٨) وهما من السور المكية، لكن مصطلح (الأميين) في السور المدنية: البقرة ٧٨ وآل عمران ٢٠ وسورة الجمعة ٢.

وجاء وصف النبي في التوراة والانجيل بان (أمي) وكانت أخبار لدى الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى[٤٥]. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الاعراف ١٥٧].

وكان يهود ينذرون بظهور نبي في مكة وهاجر منهم اليها ليشهد ظهور النبي الذي قارب زمانه بحسب ما لديهم من الاخبار، وقد سميت مكة (أم القرى) لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجتهم والنسبة اليها أمي[٤٦].

وجاء في سيرة ابن هشام، حديث عاصم بن عمر بن قتاده عن رجال من قومه قالوا: «ان مما دعانا إلى الاسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان النبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم..»[٤٧].

من هذا نفهم مجيئ يهود إلى أم القرى (مكة) ينتظرون ظهور نبي فيها ثم وصف الرجال من قوم قتادة لانفسهم (العرب) انهم أهل شرك وأوثان ويهود: كانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا «فالوصفان لا صلة لهما بما هو شائع من أن الأمية عدم معرفة القراءة والكتابة، نعم لها صلة بالجهل وعدم المعرفة بأمور العقيدة وغيرها

فالمشرك الذي يعرف القراءة والكتابة هو أمي، لأنه من غير أهل الكتاب هكذا كان اليهود يصفون العرب وغيرهم الذي على غير دينهم» فهي صفة تهمة يطلقها اليهود على العرب باعتبارهم مشركين من جهة فيتعالون عليهم وهي صفة باليهود يسمون أنفسهم أهل الكتاب وغيرهم بالأميين وقد اسندوا الكلمة إلى الدين بدليل قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧٥]، فهم كانوا يزعمون كما هم مخصصون بالكرامة الالهية.. فلهم السيادة والتقدم على غيرهم.. وهذا مالا يوجد فيما عندهم من الكتب المنسوبة إلى الوحي كالتوراة وغيرها لكنه أمر أخذوه من أفواه أحبارهم فقلدوهم فيه(٤٨).

فصفة (الأميين) الواردة في القرآن الكريم كان لها معنى آخر يحدده سياق الايات غير معرفة القراءة والكتابة، وانما هو وصف للوثنيين الذين لم يعرفوا كتابا سماويا أو لليهود والنصارى الذين لم يعرفوا سوى ما يقوله كهنّهم ورهبانهم من أساطير يتمنونها ويفتعلون الأحاديث الكاذبة كما سيأتي من أقوال المفسرين.

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة ٧٨]: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب و ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الاعراف ١٥٧]، والأماني ان يفتعل الرجل الاحاديث المفتعلة(٤٩).

وقال قطرب: الأمية: الغفلة والجهالة، فالأمي منه وذلك هو قلة المعرفة(٥٠).

وذكر الطبري قول ابن زيد ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ..﴾ قال: أميون لا يقرءون الكتاب من اليهود.

وروى القول عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا انزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله، وقال: انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله، وعلق الطبري على هذا التأويل قائلا: وهذا تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب(٥١).

وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ..﴾ قال: ومنهم من لا يحسن أن يكتب، لا يعلمون الكتاب وهو التوراة الذي انزله الله ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه، انما هم امثال البهائم وهم ناس من يهود لم يكونوا يعلمون شيئا من الكتاب وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كلام الله ويقولون: هو من الكتاب أماني يتمنونها وهي الاكاذيب فهم بين من لا يقرأ الكتاب ويكتبه فيحرفه وبين من لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم من الكتاب إلا أكاذيب المحرفين يتقبلونها على التقليد(٥٢).

وفسر الزمخشري (الاميين) بالمشركين الوثنيين في قوله تعالى: ﴿.. وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ..﴾ [آل عمران ٢٠]، (الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو دين التوحيد والعدل.. فثلث النصارى وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب(٥٣).

وذكر القرطبي قول ابن عباس المذكور: «الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا أهل الكتاب»(٥٤).

فامية العرب إذاً لأنهم كانوا اهل شرك وليس لهم كتاب لا لعدم القراءة والكتابة. فبعث الله في الاميين رسولا منهم من بينهم يتلو عليهم آياته..

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى ان المقصود من الاميين هنا الوثنيين وان الامية هذه أخذت من اليهود الذين كانوا يطلقون لفظة (أمت) و (أميم) على غيرهم يريدون بها الوثنيين[٥٥].

وذلك ما ذكرته من قول الزمخشري وما أشار اليه قبله الطبري سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله «فالاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله» كما ذكر ابن عباس.

وذهب الدكتور جواد علي إلى ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى الجهل بالقراءة والكتابة وانما كانت تعني عندهم مشركين ووثنيين، وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم والذي نعت الرسول به بالامي لأنه من العرب ومن قوم ليس لهم كتاب عرفوا بذلك من اليهود أهل الكتاب. أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة فقد وقع في الاسلام.. ودليل ذلك لما فسروا (الأمي) و(الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في ايجاد اشتقاق لهذا المصطلح فقالوا ما قالوه في تفسيرها بانها سميت بالامية، لأنها على خلقة الأمة أو لانها على الجبلة والفطرة، وأصل ولادة الأمهات أو نسبة إلى الأمم وغير ذلك مما جاء لدى اللغويين[٥٦].

ولو كانت الأمية معروفة لدى أهل الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من اشعار الجاهليين أو المخضرمين، ولما لجئوا إلى التفاسير المتكلفة فالاستشهاد بالشعر من عادتهم في تفسير الألفاظ الغريبة، فعدم استشهادهم بشعر أو نثر

في تفسيرها دليل على ان اللفظة بما شاع من تفسيرها من الألفاظ التي عرفت في الاسلام[٥٧].

كيف يوصف العرب بالأمية بسبب جهلهم القراءة والكتابة على حين كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أميا ايضا لا يقرأ ولا يكتب، لكن القرآن الكريم استثناهم وسماهم (أهل الكتاب) والعرب الذين لم يكونوا يهودا ولا نصارى أميون، لأنهم ليسوا أصحاب كتاب لا لأنهم لم يحسنوا الكتابة والقراءة[٥٨] كما مر في تفسير الميزان.

وكذا جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران ٢٠]، وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾[٥٩].

معرفة الرسول الكريم القراءة والكتابة

لقد كثر الحديث والجدل بين الدارسين الاسلاميين قديما في قضية معرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة، وهل كانت قبل بعثته أم كانت بعدها؟

وكان وصفه بالنبي الأمي في القرآن الكريم حجة لمن فهم (الأمي) بالمفهوم الذي شاع بين المسلمين، والذي هو شائع حديثا ايضا انه عدم معرفة القراءة والكتابة، ولكن الباحث عن مفهوم مصطلح الأمي والأمية يخرج بما ذكرناه وذكره جملة من المفسرين بأن الأمية لم يكن معناها عدم معرفة القراءة والكتابة، ولكن الباحث عن مفهوم مصطلح الأمي الأمية يخرج بما ذكرناه وذكره جملة من المفسرين

بأن الأمية لم يكن معناها عدم معرفة القراءة والكتابة وانما اطلقت لوصف المشركين الذين لم يكن لهم كتاب كما روي عن عبد الله بن عباس وكما يدل عليه سياق الآيات التي وردت فيها.

ووصف النبي بـ (الأمي) لا صلة له بالقراءة والكتابة، فوصفه ﷺ ورد في كتاب التوراة والانجيل، وكان اليهود والنصارى يعرفون ذلك والمعاصرون منهم لرسول الله ﷺ يترقبون ظهوره، ويكثرون الحديث فيما بينهم لمعرفة الحقيقة أو لتغطيتها، لأن النبي الامي ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[٦٠] سيأتي بدين جديد دين توحيد وعدل على غير ما كان عليه اليهود والنصارى كما مر آنفا.

ومما ورد في اصطلاح (الامي) انه المنسوب إلى (مكة) وسميت (أم القرى) لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجتهم [٦١].. وهو المروي عن الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام[٦٢] أو انه منسوب إلى أمة العرب المشركين الذين ليس لهم كتاب. بعثه الله ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الجمعة ٢].

فالمعنى لا يخرج عن هذين المفهومين أو جاء بهما جميعا حين تكرر المصطلح.

فقد نعت الرسول ﷺ بـ (الامي) في السور المكية كما ذكرت ووردت كلمة (الأميين) في السور المدنية نعتا للمشركين الذين ليس لهم كتاب أو لمن ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ..﴾.

وقد حاول الزرقاني ان يكون وسطا يجمع بين ادلة من قال بامية الرسول ﷺ بمفهوم عدم معرفة القراءة والكتابة، ومن قال بمعرفته بعد الرسالة وأدلة الطرفين المتعارضة قائلا: «غير ان التعارض ظاهر فيما بين هذه وتلك غير انه تعارض ظاهري يمكن دفعه بان نحمل أدلة الامية على اولى حالاته b وان نحمل أدلة كتابته على اخريات حالاته، وذلك جمعا بين الادلة ولا ريب ان الجمع بينهما اهدى سبيلا من اعمال البعض واهمال البعض ما دام منهما قوة الاستدلال»(٦٣).

والرأي عندي انه ﷺ كان يقرأ ويكتب وبعد البعثة دون شك والكلام في امية الرسول ﷺ بعدم القراءة والكتابة وهم، اعتمد القائل به على الحديث المرسل (انا أمة امية لا نكتب ولا نحسب) والاية الكريمة ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت ٤٨].

أما الحديث فهو يعني وضع العرب الجاهليين عامة يصفهم بندرة الكتابة والقراءة وهو من هؤلاء الموصوفين ولا يفهم مشاركتهم بصفتهم – كما يفهم المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة ٢]، فهو عليه الصلاة والسلام بعث (في الاميين رسولا منهم) أي من هؤلاء القوم، لكن رسالته ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ فأميتهم كونهم في ضلال مبين، لم يكن عندهم كتاب من عند الله فنسبهم إلى الأمية، كما وصف ناس من يهود بـ (الأميين) لأنهم لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا وكانوا يتكلمون بالظن في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب أماني واكاذيب يتمنونها وذلك جاء في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾(٦٤).

واما الاية الكريمة ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ...﴾ فهي تدفع تهمة اليهود بان الرسول ﷺ قد جمع اقواله وما جاء به من كتبهم، فهذه الاية تدفع تهمتهم الباطلة[٦٥]. وذلك وصفه قبل البعثة لا بعدها.

لقد سمى المشركون النبي ﷺ في بداية دعوته بمكة بأنه (صابئ) وكانت (العرب تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب صابئا)[٦٦].

وقد وردت في الاخبار اشارات واضحة لمعرفة الرسول القراءة والكتابة بعد البعثة نذكر اهمها:

١. من ذلك ما ورد في الحديث عن أنس انه ﷺ قال: **(رأيت ليلة اسري بي مكتوبا على باب الجنة، الصدقة بعشر أمثالها..)**[٦٧].

٢. جاء في سيرة ابن هشام: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الاسدي.. وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين.. وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه[٦٨].

٣. وجاء عن البراء: قال اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة يدعوه يدخل مكه حتى يقاضيهم على أن يقيم بها ثلاثة ايام، فلما كتب الكتاب كتب: «هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو نعلم انك رسول الله ما منعناك، ولكن انت محمد بن عبد الله. قال: انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله، قال لعلي عليه السلام: امح (رسول الله) قال: لا والله، لا أمحاك ابدا، فأخذ رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب – فكتب مكان رسول الله محمد، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد..»[٦٩].

٤. عن ابن عباس قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: **(ائتوني باللوح والدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده)**. قال: فقال بعضهم: إن رسول الله يهجر[٧٠].

وان الحديث المرسل (انا أمة امية لا نكتب ولا نحسب) ليس نصا في استمرار نفي الكتابة عنه ﷺ، ومعرفته الكتابة بعد أميّته لاتنافي المعجزة بل هي معجزة اخرى لكونه من غير تعليم[٧١].

الخط الذي كتب به القرآن الكريم

اختلفت الروايات في أصل الخط العربي قبل الاسلام، وسنشير إلى الدراسات التي تناولت نشأة الخط العربي والكتابة[٧٢]، وننصرف إلى الخط العربي الذي انتشر في المدن العربية والذي دون به القرآن الكريم.

قال الجاحظ: «ليس في الارض أمة.. إلا ولهم خط، فأما أصحاب الملك والمملكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة فهناك الكتاب المتقن والحساب المحكم، ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنمنم كذا كيف كان، قال ذلك الهيثم بن عدي وابن الكلبي»[٧٣].

فالخط العربي الجاهلي قلمان: جزم ومسند، فالمسند خط عرب جنوب جزيرة العرب وخط من كتب به في انحائها، وهو احد فروع القلم الفينيقي، والجزم: خط أهل مكة والمدينة وعرب العراق وغيرهم من عرب شمال الجزيرة.

وقد خالط عرب العراق الاراميين وتأثروا بثقافتهم ومنهم من اعتنق النصرانية دينهم، فليس من المستبعد استعمالهم قلمين او أكثر في الكتابة: احدهما ما رأه نصارى العراق من السرياني والذي ولد الجزم والمسمى بالخط الرهاوي وقلم آخر استعملوه للكتابات السريعة، وغير بعيد احتمال كتابة أهل العراق أو أهل الأنبار وغيرهم من عرب العراق بالقلمين المذكورين[٧٤] القلم الذي دعاه البطليوسي بالمشق وهو قلم أهل الانبار، وهو خط فيه خفة، ولأهل الحيرة قلم الجزم[٧٥].

وللعلماء العرب أقوال ومؤلفات في الخط العربي وتاريخه وتطوره، ولهم نظريات في نشأته، وفي مقدمتهم ابن الكلبي كما سبق في كلام الجاحظ واراء لابن عباس، بان الخط انتشر من اهل الحيرة إلى الانبار ومنها إلى الحجاز وذلك بسبب ما كان بين عرب جنوب العراق وقبائل الحجاز من علاقات تجارية وادبية خاصة مكة والمدينة[٧٦].

ولجرجي زيدان رأي في الخط العربي ذلك ان العرب الذين تحضروا واقاموا في العراق وفي بلاد الشام اقتبسوا الكتابة من جيرانهم، فمنهم من كتب بالعبرانية ومنهم من كتب بالسريانية ولكن القلمين النبطي والسرياني ظلا عندهم إلى ما بعد الفتوح الإسلامية، فتولد الخط النسخي من النبطي وتولد الخط الكوفي، نسبة إلى الكوفة – عن السرياني وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام الحيري نسبة إلى الحيرة، ومعنى ذلك ان السريان كانوا يكتبون باكثر من قلم من الخط السرياني في جملتها ولم يسمونه (السطرنجيلي) كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس، فاقتبسه العرب في القرن الأول قبل الاسلام وكان من اسباب تلك النهضة عندهم، ومنه تولد الخط الكوفي وهما متشابهان[٧٧].

وذكر بعد ذلك رايه مازجا بين رأيين قائلا: والخلاصة ان العرب تعلموا الخط النبطي من حوران في اثناء تجارتهم إلى الشام، وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبل الهجرة بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام وكانوا يستخدمون القلمين معا: الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الاسفار المقدسة، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية(٧٨).

ويرى بعض الباحثين ان القلم العربي قد أخذ من الارامي وذلك لأن السريان الذين هم من بني ارم قد طوروا القلم الارمي وكتبوا بقلمين: احدهما قديم كتبت به الاناجيل والكتب المقدسة وهو المربع ذو الحروف المستقيمة وهو الاسطرنجيلي، وقلم سهل ذو حروف مستديره هو قلم النسخ، وقد عرف العرب القلمين وكتبوا بهما فسموا السهل النسخ والاخر الكوفي(٧٩) وحجتهم ان القلم العربي اخذ بترتيب (ابجد هوز حطي) وهو ترتيب على طريقة الاراميين كما اخذ بهذا الترتيب بحساب الجمل وهو عند بني إرم كما اخذ بقواعد رسم الاملاء مثل حذف الالف عند وقوعه في وسط الكلمة في (رحمان ومساكن ويتامى ومساجد وكتاب وابراهيم واسحاق واسماعيل) فانها تكتب في خط المصاحف بدون الف(٨٠).

ويرى المستشرق (وايل) ان الترتيب الذي يرد للحروف العربية على طريقة (ابجد هوز حطي) هو ترتيب اخذه العرب من النبط او اليهود وقد اخذه النبط والعبرانيون من القلم الآرامي وتشير هذه الطريقة إلى اشتقاق القلم العربي من القلم النبطي المتفرع من القلم الارمي(٨١) وقد وضع علماء العرب حروف (ثخذ ضظغ) لانها لم ترد في هذه الابجدية ولكنها ترد في العربية ودعوها الروادف.

ومما يدل على ان الارامي من اصول الخط العربي ان الحافظ شمس الدين الذهبي ذكر في ذيل رواية خارجة بن زيد عن ابيه: ان زيد بن ثابت بأمر الرسول ﷺ تعلم كتابة اليهود وحذقها في نصف شهر، فتعلمه في مدة نصف شهر يدل على انه تعلم احد نوعي الخط السرياني خط يهود، ولذلك ذكر في ترجمة زيد بن ثابت انه تعلم السرياني. ثم ان الخط الكوفي اشبه الخطوط بالخط الحيري والحيري قريب الشبه من النبطي، وهو من الارامي وهو من الفينيقي[٨٢].

فأقدم كتابه عربية شبيهة بالقلم النبطي المتأخر هي كتابة (نقش النمارة) ٣٣٨ بعد الميلاد حيث فيها حروف كثيرة مرتبطة بعضها ببعض وفيها التاء المربوطة في نهاية الكلمة[٨٣].

ونهض القلم العربي نهضته الحقيقية منذ ظهور الاسلام، لذلك سماه الدكتور جواد علي (الخط العربي القرآني) لأن القرآن الكريم هو صاحب الفضل لتخليد هذا الخط وتثبيته لأمر الرسول ﷺ بتدوين الوحي به أي بهذا الخط العربي القديم الذي اخذه اهل مكة من اهل الحيرة والانبار وعين التمر[٨٤].

ان اول من نشر الكتابة وشجع عليها هو الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة فقد أسر في (غزوة بدر) سبعين رجلا وفيهم كثير من الكتاب فجعل فدية الكاتبين منهم تعليم كل واحد عشرة من صبيان المدينة وانتشر الخط بالتدريج، وقد اتخذ له كتّاباً يكتبون الوحي وقضاياه الاخرى بلغ احصاؤهم ثلاثة واربعين كاتبا وزعهم لأعماله الكتابية، فمنهم من كتب الوحي والعهود مثل علي بن أبي طالب عليه السلام ومنهم الوحي عثمان وأبي وزيد بن ثابت وقد مر ذكر ذلك[٨٥].

فالخط الكوفي نسبة إلى الكوفة بعد بنائها لأن الخط الحجازي هذبت قواعده وحروفه فنسب اليها وقد اشتقه اهل الحيرة والأنبار من الخط النبطي وسمي بالحيري او الانباري ثم الكوفي وكتبت به كل النسخ الخطية من المصاحف السابقة للقرن الرابع الهجري بمختلف اساليبه[٨٦] وقد كانت مراكز للخط في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين منها: مكة والمدينة والكوفة والبصرة[٨٧] ولكن غلب اسم الكوفة لجودته واتخاذه لكتابة القرآن الكريم جاء عن ابي حكيمة العبدي قال: «كنت اكتب المصاحف في الكوفة فيمر علينا علي عليه السلام فيقوم فينظر فيعجبه خطنا ويقول: **(هكذا نوّروا ما نوّر الله)**»[٨٨].

١) ينظر تفسير الطبري ١٠ / ١٤، الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٧٣، مجمع البيان للطبرسي ١/ ٤٩٧، ١٠/ ٧٨٦.

٢) تفسير الطبري ١٠/ ١٤ وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ [الانفال ٤١].

٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ٢٣٦-٢٣٧، الفهرست للنديم ٨، مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٧٥-٢٧٦.

٤) ينظر السيرة النبوية ١/ ٢٦٢ وما بعدها، اصول الكافي ١/ ٤٩٩.

٥) السيرة النبوية ق ١/ ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٦٣.

٦) السابق ق ١/ ٢٣٥-٢٣٧.

٧) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٦٩، البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٢٤.

٨) السيرة النبوية ق ١/ ٣٤٣-٣٤٦.

٩) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٠، اصول الكافي ١/ ٤٩٩ وانظر السيرة النبوية ٢/ ٦٥٢ - ٦٥٣.

١٠) البرهان للزركشي ١/ ٢٣٠.

١١) تفسير القرطبي ١/ ٣٩ وينظر النشر ١/ ٦ البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ٣٦.

١٢) المحاصف لأبي داود السجستاني ١٦.

١٣) البرهان ١/ ٢٣٦، تاريخ القرآن لابي عبد الله الزنجاني ١٦، ١٧.

١٤) السيرة النبوية ٢/ ١٨٣ (حديث بئر معونة) البرهان ١/ ٣٠٥، البيان للسيد الخوئي ٢٥٣، ٢٥٤، تاريخ القرآن – لابي عبد الله الزنجاني ١٨. وبئر معونة: في ارض بني سليم وارض بني كلاب باتجاه نجد. (معجم البلدان ١/ ٣٠٢)

١٥) مناهل العرفان ١٩٩، البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ٢٧١، ٢٧٢.

١٦) ينظر مناهل العرفان ١/ ١٩٧..، ٢٠٠٢..

١٧) ينظر الاتقان (النوع الثامن عشر ١/ ١٢٦..) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٩٧ وما بعدها.

١٨) الاتقان ١/ النوع الثامن عشر ١/ ١٢٦..، مناهل العرفان ١/ ٢٠٢، ٢٠٣.

١٩) ينظر البيان ص ٢٥٦–٢٧٣.

٢٠) السابق ٢٧٤.

٢١) الاتقان ١/ ١٣٢، البيان ٢٧٥.

٢٢) ينظر البيان ٢٧٥، ١٧٤ (القراءات والاحرف السبعة).

٢٣) ينظر تفصيل ذلك في ذكر كتاب الرسول ٧ الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢ وما بعدها. فتوح البلدان ٣٥، ٤٧، ٤٥٧–٤٦٠، المصاحف لأبي بكر السجستاني ص ٣ – المعارف لابن قتيبة ١١٤، ٢٦١ طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٦، ٢٧٣ التنبيه للمسعودي ٢٤٥، المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٠١، ١٠٢.

٢٤) ينظر تفسير الطبري ٧/ ١٨٠ فتوح البلدان ٤٥٩ تاريخ الطبري ٣/ ١٧٣ الكشاف ٢/ ٣٥ مجمع البيان للطبرسي وفيه نزلت الاية الكريمة ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**﴾ [الانعام ٩٣]، ٤/ ٥١٨.

٢٥) روى «عند احجار المراء بالمدينة» أو عند أضاة بني غفار «وهما موضعان في المدينة». ينظر تفسير الطبري ١/ ٣٦ وما بعدها.

٢٦) انظر تفصيل ذلك تفسير الطبري السابق، البرهان للزركشي ١/ ٢٦٩–٢٨٠، النشر في القراءات العشر–ابن الجزري ١/ ١٩ وما بعدها، مناهل العرفان–المبحث السادس ١١٦–١٥٨ البيان للسيد أبي القاسم الخوئي ١٧١–١٩٣، (وقد ضعف الحديث ورد تناقضات رواياته).

٢٧) المجازات النبوية – الشريف الرضي٥١.

٢٨) اصول الكافي ٢/ ٦٢١، البيان للسيد الخوئي ١٩١، ١٩٢.

٢٩) البرهان ١/ ٣٩٥، ٣٩٦ وانظر البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ١٢٤ وما بعدها.

٣٠) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الأمصار ص ١٥.
٣١) البرهان ١/ ٢٩٩.
٣٢) الفهرست للنديم ٣٠.
٣٣) البرهان ١/ ٢٩٧، الاتقان ١/ ١٥٤-١٦٠ البيان للسيد أبي القاسم الخوئي ٢٥٦-٢٧٥.
٣٤) الفهرست للنديم ٣٠، الاتقان ١/ ١٢٧ تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ٢٥، ٢٦.
٣٥) البرهان ١/ ٢٩٧، الاتقان ١/ ١٢٦.
٣٦) البرهان ١/ ٢٥٩، الاتقان ١/ ١٢٦ والرقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.
٣٧) البرهان للزركشي ١/ ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤ البيان للسيد الخوئي ٢٦٦، ٢٦٧.
٣٨) ينظر منتخب كنز العمال ٢/ ٤٨، ٥٢، صحيح البخاري (باب القراء من أصحاب النبي ٦٧/ ١٠٢، الاتقان، ١/ ١٣٢ البيان للسيد الخوئي ٢٦٦، ٢٦٧.
٣٩) الاتقان ١/ ١٣٢.
٤٠) مسند احمد ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦ صحيح مسلم رقم ٢٤٠٨ ٢/ ٤٥٠ فضل علي عليه السلام اصول الكافي ١/ ٣٢٦ البيان للسيد الخوئي ٢٦٩ سيد اعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٣٦٥.
٤١) القاموس المحيط (أمم).
٤٢) تفسير الطبري ١/ ٤٣٠.
٤٣) اللسان (أمم) وكذا يرجع إلى تاج العروس (أمم)، غريب القرآن - ابن قتيبة ٣٣٨.
٤٤) المعجم الوسيط (أمم).
٤٥) ينظر التفصيل في السيرة النبوية ١ / ٢٠٤ - ٢١٤.
٤٦) ينظر الكشاف ٢/ ٣٥.
٤٧) السيرة النبوية ١/ ٢١١.
٤٨) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ٣/ ٣٠٠ -٣٠١.
٤٩) معاني القرآن ١/ ٢٤٩، ٢٥٠.
٥٠) مفردات الفاظ القرآن-للراغب الاصفهاني ٨٧ وكرر الاصفهاني ما سبق في معني الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ أو المنسوب إلى الأمة.
٥١) تفسير الطبري ١/ ٤٣٠، ٤٣١.
٥٢) تفسير الطبري ١/ ٤٣١.

٥٣) الكشاف ١/ ٢٩١، ٢٩٢، تفسير الميزان ١/ ٢١٤.

٥٤) الجامع لاحكام القرآن ٣/ ٤٥.

٥٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/ ٨١، ٨٢.

٥٦) ينظر لسان العرب (امم)، تاج العروس (امم).

٥٧) ينظر المفصل في تاريخ العرب ٨/ ٨٢.

٥٨) ينظر تفصيل ذلك المصدر السابق ٨/ ٨٤ وما بعدها فقد ذكر مواطن الكتابة والكتاب في جزيرة العرب.

٥٩) تفسير الطبري ٣/ ٢٥٣، مجمع البيان، الطبري ٢/ ٧١٩ تفسير الميزان الطباطبائي ٣/ ١٤٠، ١٤١.

٦٠) الاعراف١٥٧.

٦١) ينظر الكشاف ٢ / ٣٥ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [الانعام ٩٢].

٦٢) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٤/ ٧٤٨، ٧٤٩، روح المعاني للالوسي ٩/ ٧٩، تفسير الطبري ١/ ٤٣٠، ٤٣١ تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي ٢/ ٧٨٠، تفسير الميزان ٣٠٠، ٤٠٠.

٦٣) مناهل العرفان ١/ ٢٩٦ وينظر تفسير البحر المحيط لابي حيان ٧/ ١٥٥ وينظر تفسير روح المعاني ٢١/ ١٧ وما بعدها، المفصل في تاريخ العرب ٨/ ٧٥ ومصادر الهوامش.

٦٤) سورة البقرة ٧٨. ينظر تفسير الطبري ١/ ٤٧٢، الكشاف ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

٦٥) ينظر تفسير الميزان ١٦/ ١٤٣، ١٤٤، ١٩/ ٢٨٠.

٦٦) الاكليل – للهمداني ابي محمد الحسن بن احمد ١/ ٤٤، المفصل في تاريخ العرب ٨/ ٨٤، السيرة النبوية ١/ ٣٤٣، ٣٤٤.

٦٧) سنن ابن ماجة رقم ٢٤٣١، ميزان الحكمة – محمد الريشهري ٣/ ٦٩٩ رقمه ٣٣٣٧ عن الامامين علي والصادق ﷺ، كنز العمال – المتقي الهندي رقم ١٥٣٧٣، مناهل العرفان ١/ ٢٩٦.

٦٨) السيرة النبوية القسم الاول ٦٠١.

٦٩) تاريخ الطبري ٢/ ٦٣٦ وانظر مناهل العرفان ١/ ٢٩٦ وانظر المصادر في هامش الصفحة.

٧٠) تاريخ الطبري ٣/ ١٩٢، ١٩٣.

٧١) ينظر تفسير الألوسي ١١/ ٤، ٥، ٢١/ ١٧.. مناهل العرفان ١/ ٢٩٦.

٧٢) ينظر الفهرست للنديم ٧ وما بعدها، فتوح البلدان. للبلاذري ٤٥٦، ٤٥٧. المفصل في

تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/ ١١١-١٥١، تاريخ اللغات السامية - ولفنسون ١٩٦.. موسوعة الخط العربي - ناجي زين الدين المصرف ج٢، ٤، الخط العربي وتاريخه وانواعه يحيى العباسي الخط العربي سهيلة الجبوري.

٧٣) الحيوان ١/ ٧١.

٧٤) ينظر المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٢٠، ١٢١.

٧٥) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لأبي محمد البطليوسي ١/ ١٧٣.

٧٦) فتوح البلدان ٤٥٦، ٤٥٧ ينظر الفهرست للنديم ٧، ٨ المزهر للسيوطي ٢/ ٣٤١-٣٥٢ تاريخ اللغات السامية ١٩٩-٢٠١ المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٢١-١٢٩.

٧٧) تاريخ التمدن الاسلامي ٢/ ١٥٨ (الخط العربي) المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٣١، ١٣٢.

٧٨) المرجعان السابقان.

٧٩) المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٣٣.

٨٠) السابق ٨/ ١٣٣.

٨١) المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٣٩.

٨٢) تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ٥.

٨٣) ينظر تاريخ اللغات السامية ١٩٩-٢٠١.

٨٤) فتوح البلدان ٤٦٠ ينظر تاريخ اللغات السامية ٢٠١، المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٣٨.

٨٥) ينظر تاريخ الطبري ٣/ ١٧ كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢-١٤ المفصل في تاريخ العرب ٨/ ١٠١-١٠٥ تاريخ القرآن - الزنجاني٢٠، ٢١.

٨٦) الخط العربي يحيى سلوم العباسي ١٥٤-١٥٥، الخط العربي سهيلة الجبوري٢٥، ٣٥.

٨٧) الفهرست ٩، الخط العربي، سهيلة الجبوري ٣٨.

٨٨) كتاب المصاحف لابي داود السجستاني ١٣٠ موسوعة الخط العربي ٤/ ٨ تفسير القرطبي ١/ ٢٩. (ثم كتبت وعلي عليه السلام قائم ينظر إلى كتابتي فقال: هكذا نوّره كما نوره الله عز وجل).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) الاتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢) اصول الكافي – المحدث محمد يعقوب الكليني، دار الاسرة للطباعة، ايران ١٤٢٤هـ.

٣) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني، ط الحاج محمد ساسي المغربي، مطبعة التقدم بمصر.

٤) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب – لابي السيد البطليوسي تح مصطفى السقا وحامد عبد المجيد الهيأة المصرية للكتاب ١٩٨٠.

٥) البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي تح ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٧.

٦) البيان في تفسير القرآن – السيد ابو القاسم الخوئي، مطبعة العمال المركزية ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

٧) البيان والتبيين – ابو عثمان عمرو الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٨٠هـ – ٩٩٦٠.

٨) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ابو جعفر الطبري، تح ابو الفضل ابراهيم ط١ دار المعارف بمصر.

٩) تاريخ القرآن – لأبي عبدالله الزنجاني – منشورات مكتبة الصدر، طهران.

١٠) تاريخ القرآن – د. عبد الصبور شاهين، دار القلم ١٩٦٦.

١١) تاريخ اللغات السامية – أ. ولفسون، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠.

١٢) تفسير نور الثقلين – العلامة الشيخ عبد علي جمعة، صححه السيد هاشم المحلاتي، ايران، قم تقييد العلم – الخطيب البغدادي، تح يوسف العش، دمشق ١٩٤٩.

١٣) الجامع لأحكام القرآن ابو عبدالله محي الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٣ – ١٩٥٠.

١٤) جامع البيان في تأويل القرآن الطبري – ضبط محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠١.

١٥) الحيوان – ابو عثمان الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٦) الخط العربي – تاريخه وانواعه، يحيى العباسي، مكتبة النهضة، بغداد.

١٧) الخط العربي وتطوره في العصور

العباسية في العراق–سهيلة الجبوري مطبعة الزهراء، بغداد ١٣٨١هـ- ١٩٦٢ م.

١٨) روح المعاني العلامة ابو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي – ط دار الفكر العربي، بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١٩) سنن ابن ماجة – تحـ محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٣هـ.

٢٠) السيرة النبوية – لابن هشام، تحـ مصطفى السقا واخرين ط ٢ مكتبة البابي الحلبي ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

٢١) الطبقات الكبرى – ابن سعد، دار صادر، بيروت ١٩٥٧، ١٩٥٨.

٢٢) فتوح البلدان – ابو الحسن البلاذري، عناية رضوان محمد رضوان ط ١ المطبعة المصرية للازهر ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م.

٢٣) الفهرست – النديم، تحـ رضا تجدد، دار المسيرة ١٩٨٨.

٢٤) كتاب الوزراء والكتاب – ابو عبدالله الجهشياري، تحـ مصطفى السقا واخرين، مطبعة البابي الحلبي ١٨٥٧هـ ١٩٣٨م.

٢٥) الكشاف عن حقائق التنزيل – جار الله الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٢٦) كنز العمال في سنن الأقوال والافعال – المتقي الهندي ط حيدر آباد ١٣١٣هـ.

٢٧) مجمع البيان – الشيخ ابو علي الفضل الطبرسي، انتشارات ناصر خسرو، طهران ١٤٢٥هـ.

٢٨) المزهر في علوم اللغة وانواعها – جلال الدين السيوطي، تحـ محمد احمد جاد المولى، البجاوي، ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر.

٢٩) مسند الامام احمد – دار الفكر بيروت.

٣٠) مسند مسلم – تحـ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر ادارات البحوث العلمية، الرياض.

٣١) المصاحف – ابو داود السجستاني، تحـ ارثر جفري، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦.

٣٢) مصور الخط العربي – المهندس ناجي زين الدين، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٣٣) مفردات الفاظ القرآن – الراغب الاصفهاني، تحـ صفوان عدنان ط ١، دار القلم، دمشق.

٣٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام – د. جواد علي، اوند دانش مكتبة جرير للطباعة والنشر ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٦م.

٣٥) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الامصار – ابو عمرو الداني تحـ محمد همان، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٠٩هـ ١٩٤٠م.

٣٦) مناهل العرفان في علوم القران – محمد عبد العظيم الزقاني، تح فواز احمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٧) موسوعة الخط العربي – ناجي زين الدين، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م.

٣٨) النشر في القراءات العشر – تصحيح على محمد الضاع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩) الميزان في تفسير القرآن– السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسوعة الاعلمي – بيروت ١٩٩٧.

حديث المعرفة

قراءة اسلوبية

Speeches of Knowledge

Stylistic Reading

أ.د: رحمن غركان

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Rahman Gharkan

University of Al-Qadesiya

College of Education

Department of Arabic

ملخص البحث

قدم البحث قراءة في حديث المعرفة اتخذت من مكونات الاسلوب الستة: (المعجم، الإيقاع، التركيب، التصوير، البناء، المعنى) آليات قراءة لأجل اظهار خصائص الاداء الاسلوبي في كشفها عن المعنى النبوي وتعبيرها عنه، وقد اجتهدت القراءة في بيان الحقول الدلالية التي توزع المعجم عليها والصورة الإيقاعية التي انتظم عليها بناء الحديث في التعبير عن المعنى ،وخصوصية التركيب في لغة الحديث موصولة بالمعنى النبوي المعبر عنه، وأسلوب التصوير البياني الرئيس اعني (التشبيه) وكيفية اداء المعنى بالصدور عنه.

وبناء الحديث بشكليه: الافقي والعمودي وصلتهما في الايحاء بالمعنى بوصفه مجموعة معيطات عقلية وعاطفية وروحية صيغت ببيان نبوي حاملة معنى نبوياً شاملاً في قصديته الإبلاغية غير مقيد بزمان او مكان، عاماً في انسانيته غير محدد بفئه او قومية، موصولاً بالتعبير عن الحياة والإيحاء بكيفية بنائها بوصفها حقائق دائمة الازدهار أكثر منها وقائع متغيرة لا ثوابت لها، لذا عملت القراءة على تأمل أسلوب الحديث موصولاً بكيفية ادائه المعنى التعبيري.

...Abstract...

The research paper has presented a reading in the speeches of knowledge based on six components; encyclopedia, rhythm, composition, imagery, construction and content. The reading mechanisms are to present the characteristics of the stylistic performance in revealing the prophetic content and its expressions. The reading exerts itself in exposing deductive fields the dictionaries used, the speech mechanisms transpire the content depending mainly upon the imagery. The importance of the construction in the language of communication is related to the expressive prophetic content and the acts of resemblance to have the content without referring explicitly to it.

Speech erecting, vertically and horizontally, appertains to the content , a heap of intellectual, emotional and spiritual results coined at a prophetic declaration promulgating universal prophetic content in a poetic poem not delimited to time or place, being universally humanitarian, not addressing a denomination or a nationality, expressing life and how to develop it as it is regarded as more permanent prosperous facts, so the present study takes hold of both the speech policy and how to perform the expressive content.

... تقديم ...

تجتهد هذه القراءة في تأمل حديث المعرفة وقراءته اسلوبياً كشفاً عن خصائص أدائه الاسلوبي؛ في الركائز والمكونات أعني المكونات الثلاثة في المنهج: الاختيار والتوزيع والاتساع ومكونات الاداء الستة:المعجم والإيقاع والتركيب والتصوير والبناء والمعنى التعبيري الذي هو في الحديث الشريف معنى نبوي.ذلك ان حديث المعرفة؛ مكثف وشامل ودقيق خاص في آنٍ معاً، ويصدر عن افق تعبيري واحد، ونبض من أداء كلام مقصود، وبث خطابي شامل الأبعاد،فيه من نبوءات الكلام فيض،ومن نبوة القصد تبليغ، اذ جاء في الأثر أن الأمام: علي بن ابي طالب عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن سنته فقال: **(المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب اساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة)**.[1]

صدر الحديث عن أسلوب بياني واحد وهو التشبيه، وعن النوع البليغ منه، ممتداً على سبع عشرة جملة منه، كلها جمل إسمية،جاء فيها كل من المسند والمسند اليه معرفين، كان المسند في الجمل كلها معرفاً بـ (ال التعريف) بأستثناء الجملتين: الخامسة والسابعة عشرة اللتين جاءتا معرفتين بالإضافة، اما المسند اليه فكله معرف بالإضافة بإستثناء الجملة السابعة عشرة التي جاء فيها المسند اليه معرفاً بـ (ال التعريف) اما الجمل الست عشرة الأخرى فغلب عليها التعريف بإضافة المسند

اليه الى ضمير المتكلم،وفي الجملتين: الأولى والثانية أضيف الى اسم ظاهر مضاف الى ضمير المتكلم.[٢] ولما كانت المعاني النبوية هنا نبضاً شمولياً في الوجود وامتداداً سرمدياً في الزمان والمكان،فقد ناسبها وأضاء حالها هذا الأداء بالجمل الأسمية فقط من دون حضور لجملة فعلية واحدة. ولما كانت المعاني
تبليغي وإيحاءات رامزة بثبوت حال الصدق فيها والحقيقة قبل الواقع لديها فقد اضاء تعريف المسند وعدم تنكير المسند اليه مقتضى حال الخطاب، وجهات البث التي يعنيها، هي انسانية عامة، اذ هي للناس كافة.

اما تسلسل الجمل الأسمية السبع عشرة فقد اتصف اسلوب التسلسل بخصيصتين ادائيتين: عقلية أومعنوية في المسند وحسية ذات نزوع اقناعي في المسند اليه وهو ماتلحظه القراءة على المستوى الأفقي لصياغة الجملة، اما المستوى العمودي فقد بدأ بما هو عام شامل أولاً؛ اعني: المعرفة والعقل.

وخلص الى ما هو خاص ذاتي ثانيا، اعني:الخُلُق والصلاة. وان نظرة متأملة في المسند (المشبه) في كل جملة تفصح عن نزوع معنوي، ولكن المسند اليه ينزع للحسية او اللفظ المجسد لمعنى الحسية، ومرد ذلك الى حضور الاقناع وقوة التأثير في صياغة خطابية كهذه لاتحققه الصياغات الاخرى:

١. المعرفة رأس مالي...
٢. والعقل أصل ديني...
٣. والحب أساسي...
٤. والشوق مركبي...
٥. وذكرالله أنيسي...

٦. والثقة كنزي...
٧. والحزن رفيقي...
٨. والعلم سلاحي...
٩. والصبر ردائي...
١٠. والرضا غنيمتي...
١١. والفقرفخري...
١٢. والزهد حرفتي...
١٣. واليقين قوتي...
١٤. والصدق شفيعي...
١٥. والطاعة حسبي...
١٦. والجهاد خلقي...
١٧. وقرة عيني في الصلاة...

ولم يأت اللفظ في صياغة الجملة فنياً خالصاً انما جاء ابلاغياً خالصاً، لاحتفاله بالمؤثر المقنع موضوعياً اكثر من صدوره عن الفني الموحي تأويلياً، فقد وضع الحديث عناصر المعرفة في الوجود وضعاً توصيفياً من جهة القصد وضعاً موصوفاً من جهة الصلة بالحقيقة اكثر منها بالواقع كونه متغيراً جزئياً أما الحقيقة فواحدة، لذا يضع الحديث بين يدي وعي التلقي عناصر المعرفة ووضعاً مكشوفاً كشفا ًباعثا على التأمل والتفكير المنتجين للتأويل لذا جاء الاختيار على مستوى اللفظ معبراً عن الوجود الكلي من دون تقيد بموجود جزئي، ومن ثمة خضع توزيع الجمل لعنصري:المجاورة والتوازي،اما المجاورة فبين (المشبه والمشبه به) أعني المسند والمسند اليه. وأما التوازي فبين كل جملتين على تتابع الجمل السبع عشرة،

أعني بين (المعرفة والعقل ثم الحب والشوق ثم ذكر الله والثقة ثم الصبر والرضا ثم الفقر والزهد ثم اليقين والصدق ثم الطاعة والجهاد) بما كان فيه اللفظ الأول من كل متوازيين مصدر ايجاد فيما جاء اللفظ الثاني حالة وجود، فالمعرفة ايجاد والعقل وجود والحب ايجاد والشوق وجود، وذكرالله ايجادوالثقة وجود، وهكذا، ولما جاءت عناصر الاختيار على مستوى اللفظ وكيفية التوزيع على مستوى الجمل خاضعة لنمط اسلوبي مخصوص في الاداء كان فيه المقال موصولاً بأشكال اتسع فيها اللفظ على المعنى من جهة التعبير،كما اتسعت جزئيات الأسلوب (التشبيه) من جهة الأداء، فجاء الخطاب السهل موصولاً بفائض تعبير، وبخصائص أسلوب؛ تستعصي سهولته على محاولات الأتيان بمثلها. وأن قراءة في مكونات الأداء الأسلوبي الستة، تذهب الى تعضيد هذا الوصف الذي أوجزته هذه التقدمة.

مكونات الأداء الأسلوبي

تنقسم مكونات الأداء الأسلوبي في حديث المعرفة النبوي على قسمين: **أولهما** يتضمن خمسة مكونات هي: المعجم والإيقاع والتركيب والتصوير والبناء. **وثانيهما** يتضمن مكوناً واحداً هو المعنى النبوي. وإنما كان المعنى نبوياً لأنه جنس في الكلام وليس نوعاً ومعنى من خطاب حقيقي دائم الحقيقة، وليس قصداً واقعياً مرحلي المعنى، أو مؤقت القصدية. ثم ان خصوصية الصدور جعلت للنص القرأني معنى قرانياً، وللحديث النبوي معنى نبوياً وعلى الضفة الأخرى من كلام الناس؛ للنص الشعري معنى شعري، وللنص المسرحي معنى مسرحي، وهكذا تتصل خصوصية المعنى بجهة الصدور أتصال تحديد وتوجيه وقصدٍ وتعبير.

أ) المكون المعجمي

تصدر مكونات المعجم في اي خطاب عن حاجة المعنى الى الثراء وحاجة المرسل الى التأثير والإقناع وكلما فاض المعجم بالتنوع وتعدد الحقول الدلالية دل ذلك على تمكن المرسل من عناصر الرسالة وكيفية الارسال،وكلما انتظمت عناصر المعجم على وفق اسلوب تعبيري معين دل على ذلك خصوصية المرسل من جهة (الأداء الأسلوب) وبعده عن الترهل اللفظي، لأنه مجتهد في الاقتصاد وفي اللفظ بقدر اجتهاده بفائض المعنى وثرائه في آن معاً.

وقد ضم حديث المعرفة تسعة وثلاثين لفظاً توزعت على سبعة حقول دلالية هي:حقل العقل وفيه (العقل والعلم والمعرفة). وحقل الحب وفيه (الحب والشوق والأنيس والرفيق والحزن وقرة العين). وحقل الأساس وفيه (الأساس ورأس المال والكنز والغنيمة والقوت والرداء) وحقل الدين وفيه (أصل الدين وذكرالله والصلاة والشفاعة والأخلاق واليقين) وحقل السلاح وفيه (السلاح والجهاد والصبر والقوة والمركب والحرفة) وحقل الكفاية وفيه (الكفاية والرضا والطاعة والزهد والصدق والثقة والفخر) وفي كل هذه الحقول الستة يحضر الموجه الاخلاقي بفاعلية ثابتة، ينزع الخطاب للإقناع بصياغات غير مرتجلة مع اتصالها باليومي المتحرك في الحياة وبالنبض الفاعل في تجلياتها حتى جاء المكون المعجمي متصفاً بخصائص الخطاب الإقناعي في:

- أضاءت فصاحة اللفظ جهات المعنى الإقناعي في الحقول الدلالية الستة التي توزعها الحديث، وقد اتصف تسلسل الحقول الدلالية الستة التي توزعها الحديث بتناسب دقيق من العقل وماعبر عنه الى الحب وما تجلى الى الأساس

وما أستقام عليه الى الدين وما استضاء به إلى الإسلام وما أحتيج إليه،وفي ختام الحديث الكفاية وما أستظل بها.

أفصح الأسلوب البياني الذي انبنى فيه معجم الحديث عن نزوع الإقناع بصياغات للمعنى تفيض بالتربوي الموجه،والعاطفي المتأمل وهيمنة الحسي الباعث على الأقناع.

- اتسم معجم الحديث بالإيجاز مع ألفاظ العقل: (عقل،علم،معرفة) والإفاضة في ألفاظ الشؤون الأخرى؛ ايحاء بأن العقل واحد وشؤون الحياة الأخرى تجليات فيه حيناً وعنه احياناً اخرى،كما جاءت (هيمنة التعريف) على الالفاظ كلها موصولة بغلبة الأسمية وغياب الفعلية، ذلك لان المعاني في الجمل السبع عشرة حقيقة دائمة الواقع، متحركة بين يدي الحياة حركة أزل وليس انتقالات مرحلية.

ب) المكون الإيقاعي

المكون الإيقاعي عنصر مستقر في تشكيل الخطاب الإنساني المعبر، فليس من نص فاعل الا وينتظمه نهج إيقاعي خاص يمثل أسلوب صياغة حيناً وأسلوب نظم احياناً أخرى أو الهاجس النفسي المبثوث فيه أو الاجتماعي الموجه له او الجمالي المنفعل به. فأسلوب صياغة الكلام وكيفية نظمه ينتجان سياقاً إيقاعياً، تجمع حركيته: المبنى والمعنى؛ فالنظم إيقاع صادر عن الألفاظ والعبارات من جهة الهيأة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها الى بعض حتى تتعدد الأشكال الإيقاعية بحسب أشكال الوضع وأنحاء الترتيب.

أما الأسلوب فينتج عنه إيقاع صادر عن أوصاف حركات القول من ألفاظ وعبارات وكيفيات النقلة بينها وصلتها بغرض القول وكيفية الاطراد[٣]. وهذا التصور للإيقاع نلحظه في الشعر ونحسه في النثر على حد سواء، على ان عناصر الإيقاع الشعري خصوصاً تمتاز من عناصر إيقاع النثر، ويمتاز إيقاع القرآن الكريم بخصوصية صادرة عن تميزه عن كل فنون القول وأشكالها وقد قرأ ذلك دارسون كثيرون[٤] فالنظم وأسلوب التعبير رافدان يصنعان الإيقاع في النثر، ويمدانه بعناصر انتظامه وأشكال تحققه. لأن تناسب المعاني في الأسلوب بما يماثلها من كيفية في التوالي والاستمرار المتناسبين انما يصنع إيقاعا خاصاً. ثم أن تناسب التأليفات اللفظية في النظم بما يماثله من كيفية في توالي الألفاظ وتناسبها وتوالي العبارات والجمل وكيفية انتظامها؛ انتقالاً وترتيباً،كل ذلك يسهم في إيجاد الإيقاع في النص النثري. وفي حديث المعرفة الشريف يجيء الإيقاعي، بيانياً بلاغياً، حتى أجدني ذاهباً مع الرأي الذي يقول بأن الإيقاع البلاغي: حركة تنبثق عن الخلفيات الوجدانية والانفعالية للنفس المبدعة، وتتجسد من خلال العلاقات السياقية التي تولد بدورها حركة لغوية تتوافق مع حيوية النفس المبدعة وانفعالاتها فتفصلها عن متطلبات الجمود لتفسح المجال للعاطفة والانفعال الوجداني حيث يتكامل الجانبان في نفس المبدع، وإذ يبلغان النضج يولد العمل الفني او النص في صورة إيقاعية متكاملة.[٥]

نخلص من هذا الايجاز الى كون المكون الإيقاعي عنصراً فاعلاً في كل نص ابداعي مؤثر، سواء أ كان شعراً على تعداد أشكال الأداء أم نثراً على تعدد فنون النثر. بما يوجهني الى تشخيص عناصر المكون الإيقاعي في حديث المعرفة الشريف في مايأتي:

- صدور الحديث من أسلوب التشبيه البليغ من أول جملة تشبيهية (المعرفة راس مالي) الى اخر الجملة (وقرة عيني في الصلاة) وعلى امتداد سبع عشرة جملة جعل النص يصدر عن إيقاع من اسلوب بياني واحد،كانت الجملة الاولى فيه مرتكزاً تجلت الأخرى عنها بفائض من ثراء الخطاب.
- صدور الحديث عن اسلوب الصياغة الأسمية نمطاً إيقاعياً لافتاً جاء متناسباً مع شمولية المعاني وثبوت اتصالها بالحقيقة وتعبيرها عنها بما يدل على الديمومة والاستمرار، حتى بدا إيقاع الاسمية رتيباً متناغماً مع أصالة المعنى ونزعته الانسانية.
- غلبة التعريف بـ (أل) على المشبه وغلبة التعريف بـ (الاضافة) على المشبه به وتكرار ذلك بتتابع متناسب خلق نمطاً إيقاعياً مخصوصاً في الأداء.
- غلبة البث المعنوي الوجداني منه او العقلي او المنطقي في المشبه في مقابل شيوع البث الحسي في المشبه به خلق عنصر اداء إيقاعي اشاعه تكرار هذا المنحى في جمل الحديث كلها بأنحاء صياغية متناسبة.
- قصر جمل التشبيه السبع عشرة وتتابعها على نمط اداء واحد في التركيب وكيفية الصياغة خلق حساً إيقاعياً عززت مجساته تكرار الجمل على نمط صياغي متشابه العناصر جعل الصياغة تبث على لحن إيقاعي متشابه العناصر.

ج) المكون التركيبي

هيمن على المكون التركيبي في حديث المعرفة نوعان تركيبيان، أولهما بلاغي

بياني وثانيهما نحوي دلالي فأما البلاغي فتمثل في التكرار والتفريع وأما النحوي فبدأ في التحول البنيوي الدلالي. يتمثل التكرار هنا في صورة الجملة وأسلوبها وتركيبها وليس في لفظها وجزء من معناها؛ لأن جملة (المعرفة رأس مالي) من مبتدأ وخبر أومشبه ومشبه به تكررت صورتها ونبض اسلوبها وأن أختلف البث الدلالي في كل جملة من سواها من الجمل السبع عشرة،حتى خلق هذا التكرار ملمحاً إيقاعياً أشرت اليه في المكون الإيقاعي وعناصرالتكرار تمثلت في: صورة الجملة وأسلوب العطف،والتعريف بـ (أل) في المشبه، والتعريف بـ (الاضافة) في المشبه به، وتتابع كل ذلك في جمل الحديث كلها على نحو من تناسب ثري الدلالة.

اما التفريع في لغة الحديث هنا فلا اخص به اصطلاح البلاغيين القدماء تحديداً، الذي يخصونه كما التكرار في اللفظ الظاهر انما اقصد المعنى قبل اللفظ، كما في التكرار الذي ذهبت اليه الأن.

فالتفريع هنا نظام تركيبي تتفرع الجملة الثانية والثالثة ومابعدها عن نظام الجملة الاولى وأسلوبها وكيفية تركيبها، بالشكل الذي تتابع فيه سلسلة الجمل – كما في الحديث الشريف هنا– تضافرا يجمعهما سلسلة متشابهة من العناصر ونمط أحادي من كيفية التركيب، بما تكون فيه الجملة الأولى مصدراً تصدر عن فاعليته الاسلوبية الجمل الأخرى فيما يشبه الترادف الدلالي الخاص. وهذا النمط التركيبي يناسب الخطابات ذات النزوع التوجيهي الأقناعي والبث الأرشادي الحافل بالمعاني الانسانية المحتفية بالشمول والمكتنزة بالحقيقية، على نحو يفصح عن الحقيقة ولايرمزلها ويبوح ولايوحي ويكشف عن القناع. والتفريع اذا تكثف في نص من خطاب أو في نص بعينه خلق نمطا إيقاعياً مؤثراً.

اما التركيب النحوي الماثل في عنصر التحول البنيوي الدلالي فيتضح في تتابع الجمل الاسمية وتناسبها وتآلفها وتماسكها حتى بدا الحديث بجمله السبع عشرة جملة واحدة من جهة وفيضاً من جمل ذات ثراء تعبيري من جهة اخرى، بمايعكس التماسك النحوي فاعلية البنية في كل جملة اسمية من جهة وثراء بثها الدلالي موصولة بسياق من تماسك نصي مع الجمل الأخرى من جهة ثانية. ويكشف هذا النمط عن نزعة عاطفية الى الأفصاح وتوق الى التبليغ وصفاء ذات ينزع الى اضاءة الأخرى، لذا تجيء بلاغة التركيب مكتنزة بتماسك عضوي دلالي.

د) المكون التصويري

حين يرسم نص نثري موجّه صورة معينة فانه يصوغها بنسق لغوي صياغة ذات اداء اقتصادي مكثف تقترب الألفاظ فيها من ان تكون رموزاً دالة على معانٍ يريدها ذلك نص بما تجيء الصورة كما ذهب الى ذلك الجرجاني ؛ ابداعاً ذهنياً يحيل إلى إحساس بالأشياء والوقائع صادر عن نمط من الإدراك الحسي لها.(٧)

فهي أحساس من جهة الأدراك وهي ابداع من جهة الأداء وهي انجاز للمعنى وتحقيق له، وهنا يسهم الخيال بقوة في صيرورتها. ولكن الخيال في لغة الصورة في الحديث الشريف، كما في (حديث المعرفة) بوصفه أنموجاً خيال موصول بالواقع وصادر عنه ومتصل بالحقيقة ومعبر عنها تعبير كشف وإيضاح وإقناع، لذا يهيمن عليه النزوع الحسي بما يجعله في متناول وعي المتلقي قريباًمن بصره، فاعلاً في بصيرته فعل دلالة اولاً ثم فعل تأملٍ باعث على التفكير. وجاءت الصورة في حديث المعرفة صادرة عن اسلوب التشبيه البليغ، بما بدا المعاني في كل جملة من نتاج تحاور دلالي

اوتشارك موحٍ بين المشبه ذي البث المعنوي والمشبه به ذي البث الحسي فجاء تشبيه المعرفة برأس المال كاشفاً عما يشبه المشاركة الدلالية في انتاج المعنى بين المعرفة ورأس المال للإيحاء بمعنى المنبع او المصدرأو ديمومة الثراء، وهكذا التشارك بين العقل وأصل الدين للايحاء بمعنى الاسس والثوابت او المحدودات التي يقبلها المنطق، وهكذا بين الحب والأساس في معنى الثابت الفطري الدائم الازدهار،وبين الشوق والمركب في معنى الحركة المثمرة او الحركية الايجابية الدائمة، وبين ذكر الله والأنيس في معنى التكامل والايحاء الدائم الازدهار، وبين الثقة والكنزفي معنى الثراء الروحي والمادي في آن معاً، وبين الحزن والرفقة في معنى غياب الخلود عن الزائل او قل عدم جدوى الانقياد للزائل او الحزن على المؤقت توقاً للدائم، وبين العلم والسلاح في معنى الحماية والأمان والاطمئنان، وبين الصبر والرداء في معنى الحماية والدفاع، وبين الرضا والغنيمة في معنى القناعة وبين الزهد والحرفة في معنى الانتماء للحياة الحقيقية وليست الواقعية، لأن الحقيقة فطرة سماء والواقع صورة ارض متغيرة. وبين اليقين والقوت في معنى ديمومة الحياة، وبين الصدق والشفاعة في معنى الانتماء للصواب بوصفه حقاً مراداً،وبين الطاعة والكفاية في معنى الانقياد لله سبحانه، وبين الجهاد والخلق في معنى الصبرعلى شؤون الدنيا وتناقضاتها بيقين من اتجاه الهي واحد، وبين الصلاة وقرة العين في معنى الاطمئنان الذي لا شائبه فيه ولا انكسار فهو فرح بالله دائم. ومما تستنتجه القراءة من لغة الصورة التشبيهية مايأتي:

- المجاورة بين المشبه والمشبه به تفيض بما يبعث على الأقناع العقلي هو ماتنزع اليه لغة الصورة في مستوييها: الظاهروالعميق، لاحتفالها بالحقيقة فطرة وجود،وتوجيههما الواقع ليكون حقيقة ايجاد ايجابي في معانيه الانسانية.

- كل جملة رسمت صورة تبليغية افصحت عن معنى الديمومة والتواصل الايجابي، واقتران المعنى بالدائم الايجابي اي الانساني العام، لان التبليغ انساني شامل فهو للناس كافة، وهو من سمات النبوة المشرفة.

- الصورة في كل جملة ليست للجمال الفني المحتفي بالزينة الباعثة على الاغراء، انما هي للتأثير الباعث على الحقيقة التي يمثّل كشفها للمتلقي مفاجأة تدهش ادهاشاً يتآزر فيه الفني بالعقلي والذوقي بالوجداني، وأثر ذلك يكون الجمالي صادراً عن الصورة الكاشفة عن الحقيقة لتكون الحقيقة المكشوف عنها هي الجمال، بما تجيئ كيفية الكلام البيانية اداء جماله معنى الحقيقة كما كشفت عنها صورة الكلام.

هـ) المكون البنائي

اتصف بناء الحديث بتماسك عضوي لصدوره عن اسلوب صياغة واحد، تبدت عنه الجمل الاخرى في مستوى افق تبليغي واحد، فجاء الحديث افقياً منفتحاً على التعدد بما بدا بناؤه جارياً كالنهر فأولّه: (المعرفة رأس مالي) واذا كان ختامه في الجملة السابعة عشرة بـ (قرة عيني في الصلاة) فان الامكان يبقيه مفتوحاً على جمل اخرى يصدر الكلام فيها عن صفات سنة رسول الله ﷺ ومعانيها الشريفة، بما جعل بناء الحديث افقياً اشبه بـ (اللانهائي) ايحاءاً بأن سنة الرسول الأكرم الخاتم أولها أرضي هو المعرفة بوصفها رأس مال الناس في الدنيا، وأخرها ممتد الى السماء ومن معانيه هناك ان قرة العين الصلاة في الأخرة فجاء المكان في الحديث متسعاً واسعاً أوله أرضي وآخره سماوي، ولما جاء الحديث مبنياً بصياغات من جمل اسمية فأن سرمدية المكان تصبح ممكنة وتشبهها سرمدية الزمان ايضاً، لأن المعاني النبوية المعبّر عنها

فيض من نبوة أولها في الأرض وأخرها في السماء وبثراء من تواصل واستمرارية، لاتترددفيه الافعال ولاتتبادل فيه الادوار الاماكن والاشخاص، بمعنى ليس هناك من نزوع درامي لحركة الزمان والمكان، لأن الحقيقة سكونها حركة وأزليتها أماكن.

أما بناء الحديث عمودياً فيحفل بما يبعث على الأقناع فجاء اسلوب الصياغة مضيفاً شيئاً على شيء آخر إضافة إفاضة وإقناع وليس إضافة زيادة وترهل وهكذا تسلسلت المشابهات (المعرفة،العقل،الحب، الشوق،...) ثم المشبه به (رأس المال أصل الدين،الأساس،الانس،...) وكل ذلك يكشف عن تنوع الاشياء وتراتبها وليس تشظيها وتراكمها، وكل ذلك يستدرج وعي المتلقي ويستميل اصغائه، بما يكون التبليغ فيه مفضياً إلى الإقناع والإفصاح فيه مؤدياً إلى الوضوح.

وقد اتصف البناء من جهة مكوناته بتشابه العناصر بشكل لافت من خلال هيمنة الجملة الاسمية،تعريف المسند بـ (ال) والمسند اليه بالإضافة، غلبة المعنوي على ايحاء المسند والحسي على المسند اليه، البدء من المشترك الانساني (المعرفة رأس مال والختام بالخصيصة الايمانية في الانسان (قرة العين الصلاة) بما جاء اسلوب البناء صادراً عن مقتضى المعنى ومحيطاً به.

و) المعنى التعبيري

المعنى التعبيري هو ماسبق ايضاحه في المكون التصويري بوصفه معنى بيانياً صادراً عن اسلوب التشبيه البليغ بالشكل المتناسب الباعث على الايضاح والتأثير والإقناع، فالمعرفة معلومة ولتقرير حالها تشبهت برأس المال للتعبير عن معنى اصل النماء الذي يدر خيراً وعطاء، وهكذا في العقل والحب والشوق وذكرالله سبحانه

حين تشبهت بـ:اصل الدين والأساس والمركب والأصل والأنيس؛ وبها يلفت النظر ان المشبه شأن معلوم ومعروف وجيء بالمشبه به إما لتقرير كونه معلوماً معروفاً مثل: الاساس والمركب والشوق والانيس والسلاح والرداء، او لبيان إمكان المشبه به كما في: كنزي وسلاحي وقوتي، او لبيان حال المشبه كما في: رفيقي وفخري وشفيعي والصلاة. واقتران الغرض البلاغي بثلاثة موجهات رئيسة هي: تقرير حال المشبه وبيان امكانه وبيان حاله،يعززالفاعلية الإبلاغية للحديث، والبث الأقناعي ولاسيما في عناصره: العاطفية والعقلية والتربوية. وهوية المعنى التعبيري هنا نبوية شريفة لغلبة الصدق فيها على مجرد الاقناع، ولاحتفالها بالحقيقة الموصولة بواقع صائب، والصدور الفني فيه عن صواب الحقيقة الدائم بما بدت الصياغة فيه لغة تعبير واقناع باليقين اكثر منها بمجرد الصياغة الفنية للخطاب.

في جملة (المعرفة رأس مالي) ايحاء بمعنى عمومية الرسالة المحمدية التي يشترك في الحاجة لها الناس كل الناس، فالمعرفة رأس مال كل عاقل، ولكنها حين تجيء عنواناً في سنة نبوية مشرفة بالوحي فذلك موصول بشموليتها للناس كافة، وجاءت بعدها جملة (العقل أصل ديني) لتوكيد المعنى نفسه وتفصح عنه بشمولية اعمق وأدق في التوجيه، ثم جملة (الحب اساسي) ليكون الانتماء للفطرة الأنسانية ثرياً في نقائه، وقد جاءت جملة (الشوق مركبي) لتعميق ذلك وثرائه، وبين الجملتين الاولى والثانية صلة من وعي عميق،كما بين الجملتين الثالثة والرابعة صلة من قلب نقي،وثريا الجمل الاربع في الجملة الخامسة (ذكرالله انيسي) اما الجمل الاثنتي عشرة الاخرى فتجليات عن الجمل الخمس الاولى،مع ان المعنى التعبيري احتفل بالتقابل بين الالفاظ على نحو او اخر من مثل (المعرفة والعقل، الحب والشوق، ذكرالله والصلاة، الجهاد والصبر، الطاعة والرضا، الزهد والفقر...)بما يظهر فيه حديث

المعرفة مكتنزاً بالثوابت التي ينبني عليها الوجود من عقل وعاطفة وصدق وصبر وذكر وصلاة وعلم ومعرفة وجهاد.حتى استمد الحديث عنوانه من احاطة بعناصر المعرفة من عقلية ونقلية ووجدانية احاطة تبعث على التدبر والتأمل والتفكير.

الخلاصة

قدم البحث قراءة في حديث المعرفة اتخذت من مكونات الاسلوب الستة: (المعجم، الإيقاع، التركيب،التصوير، البناء، المعنى) آليات قراءة لأجل اظهار خصائص الاداء الاسلوبي في كشفها عن المعنى النبوي وتعبيرها عنه، وقد اجتهدت القراءة في بيان الحقول الدلالية التي توزع المعجم عليها والصورة الإيقاعية التي انتظم عليها بناء الحديث في التعبير عن المعنى، وخصوصية التركيب في لغة الحديث موصولة بالمعنى النبوي المعبر عنه، وأسلوب التصوير البياني الرئيس اعني (التشبيه) وكيفية اداء المعنى بالصدور عنه.

وبناء الحديث بشكليه: الافقي والعمودي وصلتهما في الاحياء بالمعنى بوصفه مجموعة معيطات عقلية وعاطفية وروحية صيغت ببيان نبوي حاملة معنى نبوياً شاملاً في قصديته الإبلاغية غير مقيد بزمان او مكان، عاماً في انسانيته غير محدد بفئه او قومية، موصولاً بالتعبير عن الحياة والإيحاء بكيفية بنائها بوصفها حقائق دائمة الازدهار أكثر منها وقائع متغيرة لا ثوابت لها، لذا عملت القراءة على تأمل أسلوب الحديث موصولاً بكيفية ادائه المعنى التعبيري.

١) الشفا بتعريف المصطفى، القاضي: عياض،١/ ٨٥ وكشف الخفاء، العجلوني،٢/ ٥١٨، وصفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، السيوطي،١/ ٢١. وتخريج احاديث

الاحياء، العراقي، ٤/ ١٦١. والفوائدالمجموعة، الشوكاني، ١/ ٣٢٦

٢) نظرية البيان العربي، د.رحمن غركان، ص.

٣) منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، ص٣٦٣.

٤) ثلاث قضايا حول الموسيقا في القران، نعيم اليافي، ص٩٠.

٥) الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام احمد حمدان، ص٨٧.

٦) يرى القرطاجني وبحسب مايأخذ عنه احمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية ان التفريع هو: ان يصف الشاعر شيئاً ما، ثم يلفت الى شيء اخر، يوصف بصفة مماثلة او مخالفة لما وصف به الأول، فيستدرج من احدهما الى الأخر، ويستطربه اليه، على جهة تشبيه او مفاضلة، او التفات او غير ذلك، مما يناسب به بعض المعاني وبعض،فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمدمطلوب، ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

٧) اسرار البلاغة، الجرجاني، ص٨١.

المصادر والمراجع

١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د.ابتسام احمد حمدان، دار القلم، سورية –حلب،١٩٩٧.

٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨.

٣) تخريج احاديث احياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي،محمود بن محمد الحداد ابو عبد الله،دار العاصمة،١٩٨٧.

٤) – صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، السيوطي، مكتبة الوراق.

٥) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمدالشوكاني، المكتب الأسلامي – بيروت، ط٣،١٤٠٧.

٦) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، مكتبة القدسي، جامعة كاليفورينا، ٢٠٠٧.

٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب، مكتبة لبنان – ناشرون، بيروت،١٩٩٦.

٨) منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، ت: محمد بن الحبيب بن الموجه، دار الكتب الشرقية، تونس،١٩٩٦.

٩) نظرية البيان العربي، د.رحمن غركان، دار الرائي للدراسات والنشر،٢٠٠٨.

البحوث:

١) ثلاث قضايا حول الموسيقى في القران، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي – دمشق– العدد (١٧) لسنة ١٩٨٤.

٢) عودة الى موسيقى القران الكريم، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي، عدد ٢٥–٢٦، دمشق،١٩٨٧.

دراسة تحليلية
لبعض آراء المستشرقين
عن السيرة النبوية المطهرة

Analytic Study on the Viewpoints of Orientalists Concerning the Sacred Prophetic Chronicle

أ.د. فاطمة زبار عنيزان

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د.خديجة زبار عنيزان

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

Prof.Dr. Khadeeja Zabar `Anezan

Centre of Reviving Scientific Legacy

University of Baghdad

Prof.Dr. Fatima Zabar `Anezan

University of Baghdad

College of Education for Women

Department of Arabic

... ملخص البحث ...

يقوم هذا البحث على أساس دراسة بعض آراء المستشرقين وموقفهم من السيرة النبوية المطهرة من خلال كتاباتهم التي ركزوها عن القران الكريم والسيرة النبوية، الأمر الذي أغنى المكتبة الإسلامية بوافر من البحوث والمصنفات والمعاجم، كان نتيجته قيام حركة استشراقية واسعة النطاق لها اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وأثمرت هذه الحركة نهضة واسعة تمكنت من تحديد مواضع الضعف والقوة في آرائهم التي ولدت مزيجا متناقضا غير متكافئ في بعض الأحيان له أثره في تشتيت أهدافهم ولاسيما الدينية – التبشيرية المجردة من القيم والمفاهيم، مما أدى إلى نتاجات تتناسب وقدراتهم فمنهم من كان الحصين ومنهم من كان حاطب الليل، ومنهم من كان المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف.

...Abstract...

The study is based on the study of the views of some orientalists and their standpoints about the sacred prophetic chronicle via their writings that scrutinize the Glorious Quran and the prophetic chronicle. As a result, the Islamic library grows richer in research papers, workbooks and dictionaries, since there is widespread orientalism paying heed to Arabics and the Islamic studies. Such an act touches the forte points and weak ones in their opinions begetting an unbalanced, sometimes, amalgam that casts dissention among their targets, religiously missionary, devoid of doctrines and concepts. In time , such acts of disparity lead to artworks tantamount to their competence, the competent and the incompetent, or the obstinate and the feeble and the fair objective one.

... المقدمة ...

تظهر أهمية هذا النوع من الدراسات التاريخية كونه يختص بالبحث في مجال الدراسات الاستشراقية وموقفها من السيرة النبوية المطهرة،فقد أفادوا منه في فتح آفاق جديدة أدت إلى نهضة كبيرة لها أساسها في اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب والعلوم الإسلامية من جانب آخر، من اجل تحقيق مواقع القوة والضعف من خلال الرؤية المناسبة لاتجاهاتهم العلمية أو السياسية أو ألاقتصادية أو الاستعمارية لان تراثهم الذي خلفوه ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك وان مافيه من انصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض من عند المستشرقين فيما يخص معرفتهم وفهمهم للغة العربية، وتكمن أهميه هذا الموضوع في التعرف على أراء هؤلاء ومواقفهم في هذا الموضوع في اتجاهها السلبي المتعصب والأخرى في اتجاهها الايجابي المتفهم.

أولا: الاستشراق والإسلام

أولى المستشرقون الإسلام أهمية كبيرة، فأفادوا منه في فتح آفاق علمية وحضارية وأفادوا المكتبة الإسلامية بكثير من البحوث والمصنفات والمعاجم والتحقيقات القيمة، إلا ان كثيرا منهم جهلا أو تعمدا نالوا من الإسلام واتخذوا من عملهم في هذا المجال طريقا للطعن والتشويه والتصحيف والتحريف، وقد تركزت كتاباتهم حول القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، وأقاموا الادله الناقصة من أجل إظهار ما تبطن نفوسهم، ولهذا نجد انه لم يكتب في هذا الموضوع إلا كبار المستشرقين المتطلعين وللأسف كان حظ المغرضين غير المنصفين من هؤلاء كبيرا، الأمر الذي جعل مواجهة ذلك ضروريا وملحا لاسيما ان المكتبة الإسلامية تفتقر إلى الكتب المتخصصة التي ترد شبهات المستشرقين وتبين أخطاءهم[١].

وفي مستهل هذا الحديث يجب علينا الرجوع إلى الجذور الأولى التي مهدت لنشأة الاستشراق أي الصلة الأولى بين المسلمين والغرب، إذ بدأت عندما كان المسلمون في اسبانيا، وكانت أوثق الصلات بالمسلمين من فرنسا وايطاليا وانكلترا،ففرنسا عرفت المسلمين وأصبحت لها صلة بالثقافة الإسلامية أولا[٢]، في مدارس الاندلس وصقلية إذ تأثرت بها وانشأت على أثرها مدارس للدراسات الشرقية والإسلامية والمعاهد والجامعات والمجلات[٣]، وايطاليا التي كانت من أعرق دول العالم اتصالا مع المسلمين وحضارتهم اتصالا دينيا قويا بسبب اهتمام الفاتيكان التي كانت تمثل معقل المسيحية بالعلوم والثقافة الإسلامية عامة وباللغة العربية خاصة[٤]، ومن هنا برز اهتمام الفاتيكان بالاستشراق من هذا الجانب، أما انكلترا فقد ظل العلماء مدة طويلة يعتقدون ان أول اتصال مهم بين الثقافة الإسلامية والأوربية كان نتيجة

الحروب الصليبية، وقد تكون هذه الفرصة الأولى للاتصال بين الشرق والغرب، إلا ان البحوث التاريخية أثبتت ان ذلك التبادل الثقافي كان محدود المدى والأثر، وهذا أمر متفق مع ماكان سائدا في ظل الحروب بين الطرفين ويعتقد ان وصول الحركة الفكرية والعلوم العربية الإسلامية إلى أوربا بصفة عامة وانكلترا بصفه خاصة عن طريق آخر بعد ان فتح العرب شمال أفريقيا فأصبحت جسرا بين الشرق والغرب(٥)، لهذا تهيأ للمستشرقين الانكليز مالم يتهيأ لغيرهم فقد كان الاتصال والاحتكاك المباشر بالمسلمين وعلومهم الإسلامية فنهلوا من تلك العلوم وترجموا الكثير من كتبها إلى لغتهم منهم على سبيل المثال لا الحصر: توماس براون، وادوارد، وأوف بات وغيرهم(٦).

وقد أثمرت جهودهم عن حركة استشراقية واسعة لها الاهتمام الكبير باللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتها واخذ الاستشراق مكانة هامة في كل من اسبانيا والنمسا وايطاليا والدنمارك وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا وسويسرا وروسيا وأمريكا(٧). الأمر الذي أدى إلى نهضة كبيرة أدت إلى اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب والعلوم الإسلامية من جانب آخر كان نتيجته تحديد مواقع القوة والضعف من خلال منظورهم العلمي أو السياسي او الاقتصادي أو الاستعماري...الخ، وان تراثهم الذي خلفه هؤلاء المستشرقون ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك، وان مافيه من انصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض عند المستشرقين فيما يخص قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها فهي غير متساوية ومتكافئة عندهم من جانب(٨).

والجانب الأخر ان أهداف المستشرقين ليست واحده بل متعددة ولعله راجع إلى حركة الاستشراق وان كانت احد أهدافها دينية نشأت على أيدي الرهبان إلا انها خضعت لظروف وملابسات أخرى متعددة ذات أهداف دينيه تبشيرية وعلمية مجردة ومصلحية وشخصية وخدمة استعمارية، ولاشك ان اختلاف قدراتهم وتبيان أهدافهم هذه أدى إلى نتاجات تتناسب وهذه القدرات، فمنهم الحصين الدقيق، ومنهم حاطب الليل لايدري أين يضع الكلمة، وفيهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف، بل منهم من أدى به انصافه إلى إعلان إسلامه قناعة ويقينا، منهم على سبيل المثال لا الحصر: يوكهارت، وكرتكوف، وزو سنتين، وغيرهم[٩]، وعكس ذلك منهم المتعصب المغرض الحاقد الذي يروم الطعن بقصد التشويه وما يمكن ان ينال به الإسلام أو نبيه ﷺ، لذا فنحن بحاجة إلى تصنيف المستشرقين ومراحل كتاباتهم وبحسب الملابسات والظروف لمعرفة تطور الكتابة عن الإسلام بدءا بالرسول ﷺ،إلى ثلاث مراحل هي:

الأولى: مرحلة الطلائع.

الثانية: مرحلة مابعد سقوط غرناطة

الثالثة: مرحلة مابعد سقوط الخلافة الإسلامية[١٠].

وفي ضوء هذا الاتجاه تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الإسلامية، وابرز ماكتبوا فيه هو:

١. عن القرآن الكريم وعلومه.
٢. عن سيرة المصطفى ﷺ.

وقد اتصفت كتاباتهم حول القرآن الكريم بشكل عام بإبراز المتشابه منه والقراءات الشاذة وتأويل الآيات الكريمة وتحميلها أكثر مما تتحمل، وابرزوا اختلاف وجهات النظر بين المفسرين وما إلى ذلك، وكثيرا ما يرمون بذلك إلى التشكيك والتشويش في مجال الدراسات القرآنية،ولم تكن كتاباتهم عن الرسول ﷺ بأقل من ذلك بل ان مجالهم في التشكيك والطعن كان اكبر من ذلك[١١]. واغرقوا المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في سيرة المصطفى ﷺ شكلا وموضوعا وفيما تحمله من تصورات تخالف ماجاء في القرآن بزعمهم وان كان بعضها يخالف الآخر و غير ذلك مما سولت لهم انفسهم زعمه وفق اجتهاداتهم الخاطئة[١٢].

ولهذا نجد ان الصورة المشوهة عن الإسلام كانت تهيمن على الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى يومنا هذا تقريبا[١٣]، لانها ضرورة لابد لهم منها كي تعوضهم عن النقص الذي يشعرون به تجاه الإسلام[١٤]، التي كونت تلك الفكرة عن المسلمين كونهم وثنين يعبدون محمداﷺ،ونظروا إليه باعتباره ساحرا بل الشيطان بعينه ونلحظ تحريف اسمه في الانكليزية (Mahound) وانهم ينظرون إلى الدين الإسلامي انه دين عنف وسيف وانه يطلق لشهوات المرء العنان وان محمدا هو المسيح الدجال[١٥]، وزعموا أيضا ان القرآن الكريم نسخة محمد ﷺ، وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم الذي هو عبارة عن أحلام ورؤى وأوهام وانه في بدايته كان يمثل أفكارا وأمثلة تصور الحياة الأخرى، ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعا إلى توحيد الله وعبادته للفوز بالدار الآخرة، وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله، و هذا التصور المشوش نجده مسطرا في كتبهم ويتناقلوه آثما عن آثم خاليا من أدنى نظرة علميه مجردة[١٦].

وبصورة عامة نجد ان ما أثاروه من الشبه والأباطيل حول الرسول ﷺ ،والقرآن الكريم،يتلخص على النحو الآتي على سبيل المثال لا الحصر:

١. ان الرسول ﷺ ليس رسولا وانما مؤدي رسالة وساعده على ذلك ذكاؤه(١٧).

٢. ان القرآن الكريم ليس وحيا من عند الله بل هو تأليف محمد ﷺ(١٨).

٣. ان محمدا ﷺ اقتبس القرآن من التوراة والاناجيل وأخبار الماضيين وأساطير الأولين، وان القرآن ليس معجزا، ويمكن ان يحاكى ويؤتى مثله لأنه كلام يعبر بصيغ اعلي وارفع الأساليب العربية بلاغة وفصاحة، وان القرآن بدل وحرف وهو مليء بالتناقضات، وانه إذا صح ان محمدا ﷺ كان رسولا فهو رسول إلى العرب لايتعداهم إلى غيرهم من الأمم، وان الذبيح من ولدي إبراهيم عليه السلام هو إسحاق وليس إسماعيل(١٩).

ثانيا: الجوانب السلبية للمستشرقين من السيرة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم

تمثل الموقف الغربي من الرسول ﷺ ومن القرآن الكريم في شكل إطار ديني صرف موصوف بالتعصب والتشنج والانفعال المليء بالحقد والكراهية تحيط به جهالة عمياء متعمدة حينا وغير ذلك حينا أخر، جعلت بين القوم وشخصية محمد ﷺ سدا يصعب اختراقه وأثارت سحابا من فوقه سحاب وظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج احد يده لم يكد يراها والنتيجة أبحاث ليست تاريخية علمية أو

موضوعية بل عبارة عن سيل منهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال الدين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافه، ورجال علمانيون لاعلاقة لهم بالكنيسة واستمر هذا التيار حتى وقتنا الحاضر[٢٠].

لذا سوف ننقل ماقالوه على سبيل الاستشهاد ومادام ناقل الكفر ليس بكافر. فلا باس من إيراد بعض أرائهم التي هي عبارة عن شتائمهم التي نتلقاها عن اناس حديثي عهد بهذا العصر بل ان بعضهم لازال على قيد الحياة، منهم على سبيل المثال كما نقل محمد البهي عن المونسيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق) قائلا: «برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على اشد انواع التعصب ويتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لإتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون بالاستمتاع الدائم بملذات الجنة... وان قوة الهلال تقهقرت أمام قوة الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى مافيه من قوانين الأخلاق الساذجة»[٢١].

أما مسيو كيمو في كتابه (ميثولوجيا الإسلام) كما نقل البهي عنه «ان الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هي مرض مروع وشلل عام... وان قير محمد في مكة ما هو الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجيء إلى الإتيان بمظاهر الصرع الهيستريا والذهول العقلي وتكرار لفظ (الله الله) إلى مالا نهاية»[٢٢].

وعن جوليان في كتابه (تاريخ فرنسا) يورد البهي عنه قائلا: «ان محمدا مؤسس دين المسلمين قد أمر اتباعه ان يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الأديان بدينه ...»[٢٣].

وعن غلاورورو في كتابه (تقديم التبشير العالمي) يشير البهي قائلا: «ان سيف محمد والقرآن اشد عدوا واكبر معاند للحضارة والحرية والحق...»[٢٤]، وزاد قائلا عن الرسول ﷺ كما نقل البهي: «كان محمد حاكما مطلقا وكان يعتقد ان من حق الملك على الشعب ان يتبع هواه ويفعل ماشاء...»[٢٥].

ويقول المستشرق البريطاني المعاصر مونتكمري واط في التأثير اليهودي المسيحي عليه ﷺ: «ان زيارة محمد لحراء،وهو جبل قريب من مكة بصحبته عائلته أو بدونها ليست مستحيلة ويمكن ان تكون ذلك للفرار من أتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لايستطيعون إلى الطائف ويمكن للتأثير اليهودي المسيحي ولاسيما مثل الرهبان، أو تجربة شخصيه لمحمد، ان يكون قد أثار فيه الحاده للخلوة والرغبة فيها»[٢٦]، وزاد في موضع أخر ان مانزل على محمد ﷺ مماثل لما ورد في كتب اليهود والمسيحية قائلا: «...بعد ان اخذ محمد يتلقى الوحي وهي تعني ان مانزل على محمد مماثل لكتب اليهود والمسيحية ألمقدسه كما ان محمدا سمع ما يوهمه بانه مؤسس أمة ومشرِّع لها...»[٢٧].

ان النظرة الأولى للإسلام تكشف عن مواضع شبه بينه وبين المسيحية،ولكن نظرة فاحصة دقيقة قريبة تبرز الخلافات الأساسية، وهذه الحقيقة غالبا ماتثير المبشرين في الماضي ومازالت تميل قليلا في المجال الأكاديمي إلى التحايل على تفسير مثل هذه الشوارد كأصول الإسلام ويتسنى للمبشر أو الباحث الأكاديمي إلى ان يتناسى وهو ينال من قدرة محمد ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر كيف يقدس المسلمون الأتقياء السيد المسيح عليه السلام،وقد عمل احد المستشرقين وهو قسيس انجليكاني على عقد عدة موازنات ليظهر ان الإسلام في حده صورة غير محكمة أو مشوهه للمسيحية[٢٨]، أما

الفرد كانتول سمث يذكر أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين بعضهم عن بعضهم الآخر سببه ان الفريقين أساء فهم عقيدة الآخر كما نقل محمد البهي[٢٩].

أما المستشرق كتيباني فقد اعتمد منهجا معكوسا في الانتقال الكيفي في أحكامه وقد أشار جواد على قائلا: «..كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يذكرنا بكثير من المختصين في حقل التاريخ الإسلامي والذين يعملون وفق منهج خاطئ من أساسه إذ انهم يتبنون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها مايؤيد فكرتهم ويستبعدوا مادون ذلك فلقد وضح رأيه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها استعان بكل خبر من الإخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها ولم يبال بالخبر الضعيف»[٣٠]، ونقل عن آيتين في كتابه (الشرق كما يراه الغرب) بعض الآراء حول هذا المنهج قائلا: «ان سيرة محمد الحديثة تدل على ان البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأي نظريه أو رأي سابق، وهي حقيقة يجب على مستشرقي العصر ان يضعوها نصب أعينهم فانها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة فيصلوا إلى نتائج خاطئة»[٣١].

أما بصدد مهاجمة يهود بني النظير،فيذكر بعض المستشرقين ومنهم ولفنسون الذي يرى ان مؤرخي العرب يذكرون سببا آخر لإعلان الحرب على الطائفة اليهودية كما يقول: »... هو محاولتهم اغتيال الرسول وانهم ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد إجلاء بني النظير»[٣٢].

أما بروكلمان الذي يعزو الأمر إلى الظروف التي حالت بين الرسول ﷺ وبين شن الحملة كما يقول: «لقد حالت الظروف بين الرسول وبين الشروع في شن

حملة نظاميه مباشرة على المشركين فقد كانت فكرة الشرف العربية القديمة تمسك المهاجرين عن محاربة إخوانهم في قريش فيما كان المدنيون غير شديدي الميل إلى تعكير صفو السلم مع جيرانهم الأقوياء... وان محمدا كان يشكر صنيع أتباعه...»[٣٣]، أما فلهاوزن الذي انكر سياسة تسامح الإسلام قائلا: «لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب في داخل المدينة...»[٣٤]. أما مرغليوث في كتابه (محمد) فقد قدم مبررات لاجدوى لها عن محمد ﷺ قائلا: «عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب النهب ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه...»[٣٥].

ثالثا: الرد على غلو بعض المستشرقين

لقد غالى المستشرقون في كتاباتهم عن السيرة النبوية المطهرة وأجهدوا انفسهم في إثارة الشكوك في كل شيء يخص الرسول ﷺ، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده،وأشار إلى هذه المسالة درمنغم كما نقل هيكل عنه قائلا: «... من المؤسف حقا ان غالى بعض هؤلاء المتخصصين أمثال موير ومرغليوث ونولدكه وشبرنجر ودوزي وكيتاني ومارسين وغريم وغولدزيهر وغوذفزوا... في النقد فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن المحزن ان النتائج التي وصل إليها أولئك المستشرقون هي نتائج سلبيه ناقصة»[٣٦].

أما الأب لامانس الذي كان من أفضل المستشرقين المعاصرين ومن أشدهم تعصبا فقد شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبني الإسلام وعنده ان الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن[٣٧].

ان اعتماد القرآن الكريم مصدرا من مصادر السيرة النبوية المطهرة سلاحا ذو حدين، يتمثل الحد السلبي بنفي الكثير من أحداث السيرة النبوية المطهرة مادامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن الكريم كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد ﷺ، وهذا مكنهم من عملية انتقاء مغرضة ذات طابع هدمي معاكس للكل وهي التشكيك ورفض كل رواية لا ترد موادها في القرآن لاسيما إذا كان في هذه الرواية تمجيد للنبي ﷺ، أو إذا كان في نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقيه.

فمثلا شبر نكر Sprenger يرى ان اسم النبي ﷺ ورد في أربع سور من القرآن من آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح،وكلها سور مدنية وان لفظة محمد لم تكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرةوانما اتخذه بتأثير قراءته للانجيل واتصاله بالنصارى[٣٨]، وهنا يتوجب ان نسال شبر نكر إذا كان النبي ﷺ قد التقط اسم (محمد) من خلال قراءته لنبوءات الانجيل فأين ذهب (محمد) الحقيقي الذي بشر به العهدان القديم والجديد؟

وان القرآن الكريم كان قضيه فوقية جاءت آياته لتقود الانسان في كل زمان ومكان إلى عصر جديد، ولم يكن ينفعل انفعالا مؤقتا بالوضع السائد سلبا أو إيجابا كما يتصور معظم المستشرقين مسيحيين وماركسيين، وهذا يفسر لنا الكثير من الأخطاء التي مارستها مناهج البحث الاستشراقية[٣٩].

ونحن هنا لانطلب من الغربيين ان يؤمنوا ان القرآن منزل من السماء وان محمدا ﷺ رسول، وانما نطلب ان يكونوا أكثر تجردا وموضوعية في النظر إلى السيرة النبوية المطهرة بوصفها وحدة عضوية متكاملة والقرآن الكريم بوصفه برنامجا مترابطا تعلو معطياته على الظروف المؤقتة زمانا ومكانا برغم ملامساتها اليومية المباشرة

للوقائع الزمانية والمكانية التي تنبثق عنها قيم ودلالات ذات طابع شمولي ماكان للمستشرقين ان يغفلوا عن إبعادها.

فيرى بيجولفساكيا ان القرآن الكريم يشعر بتركيز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب مع بلاييف إلى المرحلة الإقطاعية الذي يرى ان الإسلام المتمثل بالقرآن الكريم لايلائم المصالح السياسية والاجتماعية، ويدعي كليموفيج ان محمد ﷺ واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وأرادوا توحيد القبائل بينما ينفي تولستوف وجود النبي العربي عليه السلام ويعده شخصيه أسطوريه كما نقل عنه الدوري(٤٠).

أما المستشرق واشنجون ايرفج من أعلام الكتاب الذين فاخرت بهم الولايات المتحدة الامريكية الذي لم تمكنه دراسته من إدراك روح الإسلام وأساس حضارته فذهب مذهبه الخاطئ في تأويله فيما يخص مسائل القضاء والقدر والاعتماد على مبدأ الجبرية كما نقل عنه هيكل قائلا: «وقد أقام محمد جل اعتماده على هذه القاعدة لنجاح شؤونه»(٤١).

أما الفيلسوف الفرنسي هيبوليت الذي تبنى قوله: «المرء ثمرة بيئته» وقد ذهب غير واحد من المستشرقين إلى تأييده، ولكن نقول استنادا إلى قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾(٤٢)، ولايكون هذا وحده دليلا على تحامل المستشرقين الذين يزعمون جبرية الإسلام التي أدت إلى تدهور الأمم الآخذة به بل ان الجبرية الإسلامية أكثر حظا على السعي إلى الخير والفضل وابتغاء الرزق من الجبرية الغربية(٤٣)، وربطوا مطاعنهم في مسالة جمع القرآن الكريم فأقاموا الحجج الواهية على ذلك مستندين في ذلك ان الرسول ﷺ قد قبض ولم يكن القرآن قد جمع في شيء كما نقل عن المستشرق وليم ميور وغيره من المستشرقين(٤٤)، الذين

اتخذوا من قول الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ كما أورد هيكل: «كيف يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ وهم مخطئون في تحميل عبارة أبي بكر هذا المعنى وفي ظنهم ان الآيات ظلت مبعثره من نزولها إلى ان جمعت في عهد الخليفة الأول ثم في عهد عثمان ﷺ وبتوفيقه... وانما ألف القرآن على ماكانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ»(٤٥).

أما هاملتون كب في مقالة له عن الرسول ﷺ يذكر: «...ان فكرة الإله الأعلى ماتزال غامضة مضطربة عالقة بالخرافات وان الثورة التي حققها محمد ﷺ انه رفع فكرة الله ونزهها من عوالقها الطبيعية ولم يكتف بان يسميه (الإله الأعلى) بل انه (الواحد الصمد)»(٤٦)، وعن علاقة الرسول ﷺ ينقل لنا النشمي عن كولد زهير قائلا: «ان الرسول ﷺ لما بلغ الأربعين من عمره اخذ يقضي وقته على ماتعود في الخلوة في الغيران المجاورة لمكة حيث كان نبها للأحلام القوية والرؤى الدينية وتملكه شعور بان الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذرا... الانذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم وبهذا انظم محمد ﷺ إلى سلسلة أولئك الانبياء القدماء بوصفه آخرهم وخاتمهم»(٤٧).

وبهذا تكون فكرته تلك الصورة عن دور النبي محمد ﷺ التي وسمت القرآن الكريم بالصفة البشرية تلك النتيجة التي رتبوا عليها كل بحوثهم وأرائهم وركزوا كل تحليلاتهم واستقوا على ضوئها استدلالاتهم واستنتاجاتهم.

رابعا: أراء بعض المستشرقين المنصفة

اتخذ بعض المستشرقين طريق الحق في الخوض في سيرة المصطفى ﷺ وما يتعلق بها من مواضيع شتى وقد أسهمت كتاباتهم المنصفة في التخفيف من التعصب الذي اتخذه غيرهم من المستشرقين غير المنصفين وكانت آراؤهم كلمة حق.

منهم العلامة شيبرل الذي يرى ان للبشرية الحق بان تفخر بانتساب محمد ﷺ لها وذلك في بحث ألقاه في مؤتمر الحقوق عام ١٩٢٧م وقد أورد النشمي عنه ذلك قائلا: «ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها. إذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين اسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنه»[٤٨]. ونقل النشمي عن الدكتور هوكنج الذي يقول ان الدين يقوم على أساس اتخاذ مجموعة من المبادئ التي تقود إلى التقدم «ان سبل تقدم الدول الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب المفترضة التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية أو عن القانون والنظم السياسية، وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم،ويقول اني اشعر انني على حق حين أقرر ان الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على المبادئ اللازمة للنهوض»[٤٩].

أما المؤرخ الانكليزي ويلز الذي يرى ان أوربا كلها مدينة للإسلام في اغلب جوانبها الإدارية والتجارية[٥٠]، وقد احتل الإسلام مكانا وسطا بين النظريات الرأسمالية والبرجوازية في نظرته إلى المادة بوصفها شيئا مسخرا لخدمة الإنسان كما يشير ماسنيون وقد أيده جوستاف لوبون الذي يرى ان العرب المسلمين هم سبب انتشار المدنية في أوربا[٥١]، أما الشاعر الألماني جوته الذي يقول: «نحن مدينون للإسلام جميعا»[٥٢].

ان هذه الشهادات التي أصبحت معلومة للقاصي والداني، ووافق عليها كثير من المستشرقين المعاصرين اليوم تقضي على مزاعم غير المنصف من المستشرقين الذين كادوا العداء للإسلام عامة والرسول ﷺ خاصة، ولابد من حركه واسعة من اجل إسدال الستار على أبحاث أولئك المغرضين منهم، كي يبقى الإسلام صافيا ناصعا لا يكدر صفوه تطاول أي زمره من المستشرقين الذين تجردوا من الموضوعية والبحث العلمي الرصين وآثروا التعصب هدفا لبحثهم والكيد والطعن والتشويه أسلوبا لمنهجهم ممن كان هذا دأبه وانه تجاوب مع منهج التوحيد الذي يتجاوب مع فطرة الإنسان[٥٣]، مستندا إلى منهجه تبارك وتعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥٤]، ويعزو بولد قابس تحامل المستشرقين إلى غزيرة موروثة تقوم على مؤثرات خلفتها الحروب الصليبية بكل مالها من ذيول في عقول الاوربين الأوليين[٥٥].

وعزز ذلك تلك الموازنة التي عقدها ماركس في كتابه (محمد وبوذا (المسيح)) أي بين الرسول ﷺ وبوذا المسيح متسائلا كما نقل العقاد ذلك قائلا: «... أليس محمدا نبيا على وجه من الوجوه؟... فأجاب قائلا: انه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الانبياء فقد عرف حقيقة عن الله لم تعرفها الناس من حوله وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لاتقاوم نشر تلك الحقيقة وانه لخليفة هذه الفضيلة وانه أوفر الانبياء شجاعة»[٥٦]، وزاد معللا ذلك في قوة أساسه وعمقه كما نقل عنه العقاد «... ويقول إذ سال: ما الذي دفع بمحمد إلى أقناع غيره حيث رضي الموحدون بعبادة العزلة؟ فلامناص لنا ان نسلم انه هو العمق والقوة في أبحاثه يصدق مادعى إليه...»[٥٧].

... الخاتمة ...

ومما تقدم نخلص الى ان للمستشرقين اهتماما واسعا بالإسلام بصورة عامة والسيرة النبوية المطهرة والقرآن الكريم بصورة خاصة ونتيجة لهذا الاهتمام رفدوا المكتبة الإسلامية بوافر من البحوث والمصنفات والمعاجم وغيرها وقد تركزت كتاباتهم حول القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، وقد نشا من ذلك حركة استشراقية واسعة لها اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات المختلفة وأخذ مكانة مهمة في عدد من الدول الغربية منها اسبانيا والنمسا وايطاليا...الخ، وأثمرت جهودهم نهضة واسعة أدت إلى تحديد مواضع الضعف والقوة من خلال منظورهم العلمي والسياسي والاقتصادي والاستعماري، الذي ولد لديهم مزيجا متناقضا على وفق قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها فقد كان غير متساو ومتكافئ في اغلب الأحيان، لذا كانت أهدافهم ليست واحدة ولاسيما الدينية منها التي نشأت على أيدي الرهبان فكان لها طابعها الديني التبشيري ذو الطبيعة المجردة والمصلحية أدى إلى نتاجات تتناسب وقدراتهم، فمنهم الحصين ومنهم حاطب الليل لا يدري أين يضع كلمته ومنهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف، ومنهم من أدى به إنصافه إلى إعلان إسلامه قناعة ويقينا.

.....

١) النشمي: عجيل جاسم، المستشرقون، مصادر التشريع الإسلامي، ط١(الكويت، ١٤٠٤هـ،

١٩٨٤م)، ص٥-٦؛ درمنغم: أميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢ (دار إحياء الكتب، ١٩٤٦م)، ص١٠، ١٤١.

٢) م، ن، ص ٧.

٣) م. ن، ص٧-٨.

٤) العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط٣ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ١/ ٣٤٧.

٥) مجلة الاستشراق العدد الثاني، شباط ١٩٨٧م، سلسلة الكتب المقارنة،ص٢٢.

٦) العقيقي: م. ن، ٣/ ١٦٢.

٧) النشمي: م.ن، صـ صـ ٨-٩.

٨) العقيقي: م. ن، ٢/ ٤٢٩.

٩) م.ن.

١٠) م.ن.

١١) النشمي: م. ن، صـ٢٢.

١٢) م.ن، صـ صـ٢٢-٢٣.

١٣) أمين:حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط٢ (بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، صـ٩٨.

١٤) النشمي: م.ن،صـ٢٢.

١٥) العقيقي: م.ن،صـ٣١.

١٦) أمين: م.ن،صـ صـ٩٩-١٠٠.

١٧) المطعني:عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ط١ (المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، صـ صـ٩-١٠.

١٨) م.ن.

١٩) البهي:محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (القاهرة)، صـ صـ٥٠٧، ٥٢١.

٢٠) م.ن.

٢١) م.ن.

٢٢) م.ن.

٢٣) م.ن.

٢٤) م.ن.

٢٥) م.ن.

٢٦) واط:مونتغمري، محمد بمكة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت،المكتبة العصرية)، صـ٨١؛ ومحمد بالمدينة، ترجمة شعبان بركات (بيروت،المكتبة العصرية)، صـ١٥.

٢٧) م.ن، ٩٢-٩٣.

٢٨) البهي: م.ن،صـ صـ٥٩٣-٦٠١.

٢٩) م.ن.

٣٠) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م)، ١/ ٩٥.

٣١) م.ن،١/ ٤٣-٤٤.

٣٢) ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة،الاعتماد،١٩٢٧م)، صـ صـ١٤٥-١٤٦.

٣٣) بروكلمان:كارل، تاريخ الشعوب الاسلاميه، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، صـ ٤٤.

٣٤) فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، (دار القلم،١٩٨٠م)، صـ صـ ١٥-١٦.

٣٥) مرغليوث: محمد وقيام الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ١٩٦٨م، صـ صـ ٢٦٢-٢٦٣و Margolioth.D.S. Mohammad and Rise of Islam,(London,1931) p. 262-263.

٣٦) هيكل: محمد، حياة محمد، ط٤ (القاهرة، ١٩٥٨م)، صـ صـ ٥٥٠-٥٥١.

٣٧) علي: م.ن، ١/ ٨، ١٠-١١.

٣٨) م.ن،١/ ٨٧.

٣٩) م.ن.

٤٠) الدوري: عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠م)، صـ صـ ١٤-١٦.

٤١) حياة محمد، صـ صـ ٥٥٠-٥٥١.

٤٢) النجم، أية ٤٠.

٤٣) هيكل:م.ن، صـ٥٥١.

٤٤) أبو بكر الصديق، ط٤(القاهرة، ١٩٧٩م)، صـ صـ٢٢٦-٢٢٧.

٤٥) م.ن، صـ ٣٢٩.

٤٦) كب:هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام،ترجمة د.إحسان عباس وآخرين، ط١(بيروت، دار العلم للملايين،١٩٦٤م) ن صـ صـ ٢٤٨-٢٤٩.

٤٧) مصادر التشريع، صـ صـ ٣٢، ٤٦.

٤٨) م.ن، صـ صـ ٢٣٧-٢٣٨.

٤٩) م.ن.

٥٠) م.ن، صـ ٢٣٩.

٥١) م.ن،

٥٢) م.ن،

٥٣) م.ن، صـ صـ ٢٤٣-٢٤٤.

٥٤) الملك، أيه ١٤.

٥٥) الإسلام على مفترق الطرق، صـ صـ ١٣، ٥٨-٥٩.

٥٦) العقاد: عباس محمود، عبقرية محمد، (مصر، دار الهلال، ١٩٦٩م)، صـ ١٥٤.

٥٧) م.ن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) أمين: حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط٢ (بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٧٩م).

٣) البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (القاهرة).

٤) درمنغم:أميل، حياة محمد،ترجمة عادل زعيتر، ط٢(دار إحياء الكتب، ١٩٤٦م).

٥) الدوري: عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية،١٩٦٠م).

٦) العقاد: عباس محمود: عبقرية محمد، (مصر، دار الهلال، ١٩٦٩م).

٧) العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط٣ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م).

٨) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م).

٩) فلهاو زن، الدولة العربية وسقوطها، (دار القلم،١٩٨٠م).

١٠) كب:هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة د.إحسان عباس وآخرين، ط١(بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤م).

١١) مجلة الاستشراق، العدد الثاني، شباط١٩٨٧منسلسلة الكتب المقارنة.

١٢) مرغليوث، محمد وقيام الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، ١٩٦٨م.

١٣) المطعني: عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ط١ (المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١٤) ميور: وليم، أبو بكر الصديق، ط٤ (القاهرة،١٩٧٩م).

١٥) النشمي: عجيل جاسم، المستشرقون، مصادر التشريع الإسلامي، ط١ (الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٦) هيكل: محمد، حياة محمد، ط٤ (القاهرة، ١٩٥٨م).

١٧) واط: مونتغمري، محمد بمكة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت، المكتبة العصرية).

١٨) محمد بالمدينة،ترجمة شعبان بركات، (بيروت،المكتبة العصرية).

١٩) ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة، الاعتماد،١٩٢٧م).

٢٠) Margolioth.D.S.Mohammad and rise of -Islam,(London,1931),p 262 .263

عالميّة الرسول ﷺ والرسالة
بديل عن
عولمة الحضارة الغربية

Globality of the Messenger and the Message as a Substitute for Globalization of the Western Civilization

أ. م.د.حسن عبدالغني الأسدي
جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلاميّة / قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Hassin `Abid Al-Ghani Al-Asadi
University of Karbala
College of Islamic Science
Department of Arabic

... ملخص البحث ...

يعدّ مصطلح العولمة من المصطلحات التي أفرزها التقدّم التكنولوجي الأخير وعرف عصرنا الحاضر بعصر العولمة الذي بشر بعصر جديد هو عصر المعلوماتية؛ المعلوماتية التي أعطت للبشر قاعدة من البيانات لم يتوافر عليها فيما مضى من عصوره، فلم تعد المعلومة حكرا على جهة دون أخرى. ولعل الإنسان بأبسط الإمكانات يستطيع أن يحصل على معلومات في مجال من المجالات اقل ما توصف به بأنها هائلة.

هذا العصر جعل الإنسان حاضرا في بقاع الأرض بما يقدمه من معلومات، وما يستطيع أن يزود به الآخرين من ثراء معرفي. فتحولت المعلومة إلى صناعة أكثر من كونها نتاج الصناعة. صناعة تستبطن الفكر الأمريكي وطموحات غير خافية على أحد ترغب بتحويل العالم إلى مجتمع واحد ثقافيا وفكريا وقيميا، متمثلا بأنموذجه (المجتمع الأمريكي وإدارته) بآلته الرأسمالية وأيديولوجيته التي اصطحبت معها القهر والإرهاب والمروق عن الشرعية الدولية، ومعاداة السامية.

لقد أخذ مصطلح العالمية يتداول للدلالة على أن من يوصف به، قد استطاع أن يتجاوز إطاره المحلي المتمثل بحدود بلده، أو قوميته، أو دينه، ويتجاوز الإطار الدولي، المنظور إليه بين الدول، بمكوناتها السياسية المتبادرة للذهن، إلى إطار أشمل وأوسع هو العالم، فالعالمية صفة تُظهر أن من يتسم بها أضحى محل فائدة للبشرية بكل تشعباتها وشعوبها.

لقد كان همّ البحث أن يقف على تلك المساحة الإنسانية الكبرى التي أظهر نبينا محمد ﷺ نفسه بها؛ ممّا يمكن أن تمثل مفهوم عالمية هذه الشخصية ومن ثم عالمية الإسلام ليكون بديلا حضاريا عن العولمة الأمريكية. ومتوشحا بكل القيم السامية للتعامل مع الشعوب ومكوناتها إسلامية كانت أم غير إسلامية، باحترامه لخصوصيات الشعوب واعتزازها بهوياتها.

ولكي تكون عالمية الرسول والرسالة بديلا عن العولمة، ينبغي أن تحشد لها مقدرات هائلة، لا أقل من اكتسابنا القدرة على تقديم هذه الشخصية وأفكارها إلى أقصى بقاع هذه المعمورة، وأن يتم بناء مؤسسات نابعة من الفكر المحمدي الإسلامي لتكون داعمة له تعمل على إبراز المنافع المتعددة الجوانب التي ستجنيها البشرية عند تبنيها هذا الفكر وإيصالها لها. وألّا نخلط بين طبيعة هذه الشخصية وما حملته من هموم الإنسان المستضعف وقيادته الخلق نحو الحرية المتمثلة بالعبودية المطلقة لله تعالى، وواقع ما نعيشه المتمثل بعجز أتباع هذا النبي العظيم على أن يقدّموا هذه الصورة العالمية لنبيهم، فعوضا عن تشخيص العجز والعمل على معالجته، اختارت التغني بهذه العالمية التي ليس لها الأثر الفاعل في مكونات هذا العالم، وصياغة أنماطه، بل ربما وجدنا أنها لا تستطيع حيلة أمام السيل الجارف من الاتهامات الغربية والتشويه للصورة الإنسانية لصاحب الرسالة ﷺ.

...Abstract...

The term "globality" results from the last technological development; nowadays it is defined as the age of globalization presaging a new era of information that gives people a database not available in the past. So a bit of information has been not monopolized to a certain front. Man, with the simplest means, could obtain information about any field at the least time one might expect.

The term of globality has been employed to designate certain senses; it surpasses the frontier of locality; the borders of the country and nationality, religion, internationality, as observed by other countries with their evident political parts in the most universal orbit; the world. So globality is a trait one who incarnates becomes a source of benefit to humanity in all respects.

The paper exerts itself to pinpoint such great humanitarian aspects our prophet Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)*** comes through. Consequently, it is of possibility for such globality of the meant personality altogether with the globality of Islam to be a substitute for the American one, as they both incarnate all the sublime doctrines in dealing with all Islamic and non-Islamic nations in respect of all peculiarities and identifications.

Such an age renders man into being omnipresent, as it provides him and others with information, so a bit of information tends to be as an industry more than as a product. Such an industry lurks in the American mind whose ambitions are not buried in terms of the fact that America desires to merge culturally, intellectually and principally the whole world into one community emulating the model of such a community and administration with its capitalist

strategy and ideology calling for repression, terrorism and violation to the international law and antishemism.

Being erected as substitute for globalization, the globality of the messenger ***(Peace be upon him and his progeny)*** should receive magnificent efforts, it is to market such a personality to the extremes of the world; in time there should be foundations stemming from the Islamic Mohammedan ideology to buttress such a personality in manifesting all the multidimensional advantages mankind gains when adopting such an ideology and in making it obtainable. Furthermore, it is not to yoke such a personality that takes the brunt of the pains of the miserable and shepherd them to freedom incarnated in utter worship to Allah the Greatest with what circumstances we do endure substantiated the state of deficiency of the adherents in striking a global portrait for the great prophet. In time, they determine to praise such globality devoid of a significant effect on the parts of the world with its trends. Perhaps we do find that they could not confront a violent salvo of the Western accusations and the acts of distortion to the humanitarian niche of the Messenger ***(Peace be upon him and his progeny)***.

المبحث الأول

مفهوم العالميّة والعولمة

يميز العديد من الباحثين بين مصطلحي العولمة Gollobalization والعالمية Universality وهذا التمييز لا يتأسس على دلالتيهما في اللغة، أو في الاصطلاح بقدر ما يتأسس على الممارسات التي تظهرها العولمة على نحو خاصّ، فعلى الرغم من سعي فريق من الباحثين إلى تعريف العولمة بما تمثله من تطور في الحياة التقنية، والاقتصادية ما يكفل للإنسان حريات عدة لعل من أبرزها حرية المعلومة أخذا ونقلا وحرية الاتصال والإعلام والثراء المعرفي بما لا يمكن أن يحدّ فالعولمة رديف للتقدّم العلمي؛ وعلى ذلك رأى بعض الباحثين أنّها: «ظاهرة حيادية، وهي كالتقدّم العلمي كلاهما غير مرتبط عضويّا بنظام اقتصادي، أو اجتماعي معين؛ أما النظام الذي يسبق غيره في صنعها أو التأقلم معها فهو النظام الأكثر تفاعلا»[١].

واستعمل مصطلح القرية الكونية على نحو لافت للنظر لوصف العالم في حقبة العولمة في إشارة إلى أنّ سرعة الاتصال وتنوع وسائله مع قلة تكلفته مقارنة بأي حقبة سابقة، قد جعلت من العالم قرية محدودة المساحة تتناقل بين أهلها الأخبار بسرعة. ومع تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية دخلت البشرية طورا من التطور الحضاريّ أصبح فيه مصير الإنسان موحدا[٢]. وتمثّل العولمة عند العديد من الكتاب[٣] نظاما اقترن بالهيمنة، فهي قمع ونفي لخصوصيات الآخرين، ومن ثمّ

فهي احتواء للعالم؛ فلقد اشتملت على أخطر ما يمكن أن يهدد الشعوب من سلبها هوياتها وخصوصياتها القومية والاجتماعية والتلاعب بقيمها، لأن هذه الظاهرة اقترنت بالنظام الأمريكي الذي سُوِّق مع العولمة بديلا عن كل الأنظمة الاجتماعية ونمطا قيميّاً وحياتيّاً للبشرية جمعاء، فأمريكا البلد الذي أنجز العولمة، وهو المتمسك بهيمنته على إدارة البنية التحتية لشبكة الإنترنيت ولم تبدِ مرونة ما بشأن التنازل عن هيمنتها تلك لحلفائه ونظرائه الأوربيين فكيف بها مع بقية الشعوب.

العالمية والعولمة مقاربة لغوية

تشترك اللفظتان في العودة إلى جذر(علم)، ولكن الاختلاف بينهما قائم على أن العالمية مأخوذة من لفظ العالم، وهو كما عن ابن منظور: «والعالَمُ الخَلْق كلُّه وقيل هو ما احتواه بطنُ الفَلك»[٤] فهو اسم جنس جمعيّ لما خلق الله؛ وقال الزجاج: «وهو جمع عالَم قال: ولا واحد لعالَم من لفظه لأن عالَماً جمع أشياء مختلفة فإن جُعل عالَمٌ لواحد منها صار جمعاً لأَشياء متفقة؛ قال الأزهري: فهذه جملة ما قيل في تفسير العالَم وهو اسم بني على مثال فاعَلٍ كما قالوا خاتَمٌ وطابَعٌ ودانَقٌ»[٥]، ومن ثمّ فان وصف الشيء بالعالمية تعني أنّ ذلك الشيء أصبح متسما بالاتساع على مستوى العالم، ولم يقتصر أمره على مكان محدّد، بل أصبح متعلقا بالعالم كلّه. وترد في هذا المجال اللغة العالمية (Universal language) الذي يطلق على (اللغة التي يمكن أن يتكلّم، ويتفاهم بها جميع الناس في العالم)[٦]. الأمر الذي يعني أن العالمية ليست مجرد فكرة تتعلق بها الأشياء بقدرة ما تكون صفة فاعلة في العالم، فاللغة التي لا يتكلمها الجميع ليست لغة عالمية، بمعنى أنّ فاعلية الشيء بحصول الفائدة المرجوة لصلاح

البشرية، أو لصالحها هي المعيار الحقيقيّ للوصف بالعالمية. أمّا إذا اقتصرت هذه السمة على الناحية النظرية، فالأولى أن يتمّ وصفها بالإنسانية، بمعنى أنه روعي في الشيء أن يكون لعامة البشر، سواء وصلت منافعه لهم أو لم تصل. لذا فالأولى أن يتمّ إطلاق لفظة الإنسانية على الرسالة التي تدلّ على ما تحمله هذه الرسالة للبشر عامة، واستعدادها لقيادتهم إلى ما فيه صلاحهم.

وبذا يمكن أن نعرّف العالمية: بأنها اتصاف متعلّقها بالقدرة الفاعلة لتحقيق مبادئه للعالم كله؛ على نحو لا تستبطن إلغاء الهويات المحلية للشعوب المختلفة؛ ومن جهة عالمية الإسلام فخصوصيات تلك المجتمعات مسلمة كانت أم غير مسلمة محترمة؛ لما تتسم به العقيدة الإسلامية من سماحة برفعها شعار﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وما لم يتحقق ذلك على مستوى الفعل يبقى وصفنا الإسلام ورسوله ﷺ بها دون الحقيقة، إذ الحقيقة هنا تعود إلى فاعلية الأتباع في الأخذ بزمام المبادرة، وطرح الإسلام ورسوله للبشرية على نحو فيه جني الفوائد، وتحقيق آمال عموم البشر في ظل قيادتها والسير في ظلها. ولأجل ذلك يجب على أتباعه أخذ زمام المبادرة الحضارية، واعتماد آليات تتناسب وضخامة هذا العمل.

(إنّ العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية؛ وإنما هي العلم الكليّ والشامل والمحيط ووحي السماء والميزان المستقيم الحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثّل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية)[٧]؛ ولكي يتمّ تتحقق هذه النظرة النابعة من الثقة بقوة هذا الدين وحتمية قيادته العالم يجب أن تتخذ لذلك جملة من الإجراءات الكبرى؛ وسنحاول في المبحث الثالث تفصيلها.

أما لفظة العولمة: فهي صياغة على وزن فوعلة الدال على صيرورة الشيء على نحو ما (أي تحويل الشيء من وضع إلى وضع آخر وفق نموذج أو قالب محدد)[٨].

وهذه الصياغة للفظة على هذا الوزن تستبطن وجود فاعل أو مؤثر يستطيع أن ينتقل بالشيء من مرحلته الأولى إلى مرحلة العولمة، إذا فهي صفة يكتسبها الشيء وليست فيه؛ إنّها تقوم على (تصيير المحلي عالميّا)[٩]، وقد ذكر معجم وبستر هذا الأمر بقوله: «هو جعل الشيء عالميا بإضفاء طابع العالمية عليه، وجعل مجال تطبيقاته على اتساع العالم»[١٠]، بمعنى أن عولمة الشيء تعني أنه أصبح عالميا، وهو ما يظهر تقاربا مع مفهوم العالمية، إلا أنّ المجال الذي أظهرته العولمة هو مجال تطبيق فاعل في حياة الناس، في حين أنّ تطبيقا ينتظر العالمية الإسلامية لتصبح فاعلة.

ويبدو أن فاعلية عالمية الإسلام يجب أن تأسس في الحياة المعاصرة تبعا للوعي التاريخي بمتطلبات المرحلة لاسيما الاقتصادية منها هذا من جهة، والتطور التقني في وسائل الاتصال للعصر من جهة أخرى[١١].

إن النتيجة النهائية التي تسعى إليها العولمة (أن يكون العالم كله لغة أو لغات مشتركة، وأن تكون التجارة مفتوحة ومتيسرة بين كل بلدان العالم، وأن يسود نظام اقتصادي واحد ونظام سياسي واحد. وأن تسود عقيدة واحدة، وأن تكون للناس فيه قيم مشتركة في مسائل كحقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين وأن يكون هناك أدب عالميّ واحد يتذوقه الناس كلهم. وأن يسود فيه تبعا لذلك نظام تعليمي واحد، وأن تكون كل هذه الأمور التي تعولمت مناسبة للناس.. ومساعدة لهم على تحقيق طموحاتهم المادية)[١٢].

وهي صورة تبدو جميلة للعولمة إلا أنّها مشبعة بالتفرّد الأمريكي، ولعل ما تحققه أمريكا من مكاسب في ظل نظامها العالمي الجديد الذي تعمل على بنائه على حساب الشعوب المستلبة يمثل جانبا عمليا للعولمة.

إنّ مثل هذا التفرد لا يظهر مع العالمية التي أضحت معبّرة عن تلاقي الخصوصيات وتلاقحها للارتفاع بها من إطارها المحليّ إلى العالمية، والخروج بها من محيطها الضيق إلى محيط أوسع لذلك فالعالمية طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء. وعلى هذا الأساس بنى المسلمون نظرتهم الحضارية مستلهمين مبادئ الإسلام وقائده الذي نصّ القرآن الكريم على أن إرساله رحمة للعالمين لا لفئة بشرية دون أخرى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وهذه الرحمة تستبطن بالضرورة الحفاظ على هويات الأمم والشعوب وقيمها الحضارية والاجتماعية كونها جزءاً من مكوناتها، لاسيما تلك التي لا تتعارض مع عقائد الإسلام الأساسية وقيمه ورعايته مصالح المنطوين تحت رايته. ولاغرو في ذلك فان الشريعة قررت في أول أمرها أنها عقد مع الله يشترط فيه كون المتعاقد مختارا لا مكرَهاً لتصحّ فيما بعد ما يولد عن هذا العقد وآثاره؛ قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(سورة البقرة ٢٥٦-٢٥٧).

العالمية نظام يُتبّى والعولمة نظام يفرض

نحا بعض الباحثين نحو رسم صورة مشرقة عندما رأى العولمة أنها: «الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معا في طور من التطوّر الحضاري يصبح فيه مصير الإنسان موحّدا»[١٣]، وهي صورة تتجنب النظر إلى العولمة كونها أيديولوجية قبل كونها تطورا حضاريا، ذلك أنّ العولمة تستند إلى رؤية أمريكيّة لإدارة العالم، وهي ترجع إلى مبادرة تقدّم بها بعض المنظرين في الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٩٦٥ طرحوا فيها ثلاث قضايا هي برنامج عمل يضمن تلك الهيمنة والقضايا هي:

١. **القضية الأولى**: تتعلق باستعمال السوق العالمية كأداة للإخلال بالتوازن في الدول القومية، ونظمها وبرامجها الخاصّة بالحماية الاجتماعية.

٢. **القضية الثانية**: تخصّ الإعلام بوصفه القضية المركزية التي يجب الاهتمام بها لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالميّ.

٣. **القضية الثالثة**: وتتعلق بالسوق كمجال للمنافسة. لقد ذهبوا في هذه المسألة مذهبا قصيّا فقالوا إنّ السوق يجب أن تصبح مجالا (لاصطفاء الأنواع) متبنين هكذا بصورة صريحة النظرية الداروينية التي تقول بـ (البقاء للأصلح) في مجال البيولوجيا، داعين إلى اعتمادها في مجال الاقتصاد على مستوى عالمي[١٤].

ومن ثمّ يمكن القول بأنّ «العولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت. إنّ إضعاف سلطة الدولة والتخفيف

من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما إلى استيقاظ اطر للانتماء سابقة للدولة، أعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي، والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله»[١٥]. ويبدو أنّ من ميزات مشروع العولمة أنه لا تقعّد له القواعد التي تربطه بمسارات محددة فهي عند منظريها مشروع «في طور التشكّل المتواصل، وقد يخضع للتغيير في أية لحظة حسب التغييرات التاريخية وحسب ردود أفعال المجتمعات الأخرى»[١٦]، وهي خاصية مهمة لمثل هذا المشروع المتشعب، لأن الجمود على أطر محدد لطرح العولمة قد يبطل تفاعل الشعوب معها، ومن ثمّ فالمحاولات مستمرة لإعادة تكوين العولمة على وفق تلك المتغيرات ما يعطي المجتمعات إحساسا بأنّ هذه الظاهرة انبثقت منها، فتتحول العولمة إلى عولمة ذاتية وهي أخطر أنواع العولمة[١٧]. ومنحى خطير يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار لدى منظري عالمية الإسلام، وأن يعمدوا إلى صياغة أنموذجهم الحضاري.

المبحث الثاني

عالمية الرسول والرسالة (الضوابط والمظاهر)

يقول العلامة جعفر السبحانيّ: «تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيستين:

الأولى: عالميتها وشموليتها.

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

أمّا الأولى: فمعناها أن دعوتها عالمية لا تنحصر بإقليم معين، وهي من أبرز الملامح التي يستهدفها القرآن في دعوته ورسالته. يقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾»[١٨].

ويبدو أن الوصف بخاتمية الرسالة يستوجب عالميتها، لا العكس وإذا ما تمّ قبول هذه الخاتميّة استوجب القول بأنّ الديانات السماوية الأخرى يجب عليها قبول الإسلام المحمدي والذوبان فيه. سواء صرّح القرآن بنسخ شرائعها أم لم يصرّح. ومن ثمّ تصبح عالمية الإسلام واضحة. ثمّ إنّ العالمية التي يتمّ تداولها بوصفها من سمات رسالة الإسلام ونبيها العظيم تأسست على جملة من الآيات القرآنية والمبادئ التي أظهرها رسول الله قولا وعملا داخل المجتمع المسلم وخارجه وفي مسالك سلكها مع محيطه السياسي في ذلك العصر.

ومن مظاهر تلك العالمية الرسائل التي أرسلها رسول الله ﷺ لملوك الأمم في عصره بدعوتهم وترغيبهم للدخول في الإسلام، في وقت لم تكن الإمكانيات الإسلامية المادية تسمح بمثل هذا التحرك. وقد سبق ذلك وضع وثيقة المدينة التي نظمت العلاقة مع اليهود في المدينة. الجانب المهم ههنا أنّ فكرة عالمية الرسالة والرسول تتأسس في النظرية الإسلامية على طائفة من الآيات القرآنية التي أكدت هذه السمة، ويمكن الاستشهاد لذلك بالآيات الآتية:

١. ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام:١٩).

٢. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠)

٣. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨).

٤. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف:١٠٤)

٥. ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ابراهيم٥٢).

٦. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

٧. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١).

٨. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨).

٩. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم:٥٢)

إنّ الوصف بالعالمية كما ظهر في تأسيسه اللغوي في المبحث الأول يقوم على انتقال الشيء من داخل محليته إلى محيط أعظم هو العالمية، ومعنى ذلك أنّ الصفة تكتسب فاعلية لوجودها على مستوى العالم؛ بمعنى أن تكون مطبقة ويحصل الناس على فوائد منها، وممّا لا ريب فيه عندنا أن الإسلام أسس ليكون دينا عالميا (دينا لكل البشر) وكان الرسول الكريم ﷺ قد حمل في نفسه آمالا تنطلق لتشمل رحاب الإنسانية؛ وكذا كانت الحركة الإصلاحية التي قام بها حفيده الحسين الشهيد عليه السلام. فالرسالة والرسول لم يعكفا على تقديم المنفعة لجماعة دون أخرى، ولا لقوم دون آخرين؛ بل سعيا مع كل خطوة وتشريع، إلى منفعة الإنسان بما هو إنسان عربيّا كان أم غير عربيّ.

لذا فان الملامح الإنسانية في الدين الإسلامي، وفي حركة الرسول الكريم واضحة، والأمثلة عليه كثيرة، بل لعل من المعالم البارزة للدين الإسلامي أن رضي به العبيد وأغلبهم من غير العرب لما وجدوا فيه من إنصاف ورقي بإنسانيتهم، ومن ههنا فقد تجوز من أطلق لفظة العالمية على الإسلام في التعبير عن (إنسانيته) الصفة الذاتية التي تتأسّس عليها مرحلة تطبيقية تستوعب العالم كلّه ويبنى صرحها العالمي.

ولكي تكون عالمية الرسول والرسالة بديلا عن العولمة، ينبغي أن تحشد لها مقدرات هائلة، لا أقل من اكتسابنا القدرة على تقديم هذه الشخصية وأفكارها إلى أقصى بقاع هذه المعمورة، وأن يتم بناء مؤسسات نابعة من الفكر المحمدي الإسلامي لتكون داعمة له تعمل على إبراز المنافع المتعددة الجوانب التي ستجنيها البشرية عند تبنيها هذا الفكر وإيصالها لها.

وألّا نخلط بين طبيعة هذه الشخصية وما حملته من هموم الإنسان المستضعف وقيادته الخلق نحو الحرية المتمثلة بالعبودية المطلقة لله تعالى، وواقع ما نعيشه المتمثل بعجز أتباع هذا النبي العظيم على أن يقدّموا هذه الصورة العالمية لنبيهم، فعوضا عن تشخيص العجز والعمل على معالجته، اختارت التغني بهذه العالمية التي لا أثر لها في مكونات هذا العالم، بل لعلها لم تسمع به يوما ما.

الإسلام يمثّل خطّاً حركيّاً لا يقبل بالحدود لأن بذور الإنسانية التي زرعت فيه وتأسس عليها تأبى إلا النمو والانتشار، ولذا نرى أن الإسلام يسير وإن كان سيره وئيدا نحو العالمية، وفي هذا الوقت الذي يرغب الآخرون في الانكماش للحفاظ على حضارتهم من موضع الشوفونية التي تتعالى على غيرها؛ وهو ما دعا إليه صموئيل هانتنغون صاحب كتاب صِدام الحضارات بقوله: «حان الوقت الذي يجب أن يتخلّى فيه الغرب فيه عن وهم الشمولية والكلية..(كما) ويتوقف مستقبل الغرب إلى حدّ كبير على وحدة الغرب...وان تعزيز تماسك الغرب يعني الحفاظ على الحضارة الغربية في داخل الغرب وتعيين حدود الغرب»[١٩].

فهي دعوة للانعزال تقوم على رؤية التمايز الغربي الحضاري والجغرافي يمدّه في هذا الانعزال الحارس الأمني المتمثل بحلف شمال الأطلسيّ، وقد آن الأوان بحسب صموئيل هانتنغون دعم فكرة عدم المشاركة أو محاولة التدخل في الشرق أو الإسلام وغيره.على أن هذه الدعوة قد لا تكون محل تأمل من قادة الغرب ومنظري سياسياته، إذ مازال العالم الآخر محلا مغريا للغرب في جوانب كثيرة وعاملا فاعلا في التنمية الغربية، كما أنه ساحة لصراع سياسيّ عالميّ بين الأديان السماوية، الإسلام من جهة واليهودية والنصرانية من جهة أخرى. ولعل الإدارة الغربية ولاسيما الأمريكية

للصراع بين البلدان العربية والإسلامية وإسرائيل تدرك ذلك جيّدا.

وعلينا ألاّ نرحب بمثل هذه الدعوات فنظنّ أنها ستكفينا شرّ الشركات الكبرى، والسياسات التي تهشم المنطقة الإسلامية تهشيما، إذ فيها من المساوئ ما فيها لعل أبرزها قطع التواصل التقني والمعرفي مع الغرب؛ ما يعني أن العالم الإسلامي سيحرم من تقنيات كثيرة تجعل الهوة الحضارية بيننا وبين الغرب تزداد اتساعا ولا مجال لتقليصها. وهنا نشير الى أحدث الفجوات التي أفرزها التقدم التقني بيننا وبين العالم المتقدّم الذي لم يعد مقتصرا على الغرب بل الشرق أيضا في ظل بروز الصين والهند قوتين تكنولوجيتين وهي (الفجوة الرقميّة). إلا أن التقنية الشرقية وقد سبقتها اليابان لم توظف للدعم الأيديولوجي، وطرح الهوية الأمريكية والغربية بديلا للهويات الإقليمية والمحلية.

المبحث الثالث

عالمية الرسول والتعايش مع العولمة

لقد تمظهرت العولمة في مظاهر عدة على مجالات الحياة، ما أدى إلى تنوع مسمياتها ومن ثم طبيعة المواقف الفكرية منها.على صنّف بعض الباحثين العولمة إلى صنفين هما:

١. العولمة المدنية.
٢. عولمة الحضارة والهوية أو الانتماء.

وقد عُرِّفت العولمة المدنية بأنّها تلك التي تمسّ قضايا المدنية وهيآتها مثل التطور العلمي وتكنولوجيا المعلومات وثورتها، والتغيير الكبير في وسائل الاتصال، فكل ذلك له من الأثر الايجابي الكبير في فكرة التواصل والتعارف والحوار بين الحضارات، ولقد أظهرت الحوارات على خطوط التواصل المعولمة أنّ الحضارات لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغي، وتفتقر إلى جسور التواصل في عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات..[٢٠]. لقد حمل مفهوم العولمة المدنية في طياته عوامل ايجابية للتفاعل بين الأمم بتوفيره الفرصة العالمية لقيام الحوارات بين المسلمين وغيرهم، ولقلما أتيحت للبشرية مثل هذا التواصل والاتصال السريع على مختلف المستويات. ما يستوجب علينا مسؤوليات متعددة، تتناسب وعظم هذه المهمة، وتعدد محاورها، واتساع دائرتها على نحو غير مسبوق.

وكذلك هيمنة العولمة، والقيم الغربية لا تمثل حتميّة حضارية، كما قد يظنّ بعض منظريهم، مستلهمين في ذلك مبدأ دارون (الانتخاب الطبيعيّ: الطبيعة تنتخب الأصلح)، فالحياة الإنسانية لها قوانينها التي قد تكون باتجاه مضادّ لرغبات التغيير التي يأملها منظرو العولمة. في هذا السياق يقول د.محمد عابد الجابري متسائلا: «وضع جديد فعلا. ولكن هل يستقرّ؛ هل يستمر؟ لا أعتقد. إنّ القانون الذي يسري مفعوله في الكون، سواء منه الكون الطبيعي أو الكون البشري، ليس هو قانون الاصطفاء الطبيعي، بل هو قانون الفعل وردّ الفعل. وإذا كان هناك اصطفاء ما فهو نتيجة الفعل وردّ الفعل. ومن هنا يكون الاصطفاء تارة بتأثير الفعل، وتارة بتأثير ردّ الفعل. من أجل ذلك كان التفكير في العولمة من جانب فعلها هي وحدها تفكيرا خاطئا. وإذن فلا بدّ من استحضار ردّ الفعل الذي سيقوم ضدّها عاجلا أو آجلا، ليس فقط في الأقطار التي تتخذها موضوعا لها، بل أيضا في البلدان التي تتّخذها مركزا ومنطلقا»[٢١].

على أنّنا يجب أن نعي دورنا الحضاريّ، لأن ردّ الفعل الذي ذكره الجابري لكي يكون فاعلا، يجب أنّ ينطلق من وعينا بدورنا الحضاريّ الذي يُحصِّنُنا من أن نُسحق تحت عجلات العولمة الضخمة، ففي التقنيات المرافقة للعولمة ما قد يكون موضع إثراء للحوار مع الآخر، أو لحشد اكبر للطاقات لاستثمار ما توفّره تلك التقنيات، لتطوير مسارات الحوار المحليّ والحوار العالمي.

العالمية خيار إستراتيجيّ للإسلام

أمر الإسلام وأمر أتباعه المخلصين بَيّن؛ فعالميته خيارهم الذي أسَّسه القرآن

الكريم، ونبيّه العظيم ﷺ و (نحن مطالبون إذن القيام بثورة حضارية جديدة كبرى؛ فننطلق منها ونشارك ونساهم بكل وعي وشجاعة بناء على ما تمليه علينا مصالحنا واستراتيجيات ديننا الحنيف... فمشكلتنا تأخرنا وهزائمنا هي مشكلتنا نحن دون غيرنا، ونحن الذين سندفع ثمنها في الدنيا والآخرة)[٢٢]. وقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(محمد٧). ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة ٣٣ / الصف ٩).

وإذا كانت الدعوة توصف بكونها (حركة ثقافية تجمع كلّ القيم الإنسانية وتجعل ثورة في داخل الإنسان من خلال الصفات التي يتجلّى بها الداعي من التواضع والبساطة والليونة والحكمة والموعظة الحسنة والجدل الحسن)[٢٣]، التي صرحت بها الآية القرآنية بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل ١٢٥) فسيضاف عليها تقنيات الحوار، وأهدافه، وتوسّع دائرته، فهي بذلك تلبية لمضامين العالمية الإسلامية. فالدعوة الآن تبدو أشد تعقيدا ممّا مضى، فطبيعة التحولات التي يشهدها المجتمع البشري تفرض نفسها على طبيعة التحرّك الدعوي ما سيُلقي عليه أعباء مضاعفة للتوسل إلى الدعوة بامتلاك ناصية وسائل التواصل الحديثة التي أفرزها مجتمع العولمة والمعلوماتية التي لا تعير أهمية لكثير من الآليات القديمة التي ما يزال الدعاة يعلقون بها ويجاهدون للحفاظ عليها. الصعوبات التي تمثلها العولمة على الدعاة جمة، وعلى قدر تعلق الأمر بهم فعليهم أن يصبروا على استيعاب كلِّ ما يتطلبه عملهم، ويصابروا عليه، لأنّ أيّ تغافل أو استكانة تجعلهم متخلفين عن ركب التقدم واستيعاب المدى التي وصل إليه الآخر.

ونرى أن من مسارات طرح الإسلام في أفق العالمية أن يتم الأخذ بالأمور الآتية:

١. التنمية الثقافية واللغوية المجتمعية بأن يتمّ تحديد مسارات جديدة للثقافة تنسجم والتحولات المعرفية وكميتها وطرائق الحصول عليها؛ ويعاد الاعتبار للغة العربية بوصفها اللغة العالمية، وأن ينقل الاهتمام بها إلى مرحلة اعتبارها اللغة السياسية للدين الإسلامي فلقد (أكدت [تكنولوجيا المعلومات والاتصالات] كون الثقافة هي محور منظومة التنمية المجتمعية في حين تتبوأ اللغة موقعا محوريا في المنظومة الثقافية، ويتوقف الأداء الكلي لمجتمع ما على شفافية وفاعلية التواصل بين أفراده وجماعاته ومؤسساته. هذا من جانب ومن جانب آخر، ووفقا لوجهة نظر ما بعد الحداثة، فإنّ جميع أنواع المعارف بما في ذلك المعرفة العلمية هي ضرب من ألعاب اللغة، أو الخطاب، ما يجعل من فهم علاقة اللغة بمجتمعها احد الشروط الأساسية لفهم الأداء الكلي للمنظومة المجتمعية بأسرها...)[٢٤]. فاللغة ليس مجرد وسيلة للتواصل ونقل الأفكار بل هي الخزين الثقافي والاجتماعي والأخلاقي... لمتكلميها. وفيها مظهر من مظاهر الاعتزاز التي يجب أن تصاحب رسالة العالمية الإسلامية.

٢. ومن ثمّ فان السعيّ نحو إعادة الاعتبار للغة القرآن الكريم في الخطاب المحليّ والعالميّ، بل في مجمل فعاليات المجتمعات الإسلامية يعدّ ركيزة أساسية في إنجاح مشروعات طرح عالمية الإسلام وعالمية الرسول ﷺ. ويتمّ هذا بالاهتمام باللغة وتخصصاتها على الصعد: الأكاديمية؛ الإنسانية والعلمية، وعلى صعيد المخاطبات الاجتماعية الإعلامية والمنبرية (منابر الخطابة الدينية،

والمنابر الحسينية) وألاّ يُسمح بأن يرتقي للخطابة إلا من امتلك ناصية اللغة الفصحى، وأنْ يتمّ تنقية رسالة هذا المنبر من الإيغال بالعامية التي نسمعها بحجج شتى، فيبتعد بالناس عن سماع لغة قرآنية ترتقي بهم نحو لغة القرآن، واستعمالاتها في أحاديث أهل البيت وكلام علي في نهج البلاغة، وأدعية السجاد في صحيفته الخالدة.

٣. البناء الثقافي للمجتمع ونقصد بذلك التنوّع في هوية خطيب المنبر حسب اختصاص الخطيب، ما بين الحوزوي والأكاديمي.

٤. بناء مجتمع المعرفة: يلخصّ د. نبيل علي[٢٥] شروط بناء مجتمع المعرفة العربي فيما يأتي:

أ. إطلاق حرية التعبير.
ب. ضمان الحريات الأساسية.
ج. ضرورة الحشد المحلي والتكتل الإقليميّ.

فحرية التعبير ليست مجرد شأن سياسي بل إن أبعادها اقتصادية واجتماعية وثقافية، مع ما لها من أثر في التنمية على مختلف الصعد. أما صلتها بخارجنا [وتحديدا في ضوء ما نحن بصدده من عالمية الإسلام] فهناك ما يؤكد أهميتها في شأن الدفاع عن الثقافة العربية والحضارة الإسلامية من حيث ضرورة مواجهتها لإساءة استعمال حق (حرية التعبير) ضدنا في أمريكا وكثير من دول أوربا، واتخاذها سياسة ذرائعية للإساءة إلى الإسلام ورموزه، واتخذت ممن صنعتهم في المحيط الإسلاميّ، معولا لهدم الإسلامي داخليا. ويتطلب ذلك إستراتيجية متكاملة تتخذ من المعرفة مدخلا أساسيا تسعى عبره لتحقيق الأهداف الآتيّة:

١. إثراء مضمون الرسالة الثقافية الدينية بزاد معرفي يستند إلى علم الأديان المقارن وعلم اجتماع المعرفة وعلم نفس المعرفة، من اجل التحليل الدقيق لموقف لغرب: مجتمعات وجماعات وأفراد. والسعي نحو إحداث تغييرات مجتمعيّة في أمريكا وأوربا في صالح المجتمع المسلم، للتعاطف مع المسلمين، ومنع التشويه لقضاياهم ودينهم.

٢. الاستغلال الأمثل للإنترنيت من أجل مسح دوريّ لرصد المواقف الموالية والمناهضة خصوصا فيما يتعلق بما يعرف (بشبكة الكراهية)، على نحو شبيه بما يقوم به مركز بحوث الشرق الأوسط الذي ترعاه إسرائيل من ترجمات لكلّ ما ينشر في العالم العربي الذي يرى فيه عداءً للغرب ومعاداة لقيمه.

٣. التخطيط لإقامة مراكز علمية، ومؤسسات عملاقة تأخذ على عاتقها تطبيق رؤى إسلامية في تقديم المنفعة لمختلف الشعوب، ومنها القروض الاستثمارية وإقامة المشاريع للتعامل مع الأوضاع التي تعيشها المجتمعات، وتشكيل منظمات للغوث الإنساني، والسعي الجاد لتعديل قوانين منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ليكون نصيرا للإنسانية لا صوتا للدول الكبرى.

٤. الحماية: إنّ الإستراتيجية التي تبنى في العصر الراهن يجب أن تأخذ على عاتقها توفير الإمكانيات التي تتيح للمبلّغ أو الداعي موقفا نفسيا واجتماعيا ساندا ومعززا لوظيفته، ومنها تأمين الحماية الاجتماعية والأمنية الضرورية؛ فهناك من سيتخذ موقف العداء لمثل هذا التحرّك وأصحابه لذرائع مختلفة. ما يؤثر على أدائهم وانشغالهم بأمور أخرى غير وظيفتهم الأساسية. لذا يستوجب الأمر من الجهات الراعية عدم إغفال هذا الجانب المتعلق بحفظ الكوادر العاملة لديمومة التحرك والدعوة.

ويمكن الاستناد في هذا المجال إلى آليّة عمد إليها الرسول الكريم ﷺ في مراحل دعوته الأولى فقد كان يعرض نفسه على القبائل الوافدة إلى مكة على أن يمنعونه مما يراد به من القتل كما يمنعون أهليهم، ليبلغ رسالات ربّه، لا لمجرد حفظ نفسه ورغبته بالسلامة والأمن. وقد كانت مبايعة الأنصار في البيعة الأولى في العقبة على هذا الأمر فبعد أن ذكر ما لله عليهم قال ﷺ: **(وأمّا ما لي عليكم فتنصرونني مثل نسائكم وأبنائكم)**[٢٦]. فقد طلب ما هو من ضروريات التبليغ واستمراره.

أبرز سمات العالمية الإسلامية أن يتسنَّم كوادر التبليغ مواضع العزة والاستغناء تلك التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام، فعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه: **(كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لتجمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم. يكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك)**[٢٧].

ومن مظاهر بقاء عزّ الإنسان أن يعلم من يخاطبه أنّ خطيبه متسم بكلّ ما يدعو إليه، لا سيما تحقيق مبدأ العزة ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(المنافقون٨)، فلا يقلّ عن غيره في شيء، لاسيما أمام من يحاورهم، وان يكون الخطاب بأرقى الوسائل التي وصلت إليها الحضارة الإنسانية وآليات نقل المعارف وتبادلها، ومنها إدراك مسارات التقنية التي أفرزها المجتمع الغربي، والقدرة على استيعابها واستثمارها على النحو الفاعل.

وفي هذا المجال تفصيلات متعددة، ودقيقة لا تنجز إلا بعد خطط ومشروعات تنموية معرفية وتقنية، وعمل مؤسساتي خطط له ليستمر. وهي تفصيلات لا يمكننا في حدود بحثنا هذا الإتيان على ذكرها؛ ولعل ما قدّمه المتخصصون في المجال المعرفي

فيه الغناء، خاصّة ما ذكره د.نبيل علي في كتابه: العقل العربي ومجتمع المعرفة في موضوع: فرص إسهام العرب في إنتاج المعرفة: رؤية معلوماتية.

ومما يؤسف له أن تنحدر الطاقات الفاعلة في الأمة الإسلامية، وألاّ يتمّ النظر إلى محددات الفعل الإسلامي(المبادرة) إلا في ضوء أضيق الحدود، مع أن كثيراً من هذه المبادرات يمكن أن توظف أيديولوجيًا لإعطاء قوة الدفع نحو تحقيق مدياتها التي قد رسمها الله تعالى، ولعل أبرز ما تتأسس عليه المبادرة الإسلامية حتمية عالمية الإسلام في ظل قيادة عالمية واحدة هي المهديّ عليه السلام.

فعلى الرغم من حضور هذه الفكرة في الخطاب الإسلامي على اختلاف في توجّهاته المذهبية إلا أنّها لم تخرج عن دائرة الفكرة النظرية التي ينتظر حدوثها في آخر الزمان وهو حقبة زمانية لا يعلمها إلا الله تعالى. وعلى الرغم من القوة الدافعة التي تمثّلها هذه الحتمية الإلهية، إلا أننا لم نجد لها ذلك الصدى المؤسس على خطّة إستراتيجية للتفاعل مع القيادة المنتظرة ومشروعها العالميّ، بل نجد أنّ هذه العقيدة قد دخلت دائرة الجدل المذهبي، مما أفقدها كثيرا من زخمها الذيّ كان سيوجه لحشد الطاقات في سبيل استدامة التنمية نحو درجة طاعة إمام وتهيأ المجتمع للانطواء تحت تلك القيادة الإلهية، التي سترسم للبشرية مسارا صحيحا لتطبيق الإسلام وبناء المجتمع المتكامل المتعلق بالله تعالى.

... نتائج البحث ...

١. العالمية ليست مجرد فكرة تتعلق بها الأشياء بقدر ما تكون صفة فاعلة في العالم، فاللغة التي لا يتكلّمها الجميع ليست لغة عالمية ففاعلية الشيء بحصول الفائدة للبشرية، هي المعيار الحقيقيّ للوصف بالعالمية. أمّا إذا اقتصرت هذه السمة على الناحية النظرية، فالأولى أن يتمّ وصفها بالإنسانية؛ لذا فالأولى أن يتمّ إطلاق لفظة الإنسانية على الرسالة ورسولها ﷺ التي تدلّ على ما تحمله هذه الرسالة للبشر عامة، واستعدادها لقيادتهم.

٢. عالمية الرسالة الإسلامية ورسولها الكريم لا تستبطن إلغاء الهويات المحلية للشعوب المختلفة مسلمة كانت أم غير مسلمة. وهي خاصية مهمة تناقض البنية الفكرية التي أسست عليها العولمة التي تعمل على استبدال هذا التنوع والخصوصيات المحلية بنمط وقيم تمثل المجتمع الذي انطلقت منه وهو المجتمع الأمريكيّ.

٣. لكي تكون عالمية الرسول والرسالة بديلا عن العولمة، ينبغي أن تحشد لها مقدرات هائلة، لا أقل من اكتسابنا القدرة على تقديم هذه الشخصية وأفكارها إلى أقصى بقاع هذه المعمورة، وأن يتم بناء مؤسسات نابعة من الفكر المحمدي الإسلامي تعمل على إبراز المنافع المتعددة الجوانب التي ستجنيها البشرية عند تبنيها هذا الفكرة، مع قدرتها على توظّيف الجوانب المعرفية والتقنية للعولمة في هذا الحشد.

٤. لكي يتمّ السير نحو عالمية الرسالة والرسول ﷺ ينبغي أن يتمّ تبني الخطوات الآتية:

أ. التنمية الثقافية واللغوية المجتمعية،وإعادة الاعتبار للغة القرآن الكريم في الخطاب المحليّ والعالميّ، بل في مجمل فعاليات المجتمعات الإسلامية.

ب. إثراء مضمون الرسالة الثقافية الدينية بزاد معرفي يستند إلى علم الأديان المقارن وعلم اجتماع المعرفة وعلم نفس المعرفة وأن يتمّ التوجّه نحو ما يثري الخطابة المنبرية من متخصصيّ العلوم الأكاديمية(الإنسانية والعلمية) وذوي الخبرة في مجال العمل ما يعني انفتاحا إسلاميّا نحو الإفادة من جميع شرائح المجتمع الملتزمة بدينها ليعملوا على إثراء الخطاب المنبري بالكثير من الآراء والنظريات التي أتاحتها العلوم المعاصر.

ج. التخطيط لإقامة مراكز علمية، ومؤسسات عملاقة تأخذ على عاتقها تطبيق رؤى إسلامية لتقديم المنفعة لمختلف الشعوب والاستغلال الأمثل للإنترنيت.

.....

١) العولمة؛ ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي: ١٠٦.

٢) ينظر: العولمة؛ ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي:١٠٦.

٣) ينظر: العولمة؛ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي:١١٠.

٤) لسان العرب: مادة علم.

٥) لسان العرب: مادة علم.

٦) الموسوعة العربية العالمية: العالمية، اللغة.

٧) نقلا عن العولمة والمواطنة والهوية: ٢٥٩.

٨) العولمة والمواطنة والهوية: ٢٥٧.

٩) قضايا وآراء إسلامية: ١٣٠.

١٠) نقلا عن: العولمة والمواطنة والهوية: ٢٥٧.

١١) ينظر: العولمة؛ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي:١٠٦.

١٢) قضايا وآراء إسلامية:١٣٠.

١٣) العولمة؛ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي: ١٠٦.

١٤) قضايانا في الفكر المعاصر: ١٤٤.

١٥) قضايانا في الفكر المعاصر: ١٤٩.

١٦) قضايا وآراء إسلامية: ١٢٩.

١٧) قضايا وآراء إسلامية: ١٢٩.

١٨) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ٥٣٢.

١٩) مقولة العولمة بين إشكاليات التعددية ودعوات الأمركة: ١٤٦.

٢٠) مقولة العولمة بين إشكاليات التعددية ودعوات الأمركة:١٤٦ومابعدها.

٢١) قضايانا في الفكر المعاصر:١٥٢.

٢٢) قضايا وآراء إسلامية:١٤١.

٢٣) أثر الدعوة والتبليغ الإسلامي في بناء المجتمع الإنساني:٦٨٨.

٢٤) العقل العربي ومجتمع المعرفة: ١٦١.

٢٥) العقل العربي ومجتمع المعرفة: ١٩٣ومابعدها.

٢٦) بحار النوار: ١٩/ ٢٦ح ١٥.

٢٧) بحار النوار: ١٧/ ١٠٦ح٣.

المصادر والمراجع

١) أثر الدعوة والتبليغ الإسلامي في بناء المجتمع الإنساني/ حمزة حسن عباس الموسوي/ ضمن: دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث/ مؤسسة شهيد المحراب / ط١/ مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم/ النجف/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم/ الشيخ جعفر السبحاني.

٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ العلامة الحجة محمد باقر المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ط٢/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤) العقل العربي ومجتمع المعرفة(مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول)/ ج١/ د. نبيل علي/ سلسلة عالم المعرفة/ ع٣٦٩/ مطابع دار السياسة/ الكويت/ ٢٠٠٩.

٥) العولمة؛ ماهيتها ونشوئها وتأثيرها الاقتصادي/ أ.د.هلال إدريس مجيد/ مقابسات/ ع٥/ ٢٠٠٥.

٦) العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات) / ثائر رحيم كاظم/ مجلة جامعة القادسية/ مج ٨ ع١/ ٢٠٠٩م.

٧) قضايا وآراء إسلامية: الشيخ القاضي عبد اللطيف دريان/ دار انهضة العربية/ ط١/ بيروت/ ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

٨) قضايانا في الفكر المعاصر/ محمد عابد الجابري/ مركز دراسات الوحدة العربية/ ط١/ بيروت/ ١٩٩٧.

٩) لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري/ دار صادر/ بيروت/ ط١.

١٠) مقولة العولمة بين إشكاليات التعددية ودعوات الأمركة/ علي عبود المحمداوي/ مقابسات/ ع٥ / ٢٠٠٥.

١١) الموسوعة العربية العالمية/ نسخة اليكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

قادة الرأي والفكر
ودورهم في التأثير والتغيير
والتعريف بقيم الرسالة المحمدية
من خلال وسائل الإعلام الجديدة
(شبكة الإنترنيت أنموذجا)

The Role of Belief and Thought Leaders in Influencing, Changing and Defining the Values of Mohammedan Message through the New Means of Media
(Internet as a Nonpareil)

أ. طارق ثابت

جامعة أم البواقي / الجزائر

Prof. Tariq Thabit

University of Um Al-Bawaqi

Algeria

... ملخص البحث ...

يلعب قادة الرأي والفكر دورا إيجابيا في التأثير على غيرهم لكي يتبنوا نفس الأفكار والوصول بهم إلى الأهداف المرجوة، وهؤلاء القادة عادة ما يأخذون زمام المبادرة في قبول أو رفض الأفكار الجديدة قبل أن يفعل التابعون لهم ذلك؛ فعملية نشر الأفكار والمبادئ مهما كان نوعها تعتمد رأسا على قادة الرأي والفكر، وأن الجماهير أكثر تأثرا بهم من روافد المعرفة الأخرى، ومن وسائل الاتصال الجماهيري، فهم الوسطاء بين هذه المصادر وبين الناس، ويساهمون بفعالية في تشكيل الرأي العام وتوجيهه والسيطرة عليه داخل مجتمعاتهم المحلية،وهم يتنوعون حسب مستوياتهم الفكرية والاجتماعية والتأثيرية، فمنهم: رجال الدين من أئمة وخطباء ووعاظ، رجال الإعلام، الأدباء، الكتاب...الخ.

وينفرد قادة الفكر الإسلامي بمنزلة روحية خاصة في نفوس الجماهير، ويمثلون مكانة مقدسة في قلوبها. وتكمن قوة تأثير هؤلاء القادة إلى مجموعة عوامل، وسوف يبحث هذا الموضوع في أهمية دور قادة الرأي والفكر كمهمة إعلامية في عصرنا الحاضر في التعريف بقيم الرسالة المحمدية آخذين الإنترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي أنموذجا لذلك.

وتمحور البحث على مجموعة من النقاط أحاطت بالموضوع بتفاصيله ونتائجه وهي:

أولا: مقدمة منهجية.

ثانيا: التأصيل التاريخي لظاهرة قيادة الرأي.

ثالثا: عوامل التأثر بقادة الرأي الإسلامي كخصوصية.

رابعا: آليات تعامل قادة الرأي والفكر مع الدعوة المحمدية.

خامسا: الإنترنيت وواقعها في التعريف بالقيم المحمدية.

سادسا: خاتمة ونتائج.

واتبعت هذه النقاط بقائمة للمصادر والمراجع .

...Abstract...

The belief and thought leaders take a great part in influencing other to have certain ideas and to guide them to the meant targets. Such leaders, usually, take the initiative in accepting or inclining the new ideas before the adherents do. Essentially, the process of thoughts and principles promulgating depends mainly upon the belief and thought leaders. The masses, by some means or other , are more influenced by them than other knowledge sources and the means of republic communication, they are coordinators between such sources and people. They participate in having, directing and dominating the public opinion in their local community. In part, they vary in the levels intellectual, social and influential , they are as clergymen, orators , preachers , media men, imams, writers and so forth .

Yet the leaders of the Islamic thought invade spiritual priority in the heart of the masses and represent a sacred state in their heart. The power of the influence for such leaders depends mainly upon certain factors the paper is to tackle in light of the important role of them. As they are considered as a media duty in our present day to define the doctrines of the Mohammedan message in terms of internet and social communication as a model. The research paper consists of certain viewpoints; first , a general introduction, second, historical background to the phenomena of belief leadership, third, the factors of influencing the Islamic belief leaders, in particular, for the procedures the belief and thought leaders take in dealing with Mohammedan announcement, five, the role of Internet in defining the Mohammedan doctrines, six, the conclusion, the results, bibliography and references.

أولا: مقدمة منهجية

إن ظاهرة قيادة الرأي قديمة حديثة، كان لها وجودها بين المجتمعات منذ القدم، ولكن الجديد فيها هو التقنين العلمي المعاصر لهذه الظاهرة ودراسة مختلف أبعادها وجوانبها، وكل الدراسات الاجتماعية والنفسية تتفق على أن عملية إقناع الإنسان بوجاهة رأي ما أو وضاعته ليس بالأمر الهين، ذلك أن هذا الإنسان مركب معقد من الأفكار والمشاعر والاتجاهات، سريع التغيير والتأثير بمحيطه وبمن يلتمس فيه القوة والعظمة، والإقناع مرتبط بالكثير من العوامل الداخلية والخارجية ومن ذلك القادة وخاصة قادة الرأي، ويعرف (أفريت روجرز) قادة الرأي بأنهم الأشخاص من ذوي النفوذ في مجال استحسان الأفكار أو استهجانها[1]، و يُعرفون بأنهم الأشخاص ذوو التأثير الكبير في معلومات وآراء ومواقف وسلوك أشخاص آخرين في مجتمع ما، ولهم دورهم في تشكيل الرأي العام في الجماعة التي ينتمون إليها، إذ يمكنهم أن يوصلوا لأعضاء الجماعة المعلومات التي تؤثر في اتجاهات الأفراد وتشكيل الرأي العام للجماعة[2]، أما (بوجاردوس Bogardos) فيعرف القائد بأنه الشخص الذي يمارس نفوذه على عدد من الناس، ويعرف (لندمان) القائد بأنه الشخص الذي يتقبل الناس أحكامه ومشاعره باعتباره أساس العقيدة والسلوك[3].

وينصح الخبراء بضرورة البحث عن عدد قليل من الناس يتواجدون في كل مجتمع، ويصنعون قراراته الحاسمة، لأن هؤلاء هم من نسميهم قادة الرأي الذين إذا تم إقناعهم فهم مفاتيح اتصالية لإقناع غيرهم من أتباعهم.

ولقد أطلق الخبراء والمفكرون العديد من الصفات فاسماهم (ليونبرجر) مفاتيح الاتصال، وقال عنهم (ويكلج) الزعماء الرسميون، ودعاهم (روجرز وسافيليون) زعماء تبني الأفكار، وقال عنهم (ليونبرجر) بأنهم أصحاب النفوذ المحليون، وسماهم (كوين) بأنهم حراس البوابات، أو رؤوس شموع الاحتراق، وسماهم (كولمان) مهندسي الأسلوب، ونعتهم (واوزر) بأصحاب التأثير،و سماهم(لازار سفيلد) رواد الفكر.

وجميع هذه الأسماء تشير إلى الموضوع نفسه، وهو قيادة الرأي والفكر، ودورهم عظيم في التأثير على غيرهم ليتبنوا الأفكار نفسها. وفي المقابل يلعب بعضهم الآخر دورا سلبيا وهم بهذا يحتلون مكان الزعامة في التأثير على آراء الآخرين لأنهم أولئك الأشخاص الذين يسعى إليهم غيرهم في طلب المعرفة والحصول على المعلومات، وإن وجود القائد أمر ضروري لكل تجمع ضمانا لحسن سيره وتماسكه[٤].

ويتمتع قادة الرأي في مختلف المواقع بمنزلة اجتماعية أرفع من منزلة التابعين لهم، وغالبا ما يأخذون زمام المبادرة في رفض الأفكار الجديدة أو قبولها، وهم غالبا أكثر قابلية لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها من تابعيهم، وقد أكدت الدراسات الإعلامية على التأثير المهم الذي يمارسه هؤلاء القادة في المجتمع؛ وفي هذا يقول (جوزيف كلابر): «أن الناس يتأثرون بقادة الرأي والفكر في مجتمعاتهم تأثرا عميقا بصورة تفوق تأثرهم بوسائل الاتصال الجماهيرية، فقادة الرأي يعتبرون عناصر نموذجية مميزة وسط الجماعات التابعة لهم، ونظرا لأنهم بمثابة وكلاء لنقل المعلومات إلى هذه الجماعات، فينجذب إليهم الناس للرأي أو البحث عن النصح والمشورة، ويمارسون تأثيرهم على الجماهير بشكل متكرر بما يسهم في تحقيق

الاستقرار داخل الجماعة»[٥]، ولهم قدرات في التحكم في اتجاهات الآراء الجماعية نحو مختلف القضايا وكذا الإمساك بمفتاح الاتصال بين الجماعات التي ينتمون إليها وبين العالم الخارجي. وهم أكثر كفاءة في نطاق تخصصاتهم من تابعين، كما أنهم أكثر تعرضا لروافد المعرفة المختلفة، ويقومون بنقل الرسائل التي تعرضوا لها واقتنعوا بها إلى جماهيرهم.

وحتى يؤدي القادة دورهم على حقيقته ويصلوا إلى أعلى درجات التأثير لابد من توافر مجموعة من السمات أكدتها بعض الدراسات والبحوث التي قدمها بعض المختصين منهم (لازر سفيلد)و(بيرلسون) و(جوديه)... وتتمثل هذه الصفات في:

١. الذكاء والنضوج الفكري والاجتماعي وسعة الأفق.
٢. الجاذبية التي تشمل على سماحة الوجه ورقة الحديث وحسن الهندام.
٣. الاتزان النفسي والعاطفي والفكري والقدرة على التعامل مع المواقف المختلفة.
٤. المهارات الاتصالية كمهارة التحدث والكتابة والقراءة والقدرة على الإنصات والحصول على المعلومات وفهمها والقدرة على التفكير وقوة البيان واستعمال الإشارات والوسيلة المناسبة في الوقت المناسب.
٥. القدوة الطيبة ذلك أن الناس يتعلقون بهم في سيرتهم وحسن قيادتهم وقدرتهم على الالتزام بالصدق والموضوعية.
٦. اختيار أحسن الأساليب وأفضل الطرق لاستمالة الجماهير والتأثير فيها.
٧. يتميز قادة الفكر عن غيرهم بالدقة والقدرة على استخدام وسائل الاتصال والانفتاح حول العالم ومواكبة كل جديد.
٨. الاتصال المباشر والمستمر بالجماهير حتى يتم التفاعل المرجو.

٩. الصبر والرحمة وسعة الصدر والتواضع وغيرها من الفضائل التي تكسب ود الجماهير.

١٠. البعد عن مواطن الريبة والشبهة.

١١. الهمة العالية والبعد عن سفاسف الامور.

١٢. الوسطية والاعتدال في الأفكار والمشاعر.

١٣. تميز قادة الرأي عن غيرهم ب:

- القدرة على التجديد وتقبل الأفكار المستحدثة.
- القدرة على التوافق مع النظام الاجتماعي السائد.
- القدرة على إعطاء المعلومات.
- يعدون مصادر موثوقا بها.
- ان هم حريصون على مساعدة غيرهم والمشاركة معهم بغض النظر عن مستوياتهم ونفوذهم.

ثانيا: التأصيل التاريخي لظاهرة قيادة الرأي

إن قيادة الرأي ظاهرة قديمة كان لها وجودها بين المجتمعات منذ القديم ولكن الجديد فيها هو التقنين العلمي المعاصر لهذه الظاهرة ودراسة مختلف أبعادها وجوانبها[٦].

والدليل على قدم الظاهرة أن القرن الكريم يقدم رؤية لهؤلاء القادة ولمكانتهم ونفوذهم وقدرتهم على التأثير في تابعيهم وإقناعهم. وقد قدم القرآن رؤية واضحة لخطورة الدور الذي لعبته الزعامة أو القيادة في معارضة الرسالات السابقة على

الإسلام؛ من ذلك قوله عز وجل : ﴿وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(٧).

واستند هؤلاء إلى مالهم من نفوذ مستمد من جاه أو مال ﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(٨)، وقص القرآن الكريم كيف عارض الملأ دعوة نوح عليه السلام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(٩)؛ والملأ هم الحكام والوجهاء وذوو السلطان لقومهم، وقد عارض الملأ دعوة هود عليه السلام وأشاعوا عنه السفاهة والكذب كما قال القرآن ﴿قالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾(١٠)، وتجد هذه الأقوال والإفتراءات والمزاعم من جانب الملوك والقادة يستمع لها من العامة بحكم ما للملوك والقادة من نفوذ وسلطان يمكنهم من التغرير بالعامة واللعب بعقولهم، والقرآن يؤكد ذلك حكاية عن فرعون ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾(١١)؛ أي أنه استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا.

وهكذا فقادة الرأي عبر كل الزمان قاموا بأدوارهم في كل مجالات الحياة، فقد أشعلوا حروبا وأطفأوا أخرى، وبسببهم ثارت فتن وأخمدت أخرى...

وقادة الرأي على نوعيات متعددة، وأصناف متنوعة في كل البيئات وتتمثل في:

١. رجال وعلماء الدين: من خطباء وأئمة ووعاظ ومشايخ، وهم على رأس القادة خاصة في المجتمعات المتدينة بقوة. فالدين أهم عناصر الحياة عند الكثير من الأمم. فرجل الدين يتمتع بنفوذ كبير وله هيبته وتقديره الاجتماعي وكلمته مسموعة وهو مفتاح العلاقات الاجتماعية.

ويستوي رجال الدين في الإسلام أو المسيحية أو غيرها، ذلك أن هناك قواسم مشتركة بين الديانات السماوية متمثلة في:

- هدف الأديان السماوية إسعاد الإنسان وتحقيق رقيه ورفاهيته.
- دعوة الدين إلى العمل الجاد والمخلص.
- دعوة الدين إلى حب الوطن وتعميق روح الانتماء إليه.
- دعوة الدين إلى التزود بأسباب القوة في كل ميادين الحياة.
- دعوة الدين إلى تعمير الأرض وإصلاحها.
- دعوة الدين إلى الفضائل واجتناب الرذائل.

٢. رجال الإعلام على اختلاف نوعياتهم ومناصبهم:

٣. الأدباء من شعراء وقصاصين وكتاب.

٤. قادة الأحزاب السياسية الناشطة على الساحة.

٥. أعضاء مجالس الشورى.

٦. قادة النقابات العمالية.

٧. المعلمون والمربون في المراحل المختلفة.

٨. رؤساء النوادي الرياضية.

٩. رؤساء الجمعيات المختلفة التي تقدم خدماتها للناس.

١٠. الموظفون السامون في الدولة.

١١. فئة كبار السن.

ثالثا: عوامل التأثر بقادة الرأي الإسلامي كخصوصية

ينفرد قادة الرأي الإسلامي بمنزلة روحية خاصة في نفوس الجماهير ويمثلون مكانة مقدسة في قلوبهم، فهي تنقاد لهم عن رضا وطواعية وتضعهم في منزلة أسمى من منزلة غيرهم وتعدهم رمزا واضحا لما يؤمنون به، ويتميز أهل التقوى والصلاح من القادة الدينين بقوة المنطق والإقناع وسرعة البديهة، كما يتمتعون ايضا بالصفاء الذهني، والسمو الروحي، والبعد عن المآرب الشخصية والأغراض الدنيوية مما يكسبهم ثقة الناس ومحبتهم، وقد أسهم قادة الفكر الإسلامي في مختلف الأزمنة وفي جميع أرجاء العالم الإسلامي إسهاما فعالا في تشكيل آراء الجماهير المسلمة، خاصة بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية، وظهور مسائل جديدة في حياة المسلمين تحتاج إلى آراء المختصين.

وإذا لم يكن قادة الفكر الإسلامي في المستوى الفكري والخلقي الملائم لحجم الدور المؤثر الذي يضطلعون به فإنهم سيدفعون عجلة الحياة لدى شعوبهم إلى الوراء، وقد يمثلون معاول هدم وتدمير في المجتمعات الإسلامية ولا يملك علماء الاتصال وخبراء الرأي العام إلا أن يعترفوا بالقدرات التأثيرية الهائلة لقادة الفكر الإسلامي ويؤمنوا بدورهم الحيوي في تشكيل اتجاهات الرأي العام المسلم. ذلك أن هؤلاء الرجال يلتقون بجماهيرهم في مختلف المناسبات ويلجأ إليهم الناس لحل مشاكلهم وعرض قضاياهم وطرح همومهم. ويستطيعون توظيف وسائل الاتصال الإسلامية المؤثرة في توجيه الرأي العام حتى يتفق مع ما يدعون إليه وما يؤمنون به[١٢].

ومن الحكمة الإلهية أن جعل في الجماعات أفرادا قليلين تتوافر فيهم ملكات خاصة تؤهلهم لقيادة الجماهير والتأثير فيهم وتوجيههم، كما جعل أغلبية الأفراد تسودهم نزعة الخضوع وتختلف درجة تأثير القائد على تابعيه باختلاف المكانة التي يتبوأها هذا القائد في قلوب أفراد الجماعة ونفوسهم وقوة إقناعه وتوافر الصفات القيادية.

وتكمن قوة تأثير هؤلاء القادة، ويعزى دورهم الحيوي في تكوين الرأي العام بين الجماهير المسلمة إلى مجموعة من العوامل نجملها فيما يلي[١٣]:

١. قد جعل الله تعالى لهؤلاء القادة منزلة علمية، ورفع قدرهم، وبوأهم مكانة مرموقة وكلفهم بأمانة التوجيه وأمر الناس بالرجوع إليهم ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[١٤]، وقد عظم سبحانه أجور أعمالهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٥] توسع مجال نشاط هؤلاء القادة إلى مختلف المجالات التي تهم الناس، وتستعين بهم الدولة لنجاح خططها الإنمائية وتمرير مشاريعها ويقع عليهم عبء التفسير والإفتاء والشرح لآيات القرآن والسنة.

٢. اعتمادهم على وسيلة قوية وهي الاتصال الشخصي المباشر وهو أقوى تأثيرا من وسائل الاتصال الأخرى بحسب الدراسات ذلك أن الاتصال الشخصي يسمح بتبادل الأفكار والاتجاهات والمشاعر بين المرسل والمرسل إليه، كما أن الاتصال الشخصي قد يؤثر على السلوك والمواقف رغم أن عملية تعديل السلوك صعبة جدا.

٣. لأن تكييف السلوك يتم بفعل مجموعة من العوامل التي تعمل لمدة طويلة لكي ترسخ وتعمق مفاهيم وأفكار معينة في أذهان الجماهير ونفوسهم.

لكن بالرغم من القوة التي يتمتع بها هؤلاء القادة ورجال الفكر الإسلامي فان كثيرا من هؤلاء الرجال لم يؤد دوره المنوط به في تغيير الأعراف الخاطئة وإحداث النهضة المرجوة ويرجع ذلك إلى الأسباب الآتية:

١. ضياع سلطتهم فلم يعد يملكون إلا القول أو الكتابة في حين أن التاريخ الإسلامي يشهد أن واعظ الناس كان سيدا تحتضنه الدولة وتحميه.
٢. تكالب الناس على الدنيا ونسيانهم لهؤلاء القادة، فساءت حالتهم أو هان أكثرهم على نفسه وعلى غيره.
٣. ارتكابهم لبعض الأخطاء وتحليهم بالسطحية والجمود في الأفكار والأساليب لم تعد مقبولة في هذا العصر.
٤. اهتمامهم الأكثر بالحصول على المنافع الدنيوية على حساب مبادئهم.
٥. التظاهر والصراع الفكري والكراهية والأحقاد بين هؤلاء القادة مما يؤثر على وحدة الرأي العام وعلى قدوتهم.
٦. قصورهم على اللحاق بركب التقدم العلمي والتقني وحصر أنفسهم في دائرة القديم و التقليد.
٧. ظهور نوع من القادة يقومون باستغلال المشاعر وعواطف الجماهير وجهلها لتحقيق أغراضهم الشخصية.
٨. تخلي بعض القادة عن أداء رسالتهم زهدا أو خوفا.

رابعا: آليات تعامل قادة الرأي والفكر مع الدعوة المحمدية

تُعدّ سيرة النبي محمد ﷺ بالنسبة للمسلم إحدى الأدوات المهمة التي يرتكز عليها الوعي الإسلامي، وهي كأي أداة قد تضر أكثر مما تنفع ما لم نحسن التعاطي معها، لذلك من الضروري جداً أن يعي قادة الرأي والفكر كيفية الانتفاع بها، بحيث تكون سبباً لنجاح الأمة، لا سببا في انتكاستها، فيجب من هنا التعامل مع أحداث السيرة في ضوء الزمان والمكان وطبيعة القوى في ذلك العصر، وعدم السقوط في فخ الرغبة في الإسقاط المباشر للأحداث على واقعنا؛ لأن الزمان والمكان وطبيعة القوى وأطراف الصراع تغيرت بأشكالها ومضامينها وأدواتها، ومن هنا وعلى سبيل المثال لا نعتقد أن أي قائد عسكري يضع خطة للتمكين يدور في خلده أن يأتي من بعده ليمارس الخطة نفسها، أو يعدها سر الانتصار؛ فهي في أفضل الحالات ستشكل تجربة من التجارب التاريخية التي تُؤخذ منها العبرة، ويُستفاد فيها من نسق التفكير القيادي، لا من منتج هذا التفكير وهو (الخطة).

أي أننا ونحن نتعامل مع السيرة كأداة سنتعامل معها في ضوء عبقرية النبي كقائد، لا باعتبار خططه في عمومها إملاءات نتوهم أنها إن كُتبت على صفحة واقعنا لتم التمكين لنا، وقد حرص القرآن على أن يعلمنا التمييز بين نسق التفكير والخطة، فعندما عرض الله لنبيه والمسلمين تاريخ الأنبياء من قبلُ أظهر لنا مدى التنوع في الخطط، فموسى عليه السلام يذهب مباشرة إلى فرعون، يقول عز وجل: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[١٦] مطالباً إياه بأن يُخرج معه بني إسرائيل متجهاً إلى بيت المقدس، في حين عيسى عليه السلام يظل بين قومه حتى يقرروا التخلص منه ثم يرفعه الله إليه، ونوح عليه السلام تستمر دعوته ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، بينما يقيم الرسول عليه السلام

دولته في ثلاث وعشرين سنة، بل إن النهاية الربانية للمعركة تختلف من نبي لآخر، على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى كان يمكن أن يعزز في عقولنا قيمة الإتباع الحَرفي بإهلاك كل المعاندين بالوسيلة نفسها، لكنه يعلمنا تنوّع الوسائل حتى مع الهلاك الرباني الذي لا يتدخل فيه البشر بفعلهم، يقول الله تعالى: ﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾(١٧).

ولذا يجب على قادة الرأي والفكر أن يَفهموا ويُفهموا الناس أن الظروف حتى ولو تكررت وتطابقت تماماً بالمعطيات نفسها مع ما كان موجوداً أيام النبي ﷺ لا يجب الأخذ بها حرفيا؛ لأننا في الممارسات الاجتماعية والسياسية يسعنا أن نبدع حلولاً أخرى، واختيار الرسول ﷺ لحل ما في وقته لا ينفي احتمال وجود حلول أخرى ربما كان يمكنه اللجوء إليها، والعقل الإنساني في العصر الحديث مع اختلاف الظروف والمعطيات قد يختصر المراحل، و يلجأ إلى إستراتيجيات مختلفة ووسائل أخرى، فعلى سبيل المثال ليست أية حركة جديدة مطالبة بالبدء بعمل سري، أو دعوة الأقربين، أو أن تهجر أرضها لتكون جيشاً خارجياً، وبذلك لا نرى بالاحتجاج بالسيرة دليلا على فعل إستراتيجي؛ فالرسول ﷺ مثلاً فاوض الكفار وفق شروط معينة في الحديبية، هذه الشروط ليست ملزمة لنا في تفاوضاتنا؛ لأنها كانت الأنسب للظروف والملابسات التي تمر بها عملية التفاوض، وربما لو تغيرت الظروف والملابسات لتغيّرت شروط التفاوض وبنوده، ولسلك الرسول مسلكاً آخر.

أي أننا لسنا مطالبين بالعودة إلى السيرة (في سياق وضع الخطط) للاستدلال على فعل ما نريد أن نقوم به؛ لأننا بذلك نظلم الرسول ﷺ حين نجعله مضطراً للتفكير نيابة عنا، واضعاً خططنا اليوم في ضوء تجربته المحدودة بزمان ومكان وظروف بعينها. ولا نلحظ لدى الصحابة هذه الروح في العودة إلى خطط الرسول ﷺ العملية أو استدعائهم لها، ويبدو أنهم لم يكونوا يتخيلون أن يوماً ما ستُعتبر الخطة النبوية منهاج عمل، فالسيرة هنا تشكل إحدى التجارب الرائدة التي تجدر دراستها لتوسيع المدارك، وتنمية التصورات أولاً عن أنماط التفكير القادرة على مجابهة الواقع، ثم النظر ثانياً إلى أنماط الفعل الممكنة.

خامسا: الإنترنيت وواقعها في التعريف بالقيم المحمدية

إنه على قادة الرأي والفكر أن يستعينوا بالوسائل العصرية الحديثة للتعريف بالقيم المحمدية وفي مقدمة هذه الوسائل الانترنيت خاصة إذا علمنا أن عدد مستخدمي الإنترنت في الدول العربية ارتفع بصورة كبيرة، فبحسب أحدث إحصاءات أواخر عام ٢٠٠٩ بلغ عدد المتصفحين العرب أكثر من ٥٥ مليون متصفح، أي نحو ١٧,٣٪ من تعداد سكان الدول العربية، و٢,٩٪ من تعداد المستخدمين في العالم، وتمثل اللغة العربية تحتل المرتبة الثامنة ضمن أكثر لغات العالم استخدامًا للإنترنت[١٨]، و بلغت عدد صفحات الإنترنت العربية حوالي ٤٠ مليون صفحة، بينما يبلغ عدد الصفحات العالمية ٤٠ مليار صفحة، كل هذه الأرقام والإحصائيات تبين مدى الزيادة في عدد مستخدمي الشبكة العنكبوتية من العرب، بطريقة كبيرة ويتضح ذلك إذا علمنا أن عدد المستخدمين بلغ في سنة ٢٠٠٧ حوالي

٢٤ مليون مستخدم، حيث قفز العدد إلى أكثر من الضعف في ثلاث سنوات فقط، وقد بينت أحدث الدراسات العلمية أن نصيب المواقع الإسلامية والعلمية (صفر) في اهتمام المتصفح العربي، في أول خمسين موقع؛ فأول موقع إسلامي وصل إلى بؤرة اهتمام المتصفح العربي كان ترتيبه قريب من المئة، أما الموقع الإباحية فأخذت حيزا من اهتمام المتصفح العربي وبلغت شأنا لم تبلغه أي من المواقع الإسلامية أو العلمية، وهذا مؤشر خطير يجعل من الاهتمام بالجنس في حس العربي أعمق من اهتمامه بالدين أو النواحي العلمية ولذا يجب على قادة الرأي والفكر ممن يسعون للتعريف بالسيرة والنهج المحمدي أن يعلموا أن عدم الاهتمام بالمواقع الإسلامية، مرده إلى المستوى الفني الضعيف للكثير منها، فلا تستطيع أن تجذب المتصفحين، غير المهتمين بالشأن الديني.

وينطبق هذا أيضا على جانب المحتوى والمضمون، لذا يعتبر الاهتمام بتحسين المستوى الفني للمواقع الإسلامية، واهتمامها بجانب الجذب والتشوق في غاية الأهمية حتى تستطيع جذب المتصفح ويكون لها ترتيب في أول السلسلة من المواقع التي تنال اهتمام المتصفحين، وقادة الرأي والفكر يستطيعون استثمار هذه الأداة من خلال المواقع الإسلامية الإخبارية؛ حيث تقدم الأخبار الموثوقة، منطلقة من تقييمها للأحداث من وجهة نظر إسلامية صحيحة، أو المواقع الدعوية الإسلامية: حيث تقدم للناس العلم النافع، والحجة المقنعة، والدلائل البينة، مما يدعو إلى الدخول في دين الله، والاستمساك بحبله المتين، وإتباع رسوله الأمين ﷺ، وهذه المواقع تقدم موادها المختلفة مقروءة وسمعية ومرئية بلغات العالم المتنوعة، وهي كذلك تخاطب المسلمين وغيرهم كل بما يناسبه.

وكذا عن طريق المواقع الفنية الإسلامية: حيث تدرب المستخدمين على تصميم الصور واللوحات الدعوية، وتشرح كيفية استخدام البرامج الحديثة في هذا المجال، وتقوم بتصميم الإعلانات للبرامج الدعوية والمؤسسات الخيرية مجاناً، إضافة إلى نشر الصور المؤثرة والرسومات المعبرة الموحية التي تلخص في مضمونها ما تعجز عن شرحه آلاف الكلمات. دون أن ننسى منتديات الحوار الإسلامية: حيث يلتقي فيها أبناء الإسلام لمناقشة قضاياهم وتبادل الآراء حول الموضوعات المختلفة، فتتلاقح أفكارهم وتتضافر جهودهم ويحصل بينهم التعارف والتآلف والتعاون على البر والتقوى، إضافة إلى ما في هذه المنتديات من دعوة إلى الخير ونشر العلم وتعريف بقضايا الأمة، وتبادل الخبرات وتوجيه لطاقات الشباب فيما ينفع ويفيد.

ومن بين ما تتوفر عليه شبكة الإنترنيت ظهور مواقع التواصل الاجتماعي[١٩] التي وفرت فتحاً تاريخياً نقل الإعلام إلى آفاق غير مسبوقة وأعطى مستخدميه فرصاً كبرى للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا رقابة إلا بشكل نسبي محدود، وقد استخدم كبار الشخصيات وقادة الرأي والتفكير هذه الوسائل الجديدة واقتطعوا وقتاً معيناً من الأنشطة الأخرى لصالحها، لإيمانهم بأنها البوابة الحقيقة والجادة للتواصل وسماع الناس، وتُعرّف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها «منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها»[٢٠]، ويتفق كثير من الباحثين على أن مواقع التواصل الاجتماعي تشير إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية، لاسيما فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية Individuality والتخصيص Customization، وتأتيان نتيجة لميزة رئيسة هي التفاعلية؛ فإذا ما كان الإعلام

الجماهيري والإعلام واسع النطاق وهو بهذه الصفة وسم إعلام القرن العشرين، فإن الإعلام الشخصي والفردي هو إعلام القرن الجديد، وما ينتج عن ذلك من تغيير انقلابي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد، وبطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي. فضلا عن تبني هذه المواقع تطبيقات الواقع الافتراضي وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص وتجاوزه لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية[٢١]، ومن هنا تكمن أهمية هذه الوسيلة في التعريف بقيم رسالتنا الخالدة لأكبر عدد من الناس وبلغات كثيرة؛ طبعا إن أحسن قادة الرأي والفكر استثمارها استثمارا صحيحا.

سادسا: خاتمة ونتائج

إن قيادة الرأي صناعة وتحتاج إلى اهتمام عظيم ومهارات فائقة وتضحيات على مختلف الأصعدة ضمانا لنهضة الأمة وقوتها، وقادة الرأي محملون بمسؤوليات جسام يحاسبون عنها أمام الله تعالى وأمام الشعوب والتاريخ، ضمانا لنجاح قائد الرأي في الاتصال المباشر والمناقشات الجماعية، ولقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الجماهير أكثر تأثرا بقادة الفكر أو الرأي من روافد المعرفة الأخرى ومن وسائل الاتصال الجماهيري، ذلك أن القادة هم الذين يقومون بدور الوسطاء بين هذه المصادر وبين الناس ويتصدرون الجماعات ويسيطرون على المواقف، ويستمد قائد الفكر قوته من فهمه لرغبات الجماهير ومطالبهم حتى يستطيع أن يبلور اتجاهات الرأي العام ويفصح عنها ويمثلها، فهو تجسيد واقعي لمشاعر الجماهير، والرأي العام

بدوره يتأثر بقادة الفكر في مختلف المجالات، ذلك أن هؤلاء القادة قادرون على تحويل الاتجاهات السلبية للجماهير إلى اتجاهات إيجابية لما يتميزون به من ملكات خاصة كقوة الشخصية والذكاء الحاد وسعة الاطلاع والقدرة على تحليل المعلومات التي يتلقونها، وحسن التصرف ورجاحة الرأي والسيرة الحسنة والسمعة الطيبة؛ لذا تقتضي الضرورة اكتشاف هؤلاء القادة، وتحديد هويتهم، ومعرفة معدلات تأثيرهم في مختلف المراحل التي تمر بها المجتمعات، و يمكن أن يكونوا عناصر إيجابية صالحة تسهم في تطوير المجتمعات والقضاء على الأمراض الاجتماعية، و تصحيح المفاهيم المغلوطة ونشر الوعي الصحيح بمختلف قضايا الحياة، وبناء مجتمعات مستقرة ويمكنهم أن يسهموا في إثراء الخطط التنموية المختلفة خاصة إذا زودوا بالمعلومات اللازمة.

فالجماهير تثق فيهم وتستأنس بهم وتلجأ إليهم طلبا للتوضيح والفهم والاستشارة، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء القادة يمكن أن يؤدون دورا سلبيا ويؤثروا تأثيرا عكسيا، ويحدثوا بلبلة وانشقاقا في صفوف الرأي العام، فعوض أن يأخذوا بيد الجماهير إلى طريق التقدم والتعمير والبناء نجدهم يزرعون في نفوسها الكراهية والبغضاء، ويبثون الحقد والضغائن بين الناس، ويدعون إلى الفوضى والفتنة والاقتتال والتخريب والتدمير، فهم يشكلون بذلك معاول هدم لقيم المجتمع ومبادئه، ويفسرون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم، ويوظفون أحاديث الرسول ﷺ لخدمة أغراضهم، مستغلين ثقة الجماهير فيهم، واستجابتهم لكل ما هو مقدس وجهلهم بالحقائق.

فعلى رجال الفكر والرأي أن يستشعروا دورهم في محاربة الظواهر السلبية بمختلف إشكالها خاصة عن طريق الوسائل الجديدة كالإنترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي، ويبذلوا جهودهم في تحمل المسؤولية، وعليهم أن يبحثوا عما ينبغي القيام به وما ينبغي في سبيل التعريف بالدعوة المحمدية، وكيف يستطيعون القيام بهذه المهمة وما النتائج التي يمكن الوصول إليها وتحقيقها، ومما يساعدهم على ذلك القيام بلقاءات وندوات للتشاور والتوضيح ووضع القرارات المناسبة، وعليهم أن يعلموا الناس بغاية الدين الإسلامي وشريعته من خلال مقاصده وهي حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال.

كما عليهم عبء تعليم الناس أسس الدعوة الناجحة ودعوة أفضل الرسل وضرورة إتباعهم من كل من نصب نفسه لمهمة الدعوة والتوجيه، كما ينبغي عليهم إشعار الأفراد بأهمية المحافظة على هويتهم وانتمائهم لوطنهم وأمتهم وتحقيق مبدأ الأخوة، كما عليهم بيان انعكاس السلوك الإرهابي على الصورة الحقيقية الناصعة للإسلام وأهله عند غير المسلمين.

.....

١) أفريت روجرز، الأفكار المستحدثة وكيف تنشر، ترجمة سامي ناشد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٥٩.

٢) الاتصال المباشر، محمود يوسف، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

٣) محي الدين عبد الحليم، الرأي العام في الإسلام، ط٢، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٠، ص٢٥٨.

٤) أفريت روجرز، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

٥) Joseph J.Klapper :The effects of mass communication, New york, the free press, 1960,p 76

٦) محيي الدين عبد الحليم، مرجع سابق، ص ٢٦٠.
٧) الزخرف ٢٣.
٨) سبأ٣٥.
٩) الأعراف ٥٩-٦٠.
١٠) الأعراف ٦٦.
١١) الزخرف ٥٤.
١٢) محمود يوسف، مرجع سابق، ص ٣٤.
١٣) إبراهيم إمام، العلاقات العامة والمجتمع، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهر ة ١٩٧٠، ص ٢٤.
١٤) النحل ١٦.
١٥) فصلت ٣٣.
١٦) النازعات:١٧
١٧) العنكبوت:٤٠.
١٨) مؤشرات التطور التكنولوجي في العالم العربي / منال فهمي البطران / مجلة السياسة الدولية/ العدد ١٧٨/ يناير ٢٠١٠. كذلك حسب التقرير الثالث للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان. وكذلك موقع (إحصاءات الإنترنت العالمية) www.internetworldstats. /com
١٩) مثل الفايس بوك والتويتر وغيرها.
٢٠) زاهر راضي، «استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي»، مجلة التربية، ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠٠٣، ص٢٣.
٢١) عباس مصطفى صادق، «الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات»، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨م، ص١٧.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب

١) إبراهيم إمام، العلاقات العامة والمجتمع، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠.

٢) أفريت روجرز، الأفكار المستحدثة وكيف تنشر، ترجمة سامي ناشد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٢.

٣) محي الدين عبد الحليم، الرأي العام في الإسلام، ط٢، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٠.

٤) عباس مصطفى صادق، (الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات)، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨م

٥) محمود يوسف، الاتصال المباشر، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦.

ثانيا: باللغة الأجنبية

١) Joseph J.Klapper :The effects of mass communication, New .york, the free press, 1960

ثالثا: المجلات والدوريات

١) زاهر راضي، مقال بعنوان: (استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي)، مجلة التربية، ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠٠٣،

٢) منال فهمي البطران، مقال بعنوان: (مؤشرات التطور التكنولوجي في العالم العربي)، مجلة السياسة الدولية، العدد١٧٨، يناير ٢٠١٠.

لغة الحكمة
وإقناع المخاطب
في أسلوب الخطاب النبوي

Sapience Language in Convincing the Listener in the Style of the Prophetic Discourse

أ.م.د. جنان محمد مهدي العقيدي
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Janan M. M. Al-`Aqeedi,
University of Baghdad
College of Education for Women
Department of Arabic

... ملخص البحث ...

انطلق هذا البحث من واقع ان أسلوب الخطاب النبوي كان مراعياً مستوى التفكير المختلف تبعاً لفكر الآخر ونمط شخصيته التي تتباين بين شخصية تميل للمنطق وأخرى للعاطفة وثالثة للحجاج والمجادلة، وقد عمد البحث إلى تلمس أثر تنوع الأسلوب اللغوي في إقناع المخاطب والتأثير على فكره وتغيير قناعاته بدراسة موضوع حكمة النبي ﷺ في خطابه وأثر ذلك في إقناع المخاطب ، وقسم البحث تبعا لذلك على ثلاثة مباحث:

وسم الأول بـ: الحكمة ودلالتها بين اللغة والسياق القرآني، لبيان معنى لفظة الحكمة في المعجمات اللغوية ثم في السياق القرآني. أما الثاني فوسم بـ: أساليب النبي ﷺ وحكمته في إقناع المخاطب، فجاء لبيان أساليبه ﷺ في التعامل مع المخاطب التي تنوعت واختلفت مثل أسلوب الحوار وأسلوب التدرج وأسلوب الرفق وأسلوب اللين وأسلوب معرفة أحوال المخاطبين. في حين وسم الثالث والأخير بـ: تنوع أساليب الخطاب ومراعاة المخاطب في لغة النبي ﷺ، أوضحنا فيه أسلوب الخطاب العقلي وأسلوب الخطاب العاطفي أو النفسي وأسلوب الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي، وكيف أن تنوع هذه الأساليب الخطابية أثّـر في مسألة الإقناع والتأثير عند المخاطب. واتبعت هذه المباحث بخاتمة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها، مشفوعة بقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

...Abstract...

The current paper stems from the fact that the style of the prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** oration gives much shrifts to the level of intellectuality ranging from a personality with propensity for logics, another for emotion and other for argument and sophistry. In part, the study takes hold of the impact of the variety of the linguistic style on convincing the mind of the listener, and changing his satisfaction in light of the sapience of the Prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** in his oration and how he convinces the listener.

Accordingly, the paper is divided into three sections: the first is entitled as sapience and its evidences between language and the Quranic context to manifest the meaning of the utterance "sapience" in the linguistic dictionaries, and then in the Quranic context. The second is entitled as styles and sapience of the Prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** in convincing the listener of tracing the styles the prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** employs to deal with the listeners as they vary and differ from one to another; dialogue style, lenience style, style of the mitigating circumstances of the listener. The last section comes as variety of oration styles and taking care of the listeners in the language of the Prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** to clarify the style of oration, mindful, emotional, psychological, argumentative and remonstrative and how the variety of the styles influences the listener in matter of satisfaction.

Ultimately, the conclusion terminates in the results and there come the bibliography and the references the paper exploits.

... المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صحابته الغر الميامين.

أما بعد:

تعد اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمعاني التي يترجمها الفرد برموز لغوية في مواقفه وسلوكه وتحمل بين حروفها دلالات تختلف تبعاً لقصد المتكلم، فهي أداة التواصل بين مرسل الكلام ومتلقيه ونتاج الفكر ووسيلة التوصيل، فاللغة والفكر هما وجهان لعملة واحدة. وهذا يعني أن ثمة علاقة وثيقة بين اللغة والفكر مهدت السبيل لمفهوم التواصل اللغوي الذي يتطلب مهارة في استعمال أساليب التركيب المنتظم في مفردات تعبر عن المعاني المقصودة من وراء الخطاب. فمفهوم التواصل هو الاقتران والصلة والترابط والجمع، وهو في المصطلح الغربي (communication) يعني الترابط والاتصال ووظيفة التواصل هي التبادل والتبليغ والتأثير.

ولا يتأتى الترابط والتواصل إلا بما يعدّ أرقى أنواع التواصل وهو لغة الخطاب التي خصها الله عز وجل بأن جعلها سنة إلهية فطر النفس البشرية عليها وبدأ بها ذاته العلية يوم أن خاطب أول نفس بشرية خلقها تمثلت بنبي الله آدم عليه السلام، واستمرت من بعد ذلك على لسان أنبيائه ورسله إلى أقوامهم الذين أرسلوا لهم لهدايتهم ودعوتهم إلى سبيل الهدى ودين الحق.

لقد كان أسلوب الخطاب النبوي مراعياً مستوى التفكير المختلف تبعاً لفكر الآخر ونمط شخصيته التي تتباين بين شخصية تميل للمنطق وأخرى للعاطفة وثالثة للحجاج والمجادلة، وقد عمدت في هذا البحث إلى تلمس أثر تنوع الأسلوب اللغوي في إقناع المخاطب والتأثير على فكره وتغيير قناعاته بدراسة موضوع حكمة النبي ﷺ في خطابه وأثر ذلك في إقناع المخاطب، فقسمت البحث على ثلاثة مباحث:

كان الأول منها بعنوان: الحكمة ودلالتها بين اللغة والسياق القرآني، لبيان معنى لفظة الحكمة في المعجمات اللغوية ثم في السياق القرآني.

أما المبحث الثاني وهو بعنوان: أساليب النبي ﷺ وحكمته في إقناع المخاطب، فكان لبيان أساليبه ﷺ في التعامل مع المخاطب التي تنوعت واختلفت مثل أسلوب الحوار وأسلوب التدرج وأسلوب الرفق وأسلوب اللين وأسلوب معرفة أحوال المخاطبين.

في حين كان المبحث الثالث بعنوان: تنوع أساليب الخطاب ومراعاة المخاطب في لغة النبي ﷺ، بينت فيه أسلوب الخطاب العقلي وأسلوب الخطاب العاطفي أو النفسي وأسلوب الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي، وكيف أثر تنوع هذه الأساليب الخطابية في مسألة الإقناع والتأثير عند المخاطب.

ويختم البحث بخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها.

المبحث الأول

الحكمة ودلالتها بين اللغة والسياق القرآني

تشكل المفردة اللبنة الأساس في هندسة الجمل والتراكيب الكلامية، وهي (إحدى الوحدات الأساسية لعلم الدلالة)[1]، وقد عدّت المفردة أهم موضوعات علم اللغة في العصر الحديث فأفرد لها ما يعرف اليوم (بعلم المفردات) الذي تناولها بالبحث والدراسة وفق مستويات اللغة الصرفية والتركيبية والدلالية، وتأتي أهميتها من كونها أهم عناصر التواصل والاتصال اللفظية بين المخاطَب والمخاطِب.

فالمفردة في الدرس اللساني الحديث تقابل مصطلح (العلامة اللسانية)، والعلامة اللسانية (جوهر مكَّون من الدال والمدلول)[2]، فالدال يمثل الصورة الصوتية أما المدلول فهو المفهوم، فهما في الواقع وجهان لعملة واحدة، إذ إن الدال يعد الترجمة الصوتية للمقابل الذهني وهو المدلول، فالكلمة عند دي سوسير عبارة عن علامة لغوية ودلالتها نتاج العلاقة المتبادلة بين الكلمة والفكرة، وتبعا لذلك فإن العلاقة بين الدال والمدلول تكون اعتباطية، فالدال يتطلب المدلول في ذهن المتلقي كما أن المدلول هو الآخر يتطلب الدال، ويخضع ذلك كله إلى الاتفاق والتواضع الاجتماعي.

إن المتأمل في اللغة العربية يجد أن لألفاظها دلالات مختلفة ومتنوعة تنبع من أصل لغوي واحد باختلاف اشتقاق ذلك الأصل وهو ما يدل على ثراء اللغة واتساع

دلالاتها، ويكون هذا الأمر أكثر وضوحاً وبياناً في الكلمة الواحدة نفسها، إذ تختلف دلالاتها بحسب سياق الكلام الذي ترد فيه، لذا يتوجب لمن يريد أن يعرف دلالة الكلمة العودة إلى أصلها الاشتقاقي في المعجمات اللغوية لمعرفة الدلالة الأصلية لها.

لذا لابد لنا في البدء أن نعرّف باللفظة في مظانها اللغوية الأولى، فلو تتبعنا لفظة الحكمة في اللغة لوجدنا أن لها عدة معانٍ منها: العدل، العلم، الحلم، النبوة، القرآن، الإنجيل[٣]، وقد أورد ابن فارس أن «الحاء والميم والكاف أصل واحد، وهو المنْع. وأول ذلك الحُكم، وهو المنع من الظُّلم. وسميت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها يقال حَكَمْت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السَّفيه وأحكمته، إذا أخذتَ على يديه....والحِكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكّمت فلاناً تحكيماً منعته عما يريد. وحُكِّم فلان في كذا، إذا جُعل أمره إليه. والمحكَّم: المجرّب المنسوب إلى الحكمة.. وفي الحديث: إن الجنة للمحكَّمين وهو قوم حُكِّموا مخيَّرين بين القتل والثبات على الإسلام وبين الكفر فاختاروا الثبات على الإسلام مع القتل، فسُّموا المحكمين».[٤]

أما الفيومي فقد ذكر أن «معنى الحكم القضاء وأصله المنع يقال حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك وحكمت بين القوم فصلت بينهم فأنا حاكم وحَكَم بفتحتين والجمع حكام ويجوز بالواو والنون والحكمة وزان قصبة للدابة سميت بذلك لأنها تذلل لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال وحكمت الرجل بالتشديد فوّضت الحكم إليه وتحكم في كذا فعل ما رآه وأحكمت الشيء بالألف أتقنته فاستحكم هو صار كذلك».[٥]

وقد أسهب الزبيدي في تفصيل مادة (حكم)[٦] وذلك حين قال: «الحُكم، بالضم: القضاء في الشيء بأنه كذا أو ليس بكذا سواءٌ لزم ذلك غيره أم لا، هذا قول أهل اللغة، وخصّص بعضهم فقال: القضاء بالعدل... والحاكم مُنَفذ الحُكم بين الناس، قال الأصمعي: وأصلُ الحُكُومة: ردُّ الرجل عن الظلم وإنما سُمي الحاكم بين الناس حاكماً لأنه يمنع الظالم من الظلم.... وأحكمه: منعه مما يريد».[٧]

يتبين مما ورد في المعجمات اللغوية بأن (الحكمة) لا تخرج في دلالتها اللغوية عن المنع باختلاف تصاريفها. وقد عرّفت الحِكْمة: بأنها العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها[٨]، وعرّفها الجرجاني بأنها «علم يبحث فيه حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي»[٩]، وهي: (معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم).[١٠]

أما في السياق القرآني فنجد أن لفظة الحكمة تكررت ٢٠ مرة في ١٢ سورة[١١]، اختلفت فيها دلالتها وتنوعت بحسب سياق الآية، وقد وردت الحكمة في القرآن الكريم على ستة أوجه دلالية هي[١٢]:

١. الموعظة، ورد هذا المعنى في (سورة القمر/ ٥) وذلك في قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ﴾.

٢. السُنّة، كما في (سورة البقرة / ١٥١) في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وقد وردت هذه الدلالة في تفسير ابن كثير حين قال: «**والحكمة** يعني: السنة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك، وغيرهم».[١٣]

٣. الفهم، ورد هذا المعنى في سورة (لقمان / ١٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ذكر ابن كثير ذلك بقوله: «أي الفهم والعلم والتعبير».[١٤]

٤. النبوة، جاء هذا المعنى في سورة (ص / ٢٠) بقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ذكر القرطبي في تفسيره للحكمة في هذه الآية بأنها (النبوة)، مشيراً إلى أن هذا التفسير قال به السدي[١٥]، وعلى هذا فإن الحكمة أعم من النبوة.

٥. القرآن، وكان هذا الوجه من المعنى قد ورد في سورة (النحل / ١٢٥) في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٦. علوم القرآن، وقد ورد هذا الوجه الدلالي في سورة (البقرة / ٢٦٩) في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ وكان ابن كثير قد نقل عن ابن عباس قوله في تفسير الحكمة هنا انها المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، محكمه ومتشابهه ونحو ذلك.

عند إنعام النظر في الآيات التي وردت فيها لفظة الحكمة نجد أنها جاءت على نوعين، فهي إما مفردة أو مقرونة بلفظة (الكتاب)[١٦] فمما ورد مفرداً من لفظة الحكمة كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[١٧]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[١٩]، وقد اختلفت دلالة الحكمة وفسرت بحسب سياق الآيات القرآنية كما تقدم.

أما ما جاء مقروناً بلفظة الكتاب فقد فسرت بأنها (السنة) من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وسيرته[٢٠] وهي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[٢١]، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢٢]، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢٣].

والحكمة نوعان حكمة علمية نظرية وهي الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباطاتها ومسبباتها، وحكمة عملية وهي وضع الأشياء في مواضعها، ومرجع الحكمة العلمية هو الإدراك والعلم، أما العملية فهو العدل والصواب.[٢٤] من كل ما تقدم يمكن القول بان الحكمة هي الفصل والتمييز بين الإصابة في القول والفعل وبين عدمها وفق إدراك يحيط بفنون العلوم التي توصل إلى الفهم الدقيق للأمور ووضعها في نصابها.

المبحث الثاني

أساليب النبي ﷺ وحكمته في إقناع المخاطَب

تتميز النفس البشرية بأنها كيان متألف من رؤى وأفكار متباينة، إذ يختلف البشر في مستوى تفكيرهم وتعاملهم فيما بينهم، لذا يتطلب الأمر أساليب متنوعة لمخاطبة النفس البشرية واستمالتها إلى منهج الحكمة الذي يقضي بالتمييز بين الصائب والمقبول من الرأي والعمل وبين المخالف للصواب منهما، واتخاذ هذا المنهج سبيلاً لإقناع المقابل والتأثير فيه لتغيير ما هو مخالف لما هو صائب. إن هذا المنهج يستند في أساليبه إلى المنبع الثر وهو القرآن الكريم الذي تنوعت فيه أساليب التعبير عن معنى الحكمة وأساليبها.

ولعل أهم أسلوب للحكمة هو أسلوب الحوار الذي يعد وسيلة المتحاورين وأداة تواصلهم لتبادل الأفكار والتعبير عنها بالحجج والبراهين، إذ إنه ضرورة تفرضها طبيعة التعايش والحياة بين الإنسان ونظيره من بني البشر، فالحوار فن من فنون الكلام والمحاورة ومهارة متقدمة من مهارات التواصل الإنساني على اختلاف توجهات المتحاورين سواء أكانوا بلغاء أم فصحاء أم رسلا أم دعاة أو غيرهم... وكذلك فان الحوار يختلف ويتنوع بحسب المقاصد والأغراض.

ويكتسب الحوار منهجيته المنطقية إذا كان مشفوعاً بالدليل والحجة، لذا يكون الحوار العقلي الذي يعتمد المنطق والحجة أنجح أسلوب يسلكه المحاور ليقنع به من

يحاوره ويؤثر فيه؛ ذلك لأن الإنسان السوي والعاقل يستعمل عقله لإدراك مسألة ما فيحتاج إلى إعمال العقل للتأمل والتفكير الذي يصل به بالنتيجة إلى الاقتناع والقبول استناداً إلى أدلة منطقية يتقبلها العقل.

لقد كان الحوار من أساليب الدعوة إلى الله التي سلكها النبي ﷺ في محاوراته مع المخاطَب، إذ كان وسيلته الفعّالة ليملي به حجته الإقناعية التأثيرية ويدعو الفكر للتأمل والتدبر وبه استمال قلوب الناس وغيّر مفاهيم خاطئة اقتنعوا بها، ولعل ثمة أمورا اتصف بها أسلوب النبي ﷺ الحواري مما أكسبه صفة الإقناع ومن ثم التأثير في نفوس متلقيه، وهي أمور كان القرآن الكريم قد حث عليها وأمر بها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٥]، هنا جاء الأمر بعدم تجاوز آداب الحوار مع أهل الكتاب، فالقرآن الكريم يعرض نظريته الحوارية المتكاملة والشاملة كي يبتعد عن الجهل والتعصب والاستخفاف وكل ما يسيء للطرف المقابل ويبين أن الغاية من الحوار هو الصفاء والموضوعية وأن التخلق بحسن الشمائل ومهارة التحاور هو السبيل لتحقيق الغاية.

وكان النبي ﷺ قد فعل ذلك حين التقى نصارى نجران مع اليهود في المسجد[٢٦] فتجادلوا أمامه وكل فريق يقول للآخر لستم على شيء، وكل كفر بما عند الآخر وادعى أن إبراهيم عليه السلام ينتسب إليه، فقال أحد أحبار اليهود: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ وقال رجل من أهل نجران أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعو؟ فقال: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بعثني بذلك الله ولا أمرني، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما

﴿كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.[٢٧]

فالنبي ﷺ بيّن بأسلوب حكيم حقيقة الدعوة إلى الله وفتح باب الحوار مع المخالف له بأسلوب حواري هادئ بعيد عن الغضب وسمح بحرية الرأي ثم ألقى الحجة الواضحة، لذا كان أسلوبه في الحوار يتسم بسعة الأفق وحسن التدبر بالمنطق الذي يليق بمن يريد إقناع المخالف له.

ومن أساليبه ﷺ في الإقناع والتأثير التلطف في التعامل مع المخاطَب والكلام معه بالرفق واللين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢٨]، إذ كان ﷺ يترفق فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه. إن أسلوب الشدة والغلظة، والغضب والعنف، أسلوب ينفر منه الطبع البشري أما أسلوب اللين والرفق فهو من أهم القواعد الأساسية في التعامل مع الآخر والتأثير فيه؛ ذلك لأن فطرة الإنسان وطبيعته تميل إلى اللين والتسامح والرحمة، لذا فالرفق في التعامل يعد وسيلة من وسائل النجاح في السلوك الإنساني وفناً من فنونه.

لقد تميز أسلوب الرسول ﷺ باللطف في وعظ مخالفيه، والتهذيب في الخطاب فكان يبصرهم بالحق ، ويذكرهم بحق الله عليهم، ويتيح لهم فرصة التفكير، أملاً في هدايتهم واقناعهم بما فيه صلاحهم وفلاحهم في أمور دينهم، لذا فإنه ﷺ لم ينههم عن شيء بأسلوب الزجر والغلظة في القول بل كان رفيقاً حليماً، ولعل موقفه مع ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد ورفقه في التعامل معه لهو خير دليل على أسلوب الحكمة التي يتمتع بها في شخصه، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَه مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تزرموه، دعوه)**[٢٩] فتركوه حتى

بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: **(إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن)**، أو كما قال رسول الله ﷺ. قال: **(فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء، فشنّه عليه)**»[٣٠].

ففعل النبي ﷺ كان في غاية الرحمة والرفق، إذ إنه لو تركهم يزرموه لحصل فعل المفسدة في ذلك في أمرين: فأما أن يقطع الأعرابي بوله فيتضرر بحسب البول، أو أن يكون قطعه له فيه مفسدة بتنجيس بدنه أو ثوبه أو مواضع أخرى من المسجد، وهذا من أعظم الحِكم فالرفق به كان له أكبر الأثر في نفس الأعرابي الذي دعا بقوله: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا»[٣١] فأنكر النبي ﷺ عليه ذلك بحكمة فقال له: **(لقد تحجرت واسعاً)**[٣٢].

لقد عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، فالرفق سبب لكل خير ويحصل به من المطالب والأغراض ما لا يحصل بضده، وحذر ﷺ من العنف والتشديد لأنه لا يعود إلا بمثله.

أسلوب آخر من أساليب النبي ﷺ التي تؤثر في الإقناع وتغير في المفهوم هو أسلوب التدرج؛ ذلك لأن التدرج سنة كونية وسنة شرعية، فخلق الإنسان وخلق النبات وغيرها يمر بمراحل تدريجية ليخرج الإنسان كاملاً ثم أطواره وتدرج مراحله العمرية حتى يصل مرحلة الكهولة، أو لتصبح النواة شجرة مثمرة، كما ان التدرج سنة شرعية فمنهج الشريعة الإسلامية في التغيير يستقيم مع طبيعة النفس التي خلقها الخالق التي تأبى أن تقهر على شيء لا تستوعبه، لذا فإن الأحكام الشرعية بدأت شيئاً فشيئاً وكان التدرج فيها من الأصول إلى الفروع ومن اليسير إلى ما يليه، فكان منهج التدرج سبيلاً سهلاً لإقناع العباد بتنفيذ أوامر اعتادوا على خلافها مثل

تحريم الزنا والخمر والربا وغيرها مما نشأوا عليه، ولم يكن هذا التدرج في تطبيق أحكام الشريعة عبثياً بل كان حكمة بالغة من لدن الحكيم الخبير الذي خلق النفس ويعلم ما فيها من نفور وإعراض حين تلزم ما يخالف قناعاتها.

لقد تمثل منهج التدرج في أسلوب النبي ﷺ وتعامله بالحكمة مع الناس، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ان الرسول ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **(إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم)**»[٣٣]. فالنبي ﷺ أسس بحكمته منهجاً متكاملاً لحياة الذين يدخلون الإسلام من أهل الكتاب لكنه منهج متدرج في أولوياته ولم يفرض الأمر عليهم فرضاً دفعة واحدة بل كانت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بداية أسلوب الإقناع الذي يدفع إلى التأثير على المفاهيم ومن ثم تطبيق الشرائع المفروضة.

أسلوب آخر من أساليب النبي ﷺ الذي ينتهي بالإقناع والتغيير والتأثير، هو معرفة ومراعاة أحوال المتلقين أو المخاطبين، فمخاطبة العقول والقلوب فن لا يجيده إلا من يمتلك أدوات الإقناع مع توافر الظروف المناسبة لإحداث التأثير، فمهارات الاتصال والحوار المقنع للآخر تعد وسائل تأثيرية بالغة في تغيير المفاهيم، ولا يتأتى ذلك إلا لمن أحاط بمعرفة أغوار النفس البشرية وفهم مستوى تفكيرها وأسلوب أدائها الفعلي الذي ينعكس في سلوكها وتصرفاتها فيمكن على أساس ذلك قياس ومعرفة طريقة التعامل معها.

ولعل المتأمل لتعامل النبي ﷺ ومراعاته لأحوال المخاطبين يجد أنه عليه الصلاة والسلام تنوع في مراعاته لأحوالهم بحسب أعمارهم وأجناسهم وعلمهم ومكانتهم الاجتماعية وظروفهم النفسية وبيئاتهم.. ولا عجب وهو العارف بتقلبات النفس البشرية في أحوالها وأثر البيئة والظروف المحيطة بها على سلوكها وطرائق تفكيرها.

فمن مراعاته لحال مخاطبيه ما ورد عن معاوية بن الحكم السُّلمي، قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: رحمك الله، فحدقني القوم بأبصارهم، فقلت: وأُثكل أمِّياه، ما لكم تنظرون إلي؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُسكتونني لَكني سكت، فلما انصرف رسول الله ﷺ دعاني بأبي وأمي هو ما ضربني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، قال: (**إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن**)»[٣٤].

باستنطاق نص الحديث المتقدم نجد أن النبي راعى جهل المتكلم في الصلاة واستعمل معه أسلوب الحكمة واللين في الكلام الذي ترك أثراً في نفس ذاك المتكلم فوجد النبي ﷺ طريقه في إقناعه بالموعظة الحسنة.

المبحث الثالث

تنوع أساليب الخطاب ومراعاة المخاطب في لغة النبي ﷺ

تمتلك الألفاظ طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة على المتلقي، وتنتظم تلك الألفاظ في تراكيب متنوعة تختلف تبعاً لقصد المخاطب وأسلوبه في الخطاب الذي يتميز به عن غيره، فالأسلوب هو الطريقة والفن[٣٥] أو (طريقة تأليف الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير)[٣٦] أو طريقة التفكير والتصوير والتعبير[٣٧]، وتتباين الأساليب تبعاً لطبيعة المعنى والغرض وجمال النسق وروعة الأداء وقوة التأثير.[٣٨]

والتأثير في النفوس ينبع من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة وقدرة مبدعها على التأثير والإقناع، ولا يتم كل هذا إلا بانتقاء أجزل الألفاظ والعبارات وأقدرها على التعبير ولا يخفى ما للغة وأسلوب المخاطب من أثر في نفوس متلقيه، باعتبار أن وظيفة النظام اللغوي تبليغ أغراض المتكلم للسامع[٣٩]، وتبعاً لذلك تتباين أساليب المخاطب في خطابه، فلكل موقف خطاب خاص به ولكل مقام مقال.

ولما كانت غاية النبي ﷺ هي الدعوة إلى الله عز وجل وفق منهج القرآن الكريم وأسلوبه في مخاطبة النفوس والعقول، فإن أساليب الخطاب اختلفت وتنوعت تبعاً لتنوع تلك النفوس والعقول واختلافها فأسلوب خطاب العالم يختلف عن أسلوب خطاب الجاهل وأدوات التعبير التي يفهمها كل واحد منهم تتباين في مستوياتها،

فالعالم يفهم من إشارة على حين أن الجاهل يحتاج إلى تفصيل وبيان في تلقيه الخطاب ليفهمه ويقتنع به.

وقد راعى الخطاب القرآني مستويات الفهم للمخاطبين؛ ذلك لأنه خطاب جاء لعموم الناس وعلى مختلف المستويات العقلية والعمرية، فكانت الحكمة الربانية والأمر الرباني للنبي المرسل ﷺ أن يبلغ ويراعي تلك المستويات على اختلافها بما يناسبها من أساليب خطابية، فجاء قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليبين تنوع أساليب الحكمة في الخطاب النبوي للمخاطبين من البشر ومراعاة أحوالهم وظروفهم في الخطاب والسلوك. لذا انقسم أسلوب النبي ﷺ في مخاطباته ودعوته إلى ثلاثة أساليب هي: أسلوب الخطاب العقلي أو الاستدلالي، وأسلوب الخطاب العاطفي أو النفسي، وأسلوب الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي.

إن كل هذه الأساليب تدلّ على حكمة النبي ﷺ وأسلوبه الخطابي الحسن في تعامله مع المخاطَب، وقد تميز أسلوبه ﷺ بسلاسة المنطق والرقة واللين والبلاغة التي يعبّر فيها اللفظ القليل عن المعاني الجمة والكثيرة وكذلك كان ﷺ يكرر كلامه ثلاث مرات إذا أراد أن يؤكد على مسألة ما، وكان يحدّث الناس على أقدار عقولهم ويمتلك قدرة على اختيار اللفظ المناسب لحال المخاطب فيخاطب الصغير بـ (يا بني).

بالعودة إلى أساليب الحكمة في الخطاب نجد أن النبي ﷺ رسم منهجاً في التعامل مع النفس الإنسانية سواء كانت أمارة بالسوء أو لوامة أو مطمئنة، في غاية العدل وفي منتهى الحكمة، فكل نفس لها ما يناسبها من التعامل والأسلوب، فمن

كانت نفسه تميل إلى التشدد ناسبه الزجر، ومن كانت نفسه تميل إلى التفلت ناسبته الحجة والإقناع، ومن كانت فيه غلظة كان الحلم والصبر خير أسلوب للتعامل معه.

فأسلوب العقل أو أسلوب الخطاب العقلي هو الذي يميل للمنطق في تحليل الأمور ومعرفة عواقبها أو نتائجها فما نافى العقل غير مقبول وما قبله العقل فهو محمود، فأسلوب المنطق يتصف بالحيوية لما فيه من أسئلة موجهة إلى المخاطب ليجيب عليها[٤٠].

ولعل في الخطاب العقلي المستند إلى المنطق والقياس على معاملة الآخرين بما تحب النفس أن تعامل، خير دليل على مدى أهمية هذا الأسلوب في إقناع الطرف الآخر والتأثير فيه لتغيير قناعاته وهو ما استعمله النبي ﷺ في محاورته مع الشاب الذي استأذنه بالزنى، فكان النبي ﷺ حكيماً في حواره ومخاطبته للشاب، إذ استعمل معه أسلوب العقل والمنطق لإقناعه بالعدول عن هذا الأمر.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: **(ادنه)**. فدنا منه قريباً. قال ﷺ: **(أتحبه لأمك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**. قال ﷺ: **(أفتحبه لابنتك؟)**، قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)**، قال ﷺ: **(أتحبه لأختك»؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)**. قال ﷺ: **(أتحبه لعمتك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)**. قال ﷺ: **(أتحبه لخالتك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)**. قال: فوضع يده ﷺ عليه، وقال:

(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه). فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[٤١]، فالنبي ﷺ خاطب عقل الشاب واستعمل في حواره اللين والمنطق ليكون أقوى الأساليب في الإقناع ثم أنه ﷺ دعا له بالعفة فكان من أبلغ الأساليب في التأثير وتغيير المقصود الذي لا يتماشى مع الفطرة السليمة والتربية الحقة، دون أن يفرض عليه قناعاته بالقوة.

أما الأسلوب الثاني من أساليب الحكمة النبوية في الخطاب المؤثر في تغيير القناعات فهو أسلوب العاطفة أو أسلوب الخطاب النفسي، وهو مما انماز به النبي ﷺ إذ كان وهو الرحمة المهداة رحيماً بالنفس الإنسانية التي تمتلك قوة التفكير فتكون محتاجة إلى إقناع عقلي، وقوة وجدانية فتحتاج إلى إقناع عاطفي نفسي (ويعد التوجه إلى العاطفة مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم للتوجه إلى العقل، فإذا كان العقل لا يسهل قياده في بعض الأحيان مهما وضحت الحجة وعلت في صحتها وقطعيتها فإن العاطفة تكون حينئذ عوناً على استمالة المدعو واجتذابه فهما أسلوبان يدخل منهما نور الهداية ومعاني الخير والرشاد لكن بطريقين مختلفين شكلاً متفقين هدفاً).[٤٢]

فأسلوب الخطاب العاطفي يعمد إلى استثارة العاطفة في النفس لدفعها إلى الإقناع والتأثير، وذلك بالموعظة الحسنة التي تجذب النفس إلى الإنابة بالتذكير لها ترغيباً وترهيباً، من ذلك ما رُوى عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال ﷺ: **(قد قضى)**، قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما

رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال ﷺ: **(ألا تسمعون إن الله لا يُعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذّبُ بهذا** –وأشار إلى لسانه– **أو يرحم، وإن الميت يُعذب ببكاء أهله عليه)**».[٤٣] فالنبي ﷺ يعرف أن للقلوب أقفال وللأقفال مفاتيح كما أن للقلوب أبواب ولكل منها مفتاح، فكان يرفق بالمريض ويعظ من حضره ملمحاً إلى أمر هام هو كف اللسان عما يحرم قوله بأسلوب وعظي تتدفق منه ينابيع الحكمة وتلين له القلوب وتتأثر وكان أسلوب الحكمة في هذا الموقف صادراً عن فعل قولي وعملي ليومئ للناس بالحكمة من وراء ذلك.

أما الأسلوب الثالث فهو أسلوب الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي الذي يعد واحداً من أهم الأساليب التي يستعملها العقل البشري في محاوراته ومخاطباته، والقصد منه (الإتيان بالدليل والحجة والبرهان في إثبات الحق وإلزام الخصم بها)[٤٤] في أسلوب حواري سلمي بعيداً عن العنف باللجوء إلى لغة الحوار المخاطب للعقول بوساطة الاستدلال المنطقي.

إذ إن المحاورة مع الآخر والمجادلة معه تكون بأسلوب حسن، فالنبي ﷺ حين جادل المشركين وهم كفار جادلهم بأسلوب يحترم فيه إنسانيتهم، وهو منهج رسمه القرآن الكريم له فالموعظة الحسنة تكون مع الموافقين أما الجدال فيكون مع المخالفين، ولأسلوب الجدال والاحتجاج شروط بينها ﷺ هي أن يكون الحوار والجدال على الأمور المشتركة بين المتحاورين لا على نقاط الخلاف والحكمة من ذلك اطمئنان الآخر أن ليس الهدف هو غلبه وقهره فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، بل الهدف هو إقناعها والتأثير فيها لتغيير ما هو خلاف الحق وردم هوة الخلاف.

فالنبي ﷺ كان محاوراً هادئاً يتسم بروح التسامح مع اليهود والنصارى وهم المخالفون لنهج الدين الإسلامي وأفكاره، ولعل خير دليل على ذلك ما ورد عنه ﷺ فيما رواه أنس ﷺ قال: «بلغ عبد الله بن سلام مَقْدِم النبي ﷺ إلى المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: **(خبرني بهن آنفاً جبريل...)**، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: **(أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها)**، [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله]»(٤٥).

فالنبي ﷺ جادل اليهودي الذي سأله عن أمور لا يعلمها إلا نبي على سبيل الظن منه طلباً للتيقن الذي ما أن اقتنع به أعلن إسلامه على الفور، إذا أعطاه بالحجة والدليل ما جعله يخضع لجانب الإقناع ومن ثم التأثر بتغيير القناعات السابقة.

مما تقدم يمكن القول بان تنوع أساليب الحكمة كان له أكبر الأثر في توجيه الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب يتناسب مع أفكار المخاطب ومستوى تفكيره العقلي وقناعاته الشخصية، وأن أسلوب النبي ﷺ في حواراته تناسب مع أحوال المخاطبين وراعى الفروق الفردية بينهم.

... الخاتمة ...

اختتم هذه الرحلة الماتعة مع أسلوب النبي ﷺ وحكمته في التعامل مع المخاطب، بجملة نتائج أجملها بالآتي:

١. إن تنوع أساليب الحوار في مخاطبات النبي ﷺ يشير إلى الفكر الموسوعي له ﷺ وتمكنه البلاغي وقدرته الذهنية لاختيار الأسلوب الذي يناسب المخاطب وحاله، وكذلك نبه على قدرته الخطابية واستعمالاته ﷺ لأساليب اللغة وتوظيفها في توجيه الدعوة إلى الله تعالى.

٢. بيّن البحث أن دلالة لفظة الحكمة تنوعت واختلفت في السياق القرآني بحسب دلالتها في سياق الآيات وفي هذا دليل على اتساع الدلالة القرآنية للمفردة الواحدة ودقة الاستعمال في السياق القرآني.

٣. دل حوار النبي ﷺ ومخاطباته على شخصيته التربوية التي تتخذ من أسلوب الحكمة وسيلة لإقناع المقابل والتأثير فيه، كما أنها كانت نموذجاً لكل تربوي يمتهن مهنة التعليم والتدريس التي تحتاج ميزات خاصة ليستطيع معها من يمتهنها أن يكون مناسباً للعمل بها.

٤. كان منهج تكريم العقل واستلهام المعرفة العلمية بالاستدلال المنطقي للأدلة والبراهين مما انماز به أسلوب النبي ﷺ في تعامله مع النفس البشرية، إذ يميز

بالخطاب العقلي الصواب والخطأ من الأمور التي تحتاج إلى إعمال العقل ورياضته.

٥. سبق النبي ﷺ في أسلوب خطابه مع الآخر أصحاب النظريات الحديثة في فن الإقناع والتواصل اللغوي التي تتطلب في الوقت الحاضر المران والخبرة العملية فأسس مدرسة للتنمية البشرية تقلدت قصب السبق في التعليم والتثقيف الذي بات لغة العصر الحديث.

.....

١) علم الدلالة / بالمر ٤٠.
٢) علم الدلالة / كلود جرمان وريمون لوبلان ١٨.
٣) ينظر: تاج العروس ٣١/ ٥١٢ (حكم) باب الميم فصل الحاء.
٤) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ٢/ ٩١-٩٢.
٥) المصباح المنير ١ / ٥٦.
٦) ينظر: تاج العروس / حقيق: عبد العليم الطحاوي / ٣١/ ٥١٠ – ٥٢٤.
٧) المصدر نفسه ٣١/ ٥١٠ (حكم).
٨) المصدر نفسه ٣١ / ٥٢١.
٩) التعريفات ينظر ص ٤١.
١٠) المعجم الوسيط ١٩٠.
١١) ورد ذكر لفظة الحكمة في السور الآتية: البقرة/ ١٢٩ و ١٥١ و٢٣١ و٢٥١ و٢٦٩ مكررة، وآل عمران، النساء، المائدة، النحل، الإسراء، لقمان، الأحزاب، ص، الزخرف، القمر، الجمعة.
١٢) ذكر هذه الأوجه الدلالية ابن الجوزي في كتابه: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ينظر: ص ٢٦١-٢٦٢.
١٣) تفسير القرآن العظيم ١ / ٤٤٤ – ٤٤٥.
١٤) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٣٥.

١٥) الجامع لإحكام القرآن ١٨ / ١٤٩.

١٦) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة / د.سعيد بن علي بن وهف القحطاني ١٥- ١٦.

١٧) البقرة / ٢٦٩.

١٨) النحل / ١٢٥.

١٩) لقمان / ١٢.

٢٠) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة ١٥.

٢١) البقرة / ١٢٩.

٢٢) آل عمران / ١٦٤.

٢٣) الجمعة / ٢.

٢٤) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة ١٧ - ١٨.

٢٥) العنكبوت / ٤٦ .

٢٦) ينظر: منهج الرسول (ﷺ) في الحوار مع النصارى / د. علي بن موسى الزهراني (مقال) منشور على الرابط الالكتروني: http://www.forsanhaq.com .

٢٧) آل عمران / ٧٩.

٢٨) آل عمران / ١٥٩.

٢٩) أخرجه النسائي في كتاب الطهارة برقم ٥١، سنن النسائي ١/ ٦.

٣٠) مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى / د.سعيد بن علي بن وهف القحطاني ٦٨.

٣١) المصدر نفسه صفحة ٧٠.

٣٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٣٣) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة / ١٣٩٥.

٣٤) سنن النسائي باب الكلام في الصلاة (١١٤١) ٢/ ١٥٩.

٣٥) ينظر: المصباح المنير ٢ / ١٠٨.

٣٦) الأسلوبية والبيان العربي / د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ٤٢.

٣٧) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٣٨) ينظر: المصدر نفسه الصفحة ٥٥.

٣٩) ينظر: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية / د. بان الخفاجي ١٥.

٤٠) ينظر: منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية / ١٤٣.

٤١) مواقف النبي (٩) في الدعوة إلى الله تعالى ٧٥ – ٧٦.

٤٢) الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية / ابراهيم بن صالح الحميدان (بحث) مجلة جامعة الإمام عدد ٤٩ ص ٢٨٧.

٤٣) صحيح البخاري كتاب الجنائز / باب البكاء عند المريض (١٣٠٤).

٤٤) الحواميم السبع ١١٢.

٤٥) مواقف النبي (٩) في الدعوة إلى الله تعالى ٣٩.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم

٢) الأسلوبية والبيان العربي / د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. محمد السعدي فرهود، د. عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية: مصر، ط ١ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٣) تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، سلسلة التراث العربي - الكويت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٤) التعريفات / السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المطبعة الخيرية: مصر، ط١ / ١٣٠٦هـ.

٥) تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة - السعودية، ط٢ / ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م.

٦) الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

٧) الحواميم السبع (دراسة تحليلية فنية) / د. طالب عويد الشمري، سلسلة الإصدارات العلمية - المركز الوطني لعلوم القرآن والتراث الإقرائي: بغداد، ط ١ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

٨) سنن النسائي / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي / دار طيبة - السعودية.

٩) صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١ / ١٤٢٢هـ.

١٠) علم الدلالة / ف. بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة. ١٩٨٢.

١١) علم الدلالة / كلود جرمان، ريمون لوبلان، ترجمة: د. نور الهدى لوشن، دار الفاضل دمشق، ١٩٩٤.

١٢) مراعاة المخاطب في النحو العربي / د. بان الخفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ / ٢٠٠٨ م.

١٣) المصباح المنير/ احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، مكتبة لبنان

١٤) معجم مقاييس اللغة / احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)،تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر العربي/ ١٩٧٩.

١٥) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية - مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤

/ ٢٠٠٤م.

١٦) مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة / د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سلسلة الرسائل الدعوية – السعودية.

١٧) منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية / علي بن جابر الحربي، الزهراء للإعلام العربي، ط ١ / ١٩٨٦م.

١٨) مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى / د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سلسلة الرسائل الدعوية – السعودية.

١٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط ٣/ ١٩٩٧م.

٢٠) الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية / د. ابراهيم بن صالح الحميدان (بحث) مجلة جامعة الإمام، عدد ٤٩ لسنة ١٤٢٦.

٢١) منهج الرسول في الحوار مع النصارى / د.علي بن موسى الزهراني مقال منشور على الرابط الالكتروني: http://www.forsanhaq.com

موقف المستشرقين
من السيرة النبوية
(تطابق المظهر واختلاف المضمون)

Attitude of the Orientalists to the Prophetic Chronicle (Concordant in Form Incongruous in Content)

أ.م.د. قاسم جواد الجيزاني
الجامعة المستنصرية
كلية التربية الاساسية / قسم التاريخ

Asst. Prof. Dr. Qasim Jawad Al-Jezani
University of Al-Mustansiriya
College of Basic Education
Department of History

... ملخص البحث ...

كان الاستشراق ولايزال، جزأ لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين عالمين، العالم الاسلامي في دينه وقيمه وحضارته، والعالم الغربي في علمانيته وماديته ومدينته، وفي ضوء التأثير الكبير للاستشراق صيغت التطورات الأوربية عن الاسلام، وتشكلت مواقف الغرب ازاءه. لقد مثلت شخصية الرسول الكريم ﷺ ميدانا واسعا في كتابات المستشرقين منذ ان نشا الاستشراق في العصور الوسطى الأوربية وحتى الان، وجاء هذا البحث ليرصد هذا الجانب في اعمالهم معتمدا على منهج موضوعي علمي، مركزا على عرض السيره النبوية الشريفة في افكار وأراء واقوال المستشرقين وتوزع البحث في ضوء المادة المجموعة على مقدمة وتمهيد وثلاث محاور. عرضنا في التمهيد اقوال المستشرقين عن حياة النبي محمد ﷺ في سنيه الاولى. اما المحور الاول فعرض: اقوال المستشرقين عن مولد النبي محمد واسمه ﷺ اما الثاني فتضمن: اقوال المستشرقين عن مرضعة الرسول محمد ﷺ حليمة السعدية وحادثة شق صدر الرسول ﷺ، وشمل القسم الثالث: انطباعات المستشرقين من خروج النبي ﷺ مع عمه أبي طالب الى الشام وأخبار بحيري الراهب عنه. ثم ختمنا الدراسة بخاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصل اليها البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة فيه.

...Abstract...

Orientalism has been a part of civilization conflict between two worlds; the Islamic world in the orbit of religion, values and civilization, and the western world in the orbit of secularity, materiality and modernity. In light of the great impact of Orientalism on the acts of shaping the European standpoints concerning Islam, the western viewpoints come into fore.

The personality of the prophet Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)*** has been considered as rich soil for orientalist writings since the rise of orientalism in European Medieval age. Thus the current paper intends to pinpoint such a vantage point of their artworks depending upon a scientific objective procedure and focusing upon the honest prophetic chronicle viewed in thoughts , opinions and sayings of the orientalists. So it is divided into three sections with an introduction and a preface.

In the preface there are famous sayings of the orientalists concerning the early years of the life of the prophet ***(Peace be upon him and his progeny)***. Then it tackles the sayings of the Orientalists concerning the foster–mother, Haleema Al-Sa`adeia, of the prophet ***(Peace be upon him and his progeny)*** and the incident of the chest cleavage of the prophet ***(Peace be upon him and his progeny)***. The third section manipulates the impression of the orientalists concerning the fact that the prophet Mohammed ***(Peace be upon him and his progeny)*** and his uncle repair to Al-Sham and the fact that Baheiri, a priest, leaks his presence. Ultimately, the conclusion reckons the most important results, bibliography and the references.

... المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ خير البشر على الإطلاق، وأفضلهم في معالي الأخلاق، صاحب السيرة العطرة والشمائل الفاضلة والخصال العظيمة الساطعة.

أما بعد:

فقد وقفت هذه الأمة شامخة أمام التحديات التي أرادت النيل منها في كل زمان ومكان، واستطاعت تجاوز الأزمات والنكبات التي حلت بها، وجددت أمر دينها كلما دعا التقادم إلى ذلك، وكلما احتاجت إلى بعث نفسها من جديد لتنتقل من الغفلة إلى اليقظة، ومن الذل إلى العزة، ومن الجزر إلى المد، وذلك من فضل الله عليها، وبسبب انجابها علماء أفذاذ في انواع العلوم المختلفة، فكانوا فقهاء الإسلام، ومصابيح الظلام، بذلوا الجهود كلها فيما قدموه من مؤلفات، ومخطوطات لا يزال بعض منها مخفيا وقسم آخر تعرض للفناء والهلاك.

تحتل الدراسات الاستشراقية حيزاً واسعاً في مجال الدراسات الإسلامية ولهذه الدراسات أهميتها وثقلها العلمي في الدوائر العلمية،ولا تكاد تخلو دراسة علمية من الإشارة إليها.

لقد تناولت الدراسات الاستشراقية التراث الإسلامي المتنوع في العقيدة، والتصوف، والتفسير والحديث والسيرة والتاريخ، والآداب وغيرها من العلوم والمعارف والفنون، وكان للمستشرقين صولة وجولة، وآثار كبيرة في مجالات الثقافة والفكر، وبعض آثارهم كانت ترسم صورة مشوهة الإسلام وفكره.

لقد شغل الفكر العالمي بدارسة سيرة الرسول محمد ﷺ في مدة تزيد على أربعة قرون، وفي انتاج فكري، وبسائر اللغات الحية وغيرها، وهذا ما يؤكد ان (السيرة النبوية) متميزة بخصائص وصفات لا توجد في سائر الأعلام والشخصيات العالمية.

لقد مثلت شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ ميداناً واسعاً لكتابات المستشرقين منذ ان نشأ الاستشراق في العصور الوسطى الأوربية وحتى الان، إذ انجز الغرب مئات من المؤلفات التي تناولت سيرته المشرفة، ليس الهدف دراسة هذه الظاهرة التي صارت ديناً روحياً وغداء انسانياً للملايين من البشر في أرجاء العالم كافة، وانما رغبة في إيجاد منافذ وثغرات يمكن من خلالها تشويه سيرته العطرة باختلاق الأباطيل ونسبها إليه.

ان الصراع بين الحق والباطل، والكفر والإيمان، سيظل قائما ما بقيت السماوات والأرض، لا تهدأ معاركه، ولا تخبو جذوته، ولا تنتهي حوادثه، لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته، ومهما كانت دولته وكثرته فان العاقبة ستكون بإذن الله لأولياء الله المتقين، ودعاته المخلصين، فحسب دعاة الحق انهم يستمدون قوتهم من قوة الله، ويأخذون أدلتهم من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

أما دعاة الباطل فليس لهم إلا الحجج الواهية التي ترتكز على ضروب من الجهل، والأوهام.

لقد عملت هذه الدراسات منذ وقت مبكر على تشكيل العقل الغربي تجاه الإسلام، وتحديد موقفه تجاهه، بحيث يمكن القول ان الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام هو موقف الاستشراق ذاته من الإسلام.

كما عملت الدراسات الاستشراقية من جانب أخر على تشكيل عقلية الصفوة العلمية في العالم الإسلامي من خلال البعثات للجامعات الغربية، مما أدى لاستمرار النسق المعرفي الاستشراقي، يزاد على هذا ما تحدثه ترجمة الدراسات الاستشراقية إلى اللغة العربية أو اللغات المحلية في العالم الإسلامي من تأثير فكري في الشخصية المسلمة.

ومن هنا كان الاستشراق ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين عالمين، العالم الإسلامي في دينه وقيمه وحضارته، والعالم الغربي في علمانيته وماديته ومدنيته، وفي ضوء التأثير الكبير للاسشراق صيغت التطورات الأوربية عن الإسلام، وتشكلت مواقف الغرب إزاءه.

افترقت مناهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية، وتشابهت نتائجهم، ولم يتحقق فيها شيء من الموضوعية والعلمية؛ لقد زرعت تلك المناهج الشكوك والأوهام في نفوس القراء، وغذت الرأي العام الأوربي والأمريكي بالمعلومات العدائية للإسلام، مناهج قامت في جملتها على أساطير انطبعت في عقول المسيحيين منذ الحروب الصليبية حول شخصية الرسول ﷺ.

وفي سبيل تنبيه الأمة المسلمة على ما يكتنفها من مخاطر على صعيد الفكر والعقيدة وكشف ما يحاك ضدها من شرور، والرد على ما يقال عن دينها وتاريخها من مفتريات، وبغية التصدي لأخطار الاستشراق في مجال الدراسات الإسلامية،

كان اختيارنا لهذا الموضوع والموسوم بـ: موقف المستشرقين من السيرة النبوية ((تطابق المظهر واختلاف المضمون))

ويراد بسيرة رسول الله ﷺ معرفة حياته من ظهور العلامات التي مهدت لرسالته، وما سبق مولده من سمات تلقي أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية، ومولده ونشأته وحتى مبعثه. وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف، وما لقي في سبيل نشر الإسلام من معارضة، وما جرى بينه ﷺ وبين من عارضه من صراع بالقول والسيف، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة منهجاً موضوعياً علمياً، مركزين على عرض السيرة النبوية الشريفة في أفكار المستشرقين وأرائهم وأقوالهم، فجاء البحث بمقدمة وتمهيد تناولت فيه أقوال المستشرقين في حياة النبي محمد ﷺ في سنيه الأولى.

ثم قسمنا البحث على ثلاثة محاور تضمن الأول منها: أقوال المستشرقين في مولد النبي محمد وأسمه ﷺ.

أما الثاني فتضمن: أقوال المستشرقين عن مرضعة الرسول محمد ﷺ حليمة السعدية،وشمل الثالث: انطباعات المستشرقين من خروج النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وأخبار بحيرا الراهب عنه.

ثم ختمنا الدراسة بخاتمه تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة فيه، ونسأل الله عز وجل ان يجعل هذا العمل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لنا في حياتنا وبعد مماتنا، وان ينفع به كل من انتهى

إليه، فانه خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه نبينا محمد وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمهيد

أقوال المستشرقين عن حياة النبي محمد ﷺ في سنيه الأولى

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾(٥)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٦)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٧).

ان الإسلام دين مفتوح النوافذ على النور والخير، وان حقائقه واضحة، ومعقولة، وصريحة، وهادية، وانسانية، وعالمية، وخالدة(٨).

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى لدينه ان يكمل، ولنعمته ان تتم، فأرسل النبي الخاتم محمدا ﷺ، وجعل شريعته عامة وصالحة لكل زمان ومكان، والحديث عن (النبي الخاتم) وعن (عموم رسالته) يحتاج منا إلى وقفة قد تطول، وقد تقصر.

ان الكتب التي روت حياة رسول الله ﷺ وأحداثها كتب كثيرة، منها (كتب السير) وهذه رصدت حياة النبي ﷺ، وأرخت لها، و(كتب المغازي) وهذه عرّفت بغزواته، وبعوثه، وسراياه، والأخلاق التي كان يتحلى بها في حروبه، وكيف كان يتعامل مع أعداء دعوته ان أمكنه الله منهم. و(كتب الشمائل) وهي تحدثنا عن صفات النبي ﷺ الخَلْقية والخُلُقية، و(كتب الخصائص)، و(كتب الأذكار)، ثم هناك كتب (الصحاح، والسنن، والمسانيد)، هذا فضلًا على ما رواه القران وحكاه، عن سيرة النبي ﷺ وأخلاقه، وسئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت كلمتها المشهورة: « كان خلقه القران»[٩].

لا توجد شخصية معلومة لنا في جميع نواحي الحياة وليس فيها ما نجهله وما هو مكتوم وراء حجب التاريخ غير حياة محمد ﷺ، فحياته كلها واضحة صافية كالمرآة، ليلها كنهارها[١٠]. لقد كان القران معجزة الإسلام الأولى، وكان الرسول بذاته وأخلاقه وسيرته وانتشار دعوته معجزة الإسلام الثانية.

ظلت سيرة رسول الله ﷺ بوابة للطعن في الإسلام، من لدن المستشرقين ومن سار على آثارهم، ولم تتغير أفكار الأوربيين عن الإسلام، وعن نبي الإسلام منذ الحروب الصليبية.

لكن ما نقرأه من المستشرقين هجومهم على حياة الرسول ﷺ من جميع جوانبها، منذ ولادته إلى ان وافاه الله، أكثر من هجومهم على القران الكريم، وذلك

لإفهام الغرب ان من تكون حياتُهُ على هذا النحو لا يمكن ان يكون جاداً في دعوته إلى الناس في الدين الصحيح، لذا نرى العديد من المؤلفين الغربيين يدعون ان حياة محمد ﷺ غامضةٌ وغير معلومة.

وتردد عند أكثر المستشرقين، ما تردد عند قادة المشركين من مزاعم على عهد النبي ﷺ، فهو عند المستشرقين وعند المشركين على السواء: شاعر،وساحر، وكاهن، ومجنون، ومصاب بداء الصرع، قرانه أضغاث أحلام، وأساطير الأولين، وما زادوا شيئا عمّا جاء في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[١١] وهذه الاتهامات القرشية البائدة – بتعليم البشر له واتهامه بالجنون – اعتبرها المستشرقون فتوحات جديدة ونابعة من الحداثة الفكرية! فقد اتُّهم بكونه تَعَلَّمَ من معلم، ولكن معلمه غير معروف!

والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها:

قول المستشرق كارل بروكلمان: «ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى»[١٢]. أما رودنسون[١٣] يقول عن طفولة الرسول ﷺ: «انه لا يملك معلومات مؤكدة عنها»[١٤]. ويقول سيديو[١٥]: «كانت سنوات محمد الأولى غامضة»[١٦].

وقد سار على نهج هولاء أيضا باعتقاد غموض حياة النبي محمد ﷺ الأولى المستشرق جاك ريسلر[١٧] يتحدث عن حياة الرسول ﷺ الأولى فيقول: «فاننا لا نملك أبداً شهادات أكيدة حول سنواته الأولى وحياته الرَّهاقية»[١٨]. ويتكلم أيضاً على حياة الرسول محمد ﷺ تور اندرية[١٩] فيقول: «وأكثر ما جاءنا عن حياته الأولى معلومات أسطورية»[٢٠].

ان قول المستشرقين مغاير للحقيقة والعلم، حين قالوا «بان حياة النبي الأولى لا نعرف عنها شيئاً»، فكيف أجازوا لانفسهم ان يقولوا ذلك وهم يعلمون كما يعلم كل شخص أتيح له شيء من الثقافة والدراسة التاريخية، انه لم تعرف ترجمة لحياة انسان في التاريخ، كما عرفت ترجمة حياة النبي محمد ﷺ، فهو حفيد سيد قريش وعظيمها عبد المطلب، وهو من تحدثت عنه مكة ويثرب، لما أحاطت ولادته ظروف قاسية، حين توفى أبوه عبد الله في دار الغربة في يثرب، تاركاً أبناً لم تلده أمه آمنة بعد، وما أعقب ذلك من حياته في حجر جده عبد المطلب، ومتابعة أخباره وهو في رعاية عمه أبي طالب، وما رافق ذلك من مشاركته في أحداث مكة، إلى تجارته إلى الشام بمال خديجة رضي الله عنها، ثم زواجه منها، وكذلك موقفه من خلاف بطون قريش حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه في الكعبة الذي كان حديث أهل مكة[٢١].

ويرد سليمان الندوي على أقوال المستشرقين بقوله: «لا تكون حياة أحد كاملة ومنزه عن العيوب والمثالب، إلا إذا كانت معلومة للناس بجميع أطوارها، ومتجلية لهم دخائلها من كل مناحيها، وحياة محمد ﷺ من ميلاده إلى ساعة وفاته معلومة للذين عاصروه وشهدوا عهده، ان جميع شؤونه وأطوار حياته من ولادته ورضاعته وطفولته إلى ان صار يافعاً وشاباً كل ذلك ظاهراً أمره معلومة تفاصيله»[٢٢].

ونعتقد ان ما ذكره المستشرقون عن حياة النبي محمد ﷺ بانها غامضة، أرادوا ان يشككوا في مرحلة من مراحل حياة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ، ليبعدوا الأنظار عن مرحلة غامضة في حياة المسيح عليه السلام التي قيل بانه قضاها في منطقة (الربوة) في الهند[٢٣]. وهناك بعض المستشرقين يرون ان حياة محمد ﷺ كانت معلومة وغير غامضة ومنهم: المستشرق سميث[٢٤] الذي أكد ان حياة محمد ﷺ

معلومة وغير غامضة بقوله: «قد لا نعلم كثيراً من سير الأنبياء إلا شذرات، أما الإسلام فأمره واضح كله ليس فيه سر مكتوم عن أحد ولا غمة يُبهم، ففي أيدي الناس تاريخه، وهم يعلمون من أمر محمد كالذي يعلمونه من أمر لوثر، وملتن، والأمر كله واضح وضوح النهار كأنه الشمس أو الضحى، يتبين نورها كل شيء»[٢٥].

أما المستشرق غوستاف لوبون[٢٦] فيقول عن النبي محمد: «نعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد، إما حياة المسيح فمجهولة تقريباً، وانك لن تطمع ان تبحث عن حياته في الانجيل»[٢٧].

ان الرسول محمداً ﷺ كان معروفاً بجميع تفاصيل حياته قبل أكثر من ستة قرون، ألم يتكلم الانجيل عن النبي محمد ﷺ وصفاته وحياته، وانه سوف يصبح يتيما؟ إذ روي عن القرطبي انه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾[٢٨]، سأل عمر بن الخطاب ﷺ عبد الله بن سلام وقد كان كتابياً فأسلم، أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف أبنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، أما أبني فلا أدري ما الذي قد كان من أمه، ولقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي ﷺ تتبع خبر النبي محمد ﷺ وصفاته من الإنجيل والرهبان وعلماء الكتاب[٢٩].

ان ما قدمه ونقله الرواة عن حياة الرسول محمد ﷺ كان سجلًّا كاملًا وأمينًا عن دقائق وحقائق حياته، وما رصده صحابته عن حياته منذ البدء إلى النهاية، وكتبوها بكل عناية، في دواوين السنة وكتب المغازي والسير، حتى ان أَدَق الأعمال وأخفاها، وأجل الأحداث وأقلها كانت ماثلة للتاريخ على وجهه العلمي الصحيح[٣٠].

ومع مرور الأيام بدأت صورة الاستشراق تتضح وأبعاده تستبين، ولكن بعض الدارسين يرى ان ذلك لم يتم أو لم يصبح واضحاً في أذهان المثقفين من أبناء أمتنا إلا قبل عقدين من الزمان فقط، ليس معنى ذلك ان اسم الاستشراق ما كان يظهر على ألسنة الناس، وما كانت بعض أقوال المستشرقين المتداولة في الأوساط الجامعية وغيرها لتعرف بانها أفكار وآراء استشراقية، ولكن معرفة ان الاستشراق ليس مشروعاً فرديا وانما هو مؤسسة متضامنة متعاونة على اختلاف البلدان التي ينتسب إليها المستشرقون، وعلى اختلاف اللغات التي ينطقها المستشرقون، وعلى اختلاف سياسات الدول التي ينتمون إليها، تبقى المؤسسة من وراء ذلك تتسم بصفات ثابتة في التعامل مع التراث الإسلامي.

أولا: أقوال المستشرقين في مولد النبي محمد ﷺ واسمه

يقول ابن هشام: »ولد النبي محمد ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول في عام الفيل[٣١] سنة ٥٧٠م أو ٥٧١م«[٣٢].

ويقول الطبري: «وعن أبي قتادة عن عمر رحمه الله انه قال للنبي ﷺ يا نبي الله، أأصوم يوم الاثنين؟ قال ﷺ: **(ذاك يوم ولدت فيه، ويوم انزلت عليّ فيه النبوة)**»[٣٣]، إذن ولادة النبي ﷺ في عام الفيل وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، فنصر الله أهل مكة على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر، وتعظيماً للبيت الحرام[٣٤]، وحادثة الفيل ثابتة بنص القران.

ورد عند ابن سعد قال عفان بن مسلم: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(انا محمد وأحمد والحاشر والماحي والخاتم والعاقب)**»[٣٥]، كما ورد عند ابن عبد البر[٣٦]

ان جد النبي ﷺ عبد المطلب ختنه يوم سابعة وجعل له مأدبة وسماه محمداً، وقال ابن هشام[٣٧]: «فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب، انه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها منه، وما أمرت به ان تسميه».

وكان اسم محمد ﷺ معروفاً لدى اليهود في التوراة والنصارى في الانجيل، ففي نبوة اشعيا الإصحاح الأول يقول: «اني جعلت أمرك يا محمد يا قدوس الرب أسمك موجود إلى الأبد»[٣٨].

وفي سفر حبقوق في الإصحاح الثالث يقول: «قال جاء الله من التيمن والقدوس من جبل فاران وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه وملأ الأرض بهيبته»[٣٩].

وروي عن عبد الله بن سلام ﷺ -وكان رئيساً لليهود بالمدينة المنورة قبل إسلامه- قال: «اني أجد في التوراة مكتوباً (محمد رسول الله لا فَظٌّ ولا غليظ ولا سخاب[٤٠] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكنه يعفو ويصفح)»[٤١].

أما في الإنجيل فقد ذكر في لوقا الإصحاح الثاني:«الحمد لله في السموات، وعلى الأرض الإسلام، وللناس أحمد»[٤٢].

ويقول ابن سعد: «قال موسى بن يعقوب الزمعي عن سهل مولى عثيمة: انه كان نصرانياً من أهل مَرسِ، وكان يقرأ الانجيل، فذكر ان صفة النبي ﷺ في الانجيل، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد»[٤٣].

وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح الخامس عشر: «ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله الله هو يعلم كل شيء»[٤٤]، ومعنى فارقليط حامد وحماد وأحمد.

وفي إنجيل برنابا الإصحاح الواحد والأربعين ورد التصريح باسم النبي محمد ﷺ: «فلما التفت أدم رأى مكتوباً فوق الباب لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وقد أشار القران إلى علم اليهود والنصارى باسم محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٤٥]. وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: «﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، يعني التوراة قد بشرت بي وانا مصداق ما أخبرت عنه، وانا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد»[٤٦].

ثانيا: أقوال المستشرقين عن مرضعة الرسول محمد ﷺ

ان رضاعة الرسول ﷺ وتربيته في بني سعد على يد حليمة السعدية من الحوادث المشهورة في نشأة الرسول الكريم محمد ﷺ، والغريب أيضا ان الكثير من المستشرقين يتجاهل حادثة شق الصدر التي حدثت في بني سعد على الرغم من ورودها في العديد من كتب السيرة، فيقول ابن سعد: «استأذنت امرأة على النبي ﷺ، وقد كانت أرضعته، فلما دخلت عليه قال: أمي أمي! وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه»[٤٧].

أما ابن هشام فيذكر ان حليمة السَّعدية أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضعته، خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نِسوةٍ من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، قالت: «في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، فخرجت على أتان لي، قَمْرَاءَ معنا شارف لنا والله ما تبضُّ بقطرةٍ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي

معنا، من بُكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه»[٤٨]. وذكر ابن هشام قدوم مرضعة الرسول ﷺ حليمة السعدية إلى مكة: «قدمنا مكة نلتمس الرُّضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرُض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: انه يتيم، وذلك انا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم !! وما عسى ان تصنع أمه وجده، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله اني لأكره ان أرجع من بين صواحبي ولم أخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه، قال: لا عليك ان تفعلي، عسى الله ان يجعل لنا فيه بركةً[٤٩]، فلما وضعته في حجرها أقبل على ثديها بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى رويا ثم ناما، ثم قدمت مع زوجها منازلهم من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمها تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبُّنا... فلم تزل تتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتهُ، وكان يشبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً»[٥٠]. وعندما تزوج محمد ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أتت إليه أمه من الرضاعة حليمة السعدية إلى بيته فرحب بها، ثم شكت له من سوء الحال بسبب ما تعرض البلاد من فقر، ومن ثم أدى إلى هلاك أغنامها فذهب الرسول الكريم ﷺ إلى زوجته خديجة وكلمها فأعطتها أربعين شاه وبعيراً هادئاً لتركب عليه ثم خرجت إلى بيتها[٥١].

أما الدليل الأخير على إقامة الرسول ﷺ في بني سعد في طفولته، والتي كانت قبيلة بني سعد بن بكر أحد فروع قبيلة هوازن، وكانت اللغة الفصيحة هي ما اشتهرت بها هذه القبيلة، فكان النبي محمد ﷺ يقول لأصحابه: **(انا أعربكم، انا قرشي، واسترضعت في بني سعد بن بكر)**[٥٢].

وهنا نجد العديد من المستشرقين من ينكر هذه الحادثة ويعدوها من الروايات غير الصحيحة، ومن هولاء المستشرقين المستشرق مكسيم رودنسون الذي يقول: «ان هذه الرواية غير صحيحة»[٥٣].

أما المستشرق سيروليم موير[٥٤] (١٨١٩-١٩٠٥م) فيقول: «ان رواية استرضاع الرسول محمد ﷺ لدى بني سعد من لدن حليمة السعدية هي محض أساطير»[٥٥]. إما المستشرق مونتغمري وات[٥٦] فيذكر هذه الواقعة -وهي رضاعة حليمة السعدية لمحمد ﷺ- إلا انه في الأخير يشكك في هذه الرواية ويقول: «وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لإطالة حياة نبيهم»[٥٧].

ومن الغريب ان المستشرقين ينكرون هذه الحادثة التي هي من الحقائق التي لا يستطيع أحد ان يماري فيها أو ان ينكرها لان حليمة السعدية لا تزال على قيد الحياة عندما كبر الرسول محمد ﷺ وكانت تأتي إلى محمد ﷺ فكان الرسول يرحب بها ويكرمها ويناديها: (أمي.. أمي) أمام الجميع[٥٨]. إذن فليس هناك أية شبهة في واقعة إرضاع حليمة السعدية للنبي ﷺ وإقامته في قبيلة بني سعد.

ثالثا: انطباعات المستشرقين من خروج النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وأخبار بحيرا الراهب عنه.

يقول ابن هشام عن خبر بحيرا بشكل ملخص: «ان أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير، صب به[٥٩] رسول الله ﷺ، فرق له وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان إليه علم

أهل النصرانية، فصنع لهم طعاماً، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، حتى قام إليه بحيرا فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه، وهيئته، وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام»[٦٠].

ومن هذه الرواية اخذ بعض المستشرقين بالادعاء ان النبي محمد ﷺ قد أخذ القران من (بحيرا) وهو أحد أحبار النصارى، عن طريق اللقاء الذي جمعهم معاً، على الرغم من ان شخصية هذا العالم ومكانته مجهولتان، فرصة من أجل ان يوهموا العالم الغربي بان محمداً قد نال من هذا اللقاء حظوة من عند هذا الراهب[٦١].

ان تلمس كل حسنات الإسلام ومحاوله نسبتها إلى أصول يهودية أو نصرانية، هذا المنهج كان منذ البدء معمولاً به ولا يزال حتى الوقت الحاضر يظهر في عبارات المستشرقين المعاصرين، فالقضايا التي تتصل بتوحيد الإله، وبطرح العقيدة الدينية يشار فيها إلى أثر بحيرا الراهب.

ان ما يعرف عن هذا الراهب من نصوص عن شخصيته تكاد تكون معلومات متضاربة وغير متفقه فيما يخص اسمه، ومكانته وحتى ديانته، فمرة جرجيس وأخرى جرجس وثالثة سرجيس ورابعة سرجس، ومرة انه مشتق من الآرامية معناه المنتخب، وأخرى من السريانية معناه العالم المتبحر، ومرة ينسب لقبيلة عبد القيس، ومرة نصراني وأخرى يهودي[٦٢].

ومن المستشرقين الذين أكدوا هذا الرأي المستشرق إيرفنج واشنطن[٦٣] الذي حاول ان يصور لنا ان النبي محمد ﷺ قد تأثر بالمبادئ النصرانية، فقال: «يبدو ان الراهب الحريص على التبشير بدينه قد توسم الخير في هذا الشاب الذكي، ابن أخي سادن الكعبة، ورأى انه خير من يحمل بذور المسيحية إلى مكة، ومن الطبيعي ان يحرص هذا الراهب على ان يمنع ذلك الشاب، والذي قد ينجح في تحويله إلى المسيحية من اعتناق اليهودية»[٦٤].

أما المستشرق بدلي فقد ذكر ان الرسول ﷺ كان يجالس بحيرا أو يتعلم منه طويلاً فيقول: «فراح الراهب يحادث العربي الصغير وكانما يحادث رفيقاً من رفقائه، فأخبره بعقيدة عيسى، وسفه عبادة الأصنام، وأرهف محمد السمع إلى ما ينطق الرجل به»[٦٥]. وكلام بدلي هو الآخر من نسيج الخيال والابتعاد عن الحقيقة.

نعم هناك أوجه تشابه في القصص الديني بين ما ورد في التوراة وشرحه التلمود، والإنجيل، وبين ما ورد في القران الكريم، ولكن هذا التشابه لا يعود إلى كون القران اقتبس تلك الصور من التوراة والإنجيل، وانما لكون الأصل واحدا، نحن لا ننكر ان الإنجيل وان التوراة من عند الله، ولكننا نقول ما أثبته القران من كون الإنجيل والتوراة لم يعودا كلمة الله تعالى بسبب التحريف الذي وقع، والذي لا يمكن تمييزه وتحديده وتخليص الحق منه، فكون الوحي الإلهي واحداً وكون العقائد الدينية واحدة، والشرائع هي التي تختلف، هذا الأمر يؤدي بالطبع إلى ان يلتقي الوحي الإلهي للأنبياء جميعاً في بعض الجوانب. ونجد ان المستشرق سيديو تحدث عن هذا اللقاء فقال: «فبلغ بصرى فاجتمع فيها ببحيرا الذي كان اسمه، لدى النصارى جرجيس أو سرجيس، فنال حُظوةً عنده»[٦٦].

وذهب وات إلى ان النبي محمد ﷺ في المدينة أخذ ينقل من اليهودية والمسيحية لصياغة ديانة جديدة، وادّعى ان وجوده بغار حراء كان فراراً من حرارة الصيف[٦٧].

ولم يكتف المستشرقون بهذا الكلام الذي لا يستند إلى البحث العلمي الدقيق، بل انكر بعض منهم هذا اللقاء، ومن هولاء المستشرقون المستشرق رودنسون فبعد ان أقتبس هذه القصة من الطبري يقول: «انها وضعت وضعاً حتى يعترفا بنبوة الرسول من قبل أحدى الديانتين التوحيديتين اليهودية والمسيحية باعتبار الإسلام وارثا لهما»[٦٨].

إما المستشرق وات فقد سرد هذه الرواية طبقاً لما قاله ابن إسحاق، ولكنه شك في حدوثها مع اعتراف بان المسلمين يعدونها من الحقائق فيقول: «ومع ذلك فثمة جدال حول بعض هذه النقاط، وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم»[٦٩]، وما يفهم من كلامه شكه في الرواية.

وأكد هذا الرأي فيليب حتّي اللبناني، عندما زعم ان المسلمين كتبوا سيرة الرسول ﷺ كما يرغبون ان تظهر هذه السيرة، وليس كما هي في الحقيقة والواقع، وخلعوا على مؤسس ديانتهم وباني مجدهم كثيراً من التبجيل والتعظيم، ووضعوا لذلك أحاديث ونحلوه أفعالاً ليست له[٧٠].

ويجدر بنا ان نتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل لخطورة هذا الأمر، فلو افترضنا جدلاً، ان الرواية تصلح للاستشهاد وان الرسول ﷺ التقى بحيرا الراهب، فكيف يعقل ان بحيرا علم الديانة المسيحية للنبي محمد ﷺ وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

وهل من المعقول ان يأخذ محمد ﷺ وهو طفل صغير شريعة اليهود والنصارى في لقاء عابر لا يتجاوز لقاء على الغداء أو العشاء؟

ويقول أبو الحسن الندوي: «ان صحت هذه الرواية – لا يقوله عاقل رزق من سلامة العقل والإنصاف ذرَّة، فكيف يعقل غلاماً لا يجاوز عمره تسع سنوات – على الأصح – واثنتي عشر عامً – على الأكثر – تلقى من شيخ لا يعرف لغته، ولم يجلس إليه إلا ما يستغرقه وقت الجلوس على مائدة»[٧١].

ان من يقرأ سيرة النبي محمد ﷺ يجد في سيرته الطاهرة الأخلاق العظيمة التي لم تجتمع ولم تتكامل إلا في ذات محمد ﷺ من حين ولادته ثم مبعثه إلى ان انتقل إلى الرفيق الأعلى، وهذا دليل على صدق نبوته ﷺ وان الله كمل خلقه وخُلقه وهيّأه لان يكون رسولاً وان محمداً ﷺ ومنذ صباه مفطورٌ على كره عبادة الأصنام، وكان يمقت اللعب والطرب والخمر وغيرها من الرذائل، ولم يقع في منطقة الدنايا قط، وكان في شبابه أسوةً في الاستقامة والأخلاق الفضيلة.

ان خلط السم بالدسم، بالثناء على الحضارة العربية وانها تستحق الإشادة بها، ومن ناحية ثانية الطعون في القران والرسول ﷺ، يعنى ان المقصود هو الطعن، وأما الإطار بالثناء على حضارة العرب فهو للتخدير، لانه في حالة الوعي الكامل سيرفض القارئ الشتم، ولكن إذا قيل له انك انسان نبيل ونابغة ومهذب ولا ينقصك إلا كذا –وهذا (الكذا) يفقد الإنسان قيمته– هذا هو الأسلوب والمنهج المتبع في معظم الدراسات الاستشراقية في القرن العشرين، فهي لا تتجه إلى الأساليب المباشرة، وانما تتجه إلى تغليف الكلام.

ولو تنبهنا قليلا ورجعنا إلى المائة والخمسين سنة الماضية لوجدنا انه يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، هذه الإحصائية التي ننتهي إليها عندما نعرف ان ستين ألف كتاب قد صدرت بين ١٨٠٠-١٩٥٠م -أي عبر قرن ونصف- فلماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام، وبالشرق، وبالعَربِ، وبالقضايا التي تتصل بمنطقة بعيدة عنهم؟

طبعاً هناك بدايات لاستشعار الغرب لقوته العسكرية والسياسية بعد ان استقرت فيه معالم نهضته الفكرية والحضارية عبر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، ثم بدأ باكتساح العالم خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان هذا يقتضي أمرين: ان يُهيأ الرأي العام الغربي لمثل هذا العمل، لان الاقتحام العسكري والاختراق الثقافي والسياسي والاقتصادي سيكلف الغرب الكثير، وينبغي ان يضحي من أجل ذلك بقوى عسكرية، وبإمكانات اقتصادية، وبتسخير قدرة الأجهزة العلمية -إلى حين- لهذه المشكلة المثارة.

فالمستشرقون هم الذين صوروا الشرق أمام الغرب، هم الذين قالوا من هم المسلمون وما خصائصهم العقلية، وما ثقافتهم، وما أعرافهم وتقاليدهم،وإلى أي شيء يدفعهم الإسلام، وكم يؤثر فيهم، في الوقت الذي توضع فيه الخطط العسكرية والاقتصادية.

عندئذ صار من مهام المستشرقين ان يسخروا عدداً كبيراً من الباحثين ليكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللغات الأوروبية، إذن الخطاب لم يكن موجهاً ابتداءً لناطقي العربية أو اللغات الشرقية وإلا لكانت الكتابة باللغة العربية، بل كان موجهاً لأوروبا، ان هذه هي صورة الإسلام فلا تتحولوا إليه، وإذا كانت هذه هي صورة

المسلمين فلا تلومونا إذا اقتحمنا ديارهم، ولا تلومونا إذا استنزفنا خيراتهم، ولا تلومونا إذا تعصبنا ضدهم، لان هؤلاء القوم يتسمون بخصائص عقلية وجنسية وثقافية لا تمكنهم من النهوض بأنفسهم.

... الخاتمة ...

تناولت في هذا البحث كتابات المستشرقين في سيرة الرسول ﷺ في سنيه الأولى، وقد تعددت الأخطاء المنهجية في الكتابات الاستشراقية، ويمكن إجمال الأخطاء الاستشراقية فيما يأتي: التشكيك في أحداث السيرة النبوية دونما دليل أو لمواقف سابقة، فينطلق المستشرق بحثاً عن أي أثر من دليل ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً ليؤيده مع عدم الاهتمام بما أثبته علماء الحديث المسلمون من أحداث، أما الخطأ الثاني فهو محاولة تفسير أحداث السيرة وفقا لأهوائهم أو لمواقف سلبية مسبقة، والخطأ الثالث النفي الكيفي لأحداث السيرة دونما دليل أو برهان وقد تناول كثير من العلماء المسلمين المعاصرين الكتابات الاستشراقية بالنقد والتفنيد.

ان تاريخ الأمة الإسلامية يبدأ بالسيرة النبوية الشريفة، فهي أول تطبيق عملي للدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً، ولا بد للمسلمين ان يعتنوا بسيرة نبيهم الكريم محمد ﷺ، فلم تكتب سيرة نبي مرسل ولا ملك ولا عظيم قوم كما كتبت سيرة المصطفى ﷺ، فمعظم أحداثها تجدها في كتب الحديث الشريف الذي نال من عناية العلماء ما لم تعرفه أمة من الأمم قبل الأمة الإسلامية ولا بعدها، وبالإضافة إلى ذلك فان كتاب الله عز وجل قد أورد كثيراً من وقائع السيرة النبوية بالتفصيل وزاد على ذلك بعض اللمحات عن حياة الرسول ﷺ مما لا يمكن لأحد علمه إلاّ سبحانه الذي يعلم السر وأخفى.

ان موضوع الاستشراق ليس من الموضوعات التي تُطرق للمرة الأولى، وانما طرق في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص مراراً في مؤلفات، وكتب، ومحاضرات، ومقالات صحفية، وتحقيقات في المجلات والدوريات، ولكن النظرة إلى الاستشراق كانت تتغير باستمرار حتى انتهت إلى الصورة التي يمكن ان تعتبر واضحة في أذهان الأجيال.

ان محمدًا ﷺ قد أظهر دين الرسل قبله، وصدقهم، ونوه بذكرهم وتعظيمهم، حتى يحق لنا ان نقول: ان من آمن بالأنبياء والرسل مثل موسى والمسيح وغيرهما، انما آمنوا بهم عن طريقه ﷺ، ويحق لنا ان نقول: ان كثيرًا من الأمم، لولا محمد ﷺ، وما قصه عليهم من القصص الحق في أخبارهم وآثارهم، لم يؤمنوا بهم!

ولولا ان القران الكريم -ذكر ما ذكر- عن ولادة المسيح وآية الله فيه وفي أمه مريم العذراء عليها السلام، لاعتبر الناس هذا الموضوع أسطورة قديمة.

وان في القران الكريم آيات كثيرة تثبت شهادة أهل الكتاب له، وإيمان كثير منهم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٧٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧٣].

ان سيرة محمد ﷺ أعظم من سيرة غيره من الأنبياء، وكذلك شريعته، وأمته، والكتاب الذي انزل إليه من ربه، ومعجزاته وهديه!! فمن كذب به ﷺ وشكك فيه، فتكذيبه لغيره، وشكه فيه أولى، ومن آمن بغيره من الأنبياء، ونادي باتباعهم، فان إيمانه بمحمد ﷺ واتباعه أولى، وأهدى!

ان الذين يقدحون في محمد ﷺ، عليهم ان يعلموا ان القدح فيه قدح في غيره من الانبياء، وان الشك فيه شك في غيره من الانبياء، وان تبرئة غيره من الانبياء هو تبرئة له من باب أولى.

.....

١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٢) سورة النساء، الآية: ١.

٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

٤) سورة البقرة، الآية: ٢١.

٥) سورة النساء، الآية: ١٧٠.

٦) سورة يونس، الآية: ١٠٨.

٧) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٨) مجهول: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ط١، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ، ص٦.

٩) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ)، الشمائل الشريفة، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص٢١٣.

١٠) الندوي: سيد سليمان (ت: ١٣٧٣هـ)، الرسالة المحمدية، ترجمة: محمد ناظم الندوي، سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، ط١، دمشق، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٤٠-٤٦.

١١) سورة الدخان، آية: ١٤.

١٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس البعلبكي، ط ٨، دار العلم الملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٢-٣٣.

١٣) مكسيم رودنسون ولد سنة ١٩١٥م، فرنسي الأصل، مدير مدرسة الدراسات العليا بباريس، ركز في أبحاثه على الجانب الاقتصادي في الإسلام، وله كتاب (جاذبية الإسلام). ينظر العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج ١/ ٣٥٩.

١٤) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط١، دار المدار، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢/ ١٠٦.

١٥) وهو لدي لويس بيسر أوجين أميلي سيديو، مستشرق فرنسي ولد في باريس سنة ١٨٠٨م،

وتوفي سنة ١٨٧٥م في باريس أيضا، كان أبوه جان جاك إمانويل سيديو المتوفى سنة ١٨٣٢م، فلكياً من المستشرقين. الزر كلي: خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ج٥/ ٢٤٦؛ زناتي: أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام، جامعة عين شمس، د.ت، ج١/ ١٠١.

١٦) سيديو: لويس جان جاك، تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، ط، عيسى الحلبي وشركاه، ١٩٦٩م، ص٥٨.

١٧) جاك ريسلر: باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي في باريس. ريسلر: جاك، الحضارة العربية، ط١، منشورات عويدان، بيروت، ١٩٩٣، ص٥.

١٨) ريسلر: الحضارة العربية، ص٣٤.

١٩) تور أندريه: وهو أسقف على المذهب اللوثري، نشر كتابه الموسوم (محمد الرجل وعقيدته) سنة ١٩٣٢م، من أوائل من يمثل هذا الاتجاه. فوزي: فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ط١، عمان، ١٩٩٨م، ص٥٧.

٢٠) شامة: محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، دار التراث العربي، القاهرة، ص٣٩.

٢١) أبو خليل: شوقي، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٤٢.

٢٢) الرسالة المحمدية، ص٩٢.

٢٣) أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ص٤٢.

٢٤) ريوزندباسورث سميث: وهو مؤرخ انكليزي صاحب كتاب محمد والمحمدية. حمدان: نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢، دار المنار، جده، ١٩٨٦م، ص٥٣.

٢٥) حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، ص٥٣.

٢٦) غوستاف لوبون: فرنسي طبيب، ولد سنة ١٨٤١م، مؤرخ عنى بالحضارة الشرقية، ومن أثاره الحضارة المصرية، وحضارة العرب. العقيقي: المستشرقون، ج١/ ٢٠٢.

٢٧) التميمي: حيدر قاسم، الرسول في عيون غربيه منصفه، مقالة في مجلة بيت الحكمة، بغداد، العدد ٢٠، السنة الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٨٨.

٢٨) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

٢٩) القرطبي: أبو عبد الله محمد أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، أحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ٢/ ١١٠.

٣٠) حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، ص٥٢.

٣١) عبد الملك بن محمد (ت: ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٧م،

ص٨٣.

٣٢) مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ٤٧٣.

٣٣) الطبري: أبي جعفر بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، صحيح تاريخ الطبري، حققه وخرجه رواياته محمد بن طاهر البرزنجي، وإشراف محمد حسن حلاق، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٧م، ج٢/ ٥.

٣٤) ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وجماعته، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، ج ٢/ ٢٤٢.

٣٥) ابن سعد: محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١/ ١٠٤.

٣٦) ابن عبد البر: أبو يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الطبعة المصرية، مصر، ص٢١-٢٢.

٣٧) السيرة النبوية، ص٨٣.

٣٨) الشوكاني: محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٠؛ الكتاب المقدس: أشعيا، الإصحاح الأول، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، ص٩٩٢.

٣٩) القرطبي: الأعلام بما في النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ص٢٧٤؛ الكتاب المقدس، سفر حبقوق، الإصحاح الثالث، ص١٢٢٩.

٤٠) سخاب: قلادة تتخذ من قرنفل وسك ومحلب، ليس فيها من الجوهر شيء، وجمعه سُخُبٌ. الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م، ج١/ ٣٠٧.

٤١) العباسي: محفوظ، الغرب نحو الدرب، ط١، المكتبة الوطنية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص٥٥.

٤٢) الكتاب المقدس: أنجيل لوقا، الإصحاح الثاني، ص٩٢؛ العباسي: الغرب نحو الدرب، ص١٠٠.

٤٣) الطبقات الكبرى، ج١/ ١٠٤.

٤٤) الشوكاني: إرشاد الثقات، ص٣٢.

٤٥) سورة الصف، آية: ٦.

٤٦) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر،١٩٩٤م، ج٤/ ٤٣١.

٤٧) الطبقات الكبرى، ج١/ ١١٤.

٤٨) ابن هشام: السيرة النبوية، ص٨٤.

٤٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ص٨٤-٨٥.

٥٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ص٨٤-٨٥.

٥١) ابن الأثير: علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١/ ٣٥٦.

٥٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ص٨٦؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١/ ١١٣.

٥٣) الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١/ ٦٣.

٥٤) سيروليم موير اسكتلندي، تعلم الحقوق في جلاسجو وأدنبرا، أرسل إلى البنغال ثم عين أميناً لحكومة الهند (١٨٦٥-١٨٦٨) ثم رئيساً لجامعة أدنبرا، ومن أثاره سيرة النبي ﷺ والتاريخ الإسلامي في أربعة أجزاء، وحوليات الخلافة. البدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٤، المؤسسة العربية والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٨٧.

٥٥) نقد الخطاب الاستشراقي، ج١/ ٧٨.

٥٦) مونتغمري وات إنجليزي عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، من أثاره محمد في مكة، ومحمد في المدينة. العقيقي: المستشرقون، ج٢/ ١٣٢.

٥٧) وات: مونتغمري، محمد في مكة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩٤.

٥٨) حسين: أحمد، نبي الإنسانية، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٣٠-٣٣١.

٥٩) صب به: أي تعلق به وحن إليه. ابن هشام: السيرة النبوية، ص٩٣.

٦٠) السيرة النبوية، ص٩٣-٩٤.

٦١) الندوي: السيرة النبوية، ص١٦٤-١٦٥.

٦٢) العمري: أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥م، ج١/ ١١٠-١١١.

٦٣) ايرفنج واشنطن: ولد في مدينة نيويورك سنة ١٧٨٣م، وفي سن المبكر أهتم بقراءة القصص الخيالية، وقد جعل أعماله الخيالية القصيرة قالباً أدبياً واعيا فقد عرف في الغالب (رجل الرسائل الأمريكي الأول) وقد تجاوزت مؤلفاته التسعة عشر مؤلفاً ومن مؤلفاته (حياة محمد)، توفي سنة ١٨٥٩م. الزهو: سامي أحمد، الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية،

ارفنج أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠٠٤م، ص٦٨-١٠٠.

٦٤) الزهو: رسالة الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية، ارفنج أنموذجاً، ص١٢٥.

٦٥) حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٥٧.

٦٦) سيديو: تاريخ العرب العام، ص٥٨.

٦٧) وات: محمد في مكة، ص٩٤.

٦٨) الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج١/ ٦٤.

٦٩) وات: محمد في مكة، ص٩٤.

٧٠) شرقاوي: محمد عبد الله، الاستشراق، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٤٣.

٧١) السيرة النبوية، ص١٦٦-١٦٧.

٧٢) سورة البقرة، أية: ١٤٤.

٧٣) سورة البقرة، أية: ١٤٦.

المصادر والمراجع

القران الكريم

الكتاب المقدس: جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.

أولا: المصادر.

١) ابن الأثير: علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م.

٣) ابن سعد: محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت.

٤) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ). الشمائل الشريفة، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

٥) الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ). إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٠.

٦) الطبري: أبو جعفر بن جرير (ت: ٣١٠هـ). صحيح تاريخ الطبري، حققه وخرجه رواياته محمد بن طاهر البرزنجي، وإشراف محمد حسن حلاق، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٧م.

٧) القرطبي: أبو عبد الله محمد أحمد الانصاري (ت: ٦٧١هـ). أحكام القران، تحقيق سالم مصطفى البدوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م. الأعلام بما في النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.

٨) ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ). البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وجماعته، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م. تفسير القران العظيم، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٩٩٤م.

٩) مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ). صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠) ابن هشام: عبد الملك بن محمد (ت: ٢١٨هـ). السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٧م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

١) البدوي: عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين، ط٤، المؤسسة العربية والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢) بروكلمان: كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس البعلبكي، ط ٨، دار العلم الملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٣) الحاج: ساسي سالم. نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط١، دار المدار، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤) حسين: أحمد. نبي الانسانية، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م.

٥) حمدان: نذير. الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢، دار المنار، جده، ١٩٨٦م.

٦) أبو خليل: شوقي. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م.

٧) ريسلر: جاك. الحضارة العربية، ط١، منشورات عويدان، بيروت، ١٩٩٣.

٨) الزركلي: خير الدين. الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت.

٩) زناتي: انور محمود. معجم افتراءات الغرب على الإسلام، جامعة عين شمس، د.ت.

١٠) سيديو: لويس جان جاك. تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، ط، عيسى الحلبي وشركاه، ١٩٦٩م.

١١) شامة: محمد. الإسلام في الفكر الأوربي، دار التراث العربي، القاهرة.

١٢) شرقاوي: محمد عبد الله. الاستشراق، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٣) العباسي: محفوظ. الغرب نحو الدرب، ط١، المكتبة الوطنية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

١٤) العقيقي: نجيب. المستشرقون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٥) العمري: أكرم ضياء. السيرة النبوية الصحيحة، ط١، مكتبة العيكان، الرياض، ١٩٩٥م.

١٦) فوزي: فاروق عمر. الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ط١، عمان، ١٩٩٨م.

١٧) مجهول: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ط١، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ.

١٨) الندوي: أبي الحسن علي الحسين. السيرة النبوية، تحقيق: سعيد عبد الماجد الغوري، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٤م.

١٩) الندوي: سيد سليمان. الرسالة المحمدية، ترجمة: محمد ناظم الندوي،

سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ٢٠٠٢م.

٢٠) وات: مونتغمري. محمد في مكة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ٢٠٠٢م.

ثالثا: البحوث

١) التميمي: حيدر قاسم. الرسول في عيون غربيه منصفه، مقالة في مجلة بيت الحكمة، بغداد، العدد ٢٠، السنة الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

رابعا: الرسائل الجامعية

١) الزهو: سامي أحمد. الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية، ارفنج انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠٠٤م.